

٢٣ عاماً .. وسط الطوفان

مذكرات المناضلة الإيرانية الحاجة مرضية (دباغ)

هوية الكتاب

اسم الكتاب:.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
اعداد وتقديم:.....السيد محسن الكاظمي
ترجمة ونشر:.....دار الولاية للثقافة والإعلام
حقوق الطبع والنشر محفوظة

٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

مذكرات المناضلة الإيرانية

الحاجة مرضية حديدجي (دباغ)

إعداد وتقديم

السيد محسن الكاظمي

ترجمة ونشر

دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة الثانية ٢٠١٦م

لبنان - بيروت



رسالة السيدة (دباغ) إلى مؤسسة دار الولاية

بسم الله الرحمن الرحيم

تهران - صندوق پستی ۴۴۱۳ / ۱۴۱۵۵

بیت‌نالی

تاریخ: ۱۳۹۳/۴/۱۰
شماره: ۱۳۹۳/۴/۱۰
پست: ۱۳۹۳/۴/۱۰

با سلام و احترام به محضر مبارک برادران و خواهران مؤسسه فرهنگی دار الولاية عرضه می‌دارم با توجه به اجازت رهبر کبیر انقلاب حضرت امام خمینی (رض) و رهبر معظم و معزز انقلاب حضرت آیت الله خامنه ای مد ظله العالی به نظر می‌رسد با توجه به اینکه مقلدین این بزرگواران به دلیل ولایی بودنشان جان و مال همه در اختیار ولایت مداریشان قرار دارد لذا به نظر می‌رسد اجازت بنده لزومی ندارد. در عین حال بنده موافق هستم به دلیل اقامت در کشورهای مختلف و نیز در خواست متعدد جهت ترجمه و چاپ این کتاب، این شاء الله مبارک و خیر است. توفیقات روز افزون شما خدمتگزاران به انقلاب و حفظ دستاوردهای خون شهدا را از خداوند متعالی خواستارم.

والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته

مرصیة حدیدی (دباغ)
قائم مقام جمعیت زنان جمهوری اسلامی ایران

ترجمة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد إهداء التحية والسلام للإخوة والأخوات في مؤسسة دار الولاية للثقافة والإعلام؛ نظراً لما أجازته مؤسس الثورة الإسلامية الإمام الخميني العظیم ﷺ وكذلك قائد الثورة الإسلامية العزيز سماحة الإمام الخامنئي (مد ظله) وبناءاً على تمسك مقلديهما بولايتهما، وأن كل ما لديهم من أرواح وأموال يضعونه تحت اختيارهما، لذا لا أرى لزوماً لإجازتي في ترجمة ونشر هذا الأثر. كما أنه ويسبب إقامتي في دول مختلفة وأيضاً بسبب الطلبات الكثيرة على ترجمة هذا الكتاب أرى أن ذلك مطلع خير ومصدر بركة إن شاء الله تعالى. أدعو الله تعالى أن يوفقكم لخدمة الثورة الإسلامية والمحافظة على إنجازات دماء الشهداء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مرصیة حدیدی (دباغ)

۱۳۹۳/۴/۱۰ هـ. ش - ۲۰۱۴/۷/۱۰ م

مقدمة الحاجة مرضية (دباغ) للنسخة العربية

لم يخطر ببالي أبداً أن يأتي يوم أنشر ما قمت به من جهد وعمل خالص لله، وإحقاق حق الشعب المستضعف في هذا البلد، والإسلام العزيز، مكتوباً مدوَّناً على الورق، وأعرضه على الناس الأعزاء، ولكن ماذا علينا أن نفعل؟ عندما أجابني جميع الأصدقاء ومحبي الثورة: بأنك لست ممن يريد أن يتظاهر بما قدمتي، بل أنت امرأة شملها اللطف الإلهي، وتلقّت التوجيهات الإسلامية الأصيلة، وسنة النبي الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وعملت بوصايا الإمام الخميني الراحل قدس سره، واستطاعت أن تذهب لمواجهة شياطين العصر، عبر توجيهات أساتذة من أمثال: الشهيد آية الله سعيدي؛ الشهيد السيد مجتبی صالحی، الحاج الشيخ علي آقا خوانساري، والحاج السيد محمد باقر الموسوي الهمداني، و... فنجحت في ذلك.

آمل أن يتقبل الله سبحانه وتعالى هذا العمل، وليكون مجموعة من الخطوط للأجيال الشابة والأحرار لمواجهة ظلم المستكبرين في كافة الأزمنة والعصور، والإمساك بشعار خدمة البشرية والفوز بالرضا الإلهي.

وآمل أن يعوّض الإخوة والأخوات النقص والقصور في هذا العمل ويسدون الخلل.

٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أرى و بعد تأدية الشكر لله سبحانه وتعالى بما كَلَّلني به، أن أسأله أن يجعلني قطرة في هذا البحر المليء بالخدمة والجنود والمضحين والشهداء، وأُثَمِّن الجهود التي بذلها زملائي وإخوتي العاملين في مكتب أدب الثورة الإسلامية، وأخص بالذكر الأخوة في دار الولاية للثقافة والإعلام الذين اخذوا على عاتقهم نقل هذه المذكرات إلى اللغة العربية لإيصالها إلى الناطقين بلغة القرآن الكريم، كما أشكر الأخ السيد محسن كاظمي، الذي أبدى كامل استعداداه وبذل أقصى الجهود لتلبية دعوتي، والعمل على تطوير وإصلاح هذه المذكرات - رغم كبر سني والبعد الزمني - ومن ثم طبعها، أمل أن يكافئ الله بأجره الجزيل وثوابه العظيم كافة هؤلاء الأعمام، كما أمل أن تجد هذه الأوراق صدق لها عند القراء الأعمام.

وأرى فرضاً عليّ أن أقدم هذا النذر القليل هدية متواضعة إلى روح الإمام الراحل قُدَّسَ وَاٰبِيْهِ الْعَزِيْزِيْنَ (تغمّدهم الله جميعاً برحمته ورضوانه)، وكذلك إلى قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي رَحِمَهُ اللهُ وَإِلَى أَبِي وَأُمِّي وَزَوْجِي، وإلى جميع المجاهدين في سبيل الله تعالى كما أقدم فائق شكري وتقديري إلى كل مَنْ ساهم في جمع هذه المطالب، وكما أطلب من كل من يطالع هذا الكتاب، الدعاء لي بالفوز برضا الله تعالى.

والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

الفقيرة إلى رضا الله

مرضية حديدجي (دباغ)

١٧ يناير ٢٠١٥م

تمهيد

ليس الرجال وحدهم صانعوا القرار في المجالات الاجتماعية، السياسية، الثقافية، والاقتصادية فحسب، بل النسوة لهنّ مشاركة ودور فاعل ومؤثر أيضاً في هذه المجالات، وينبغي التحقيق والبحث أكثر لمعرفة دورهن التاريخي من خلال التطورات الاجتماعية.

للمرأة دور أساسي وواضح في انتصار الثورة الإسلامية، والمحافظة على إنجازاتها ومكتسباتها، وتحقيق أهدافها، حيث لعبت المرأة دوراً مباشراً أو غير مباشر عبر النضال والنشاط السياسي في محاربة النظام الشاهنشاهي الملكي المستبد، كالعمل العسكري والمسلح، طباعة وتوزيع المنشورات، توزيع الأشرطة والكتب، المشاركة في البرامج التعليمية (العقائدية - السياسية)، الدراسات السياسية - الاجتماعية، التواجد والحضور في الاجتماعات والأنشطة السريّة، استقطاب الأنصار والأعضاء، جمع التبرعات، إلقاء المحاضرات والأنشطة الدعوية والتبليغية، الحضور في المسيرات والتظاهرات الاحتجاجية، إنشاء سلسلة من العلاقات السريّة مع الأشخاص والمنظمات، وتزعم المجاميع والأحزاب، واستلزم ذلك بالتبع: التعذيب، السجن، النفي والتهجير... هذه جملة الأنشطة المباشرة التي تصدت لها المرأة في ساحة الكفاح والنضال، ويمكن الإشارة إلى جملة من الأنشطة غير المباشرة التي

١٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

مارستها المرأة: كترية الأبناء الواعين المؤمنين، التشجيع على الزواج، تشجيع الأخ والإبن والزوج للتواجد والحضور في ساحة المواجهة، إدارة شؤون الأسرة والأبناء عند إبعاد ونفي واعتقال الأب، تأمين ما تحتاجه العائلة، وإيجاد حالة من الطمأنينة وراحة البال للثوار أيضاً.

إن بيان دور المرأة ومساهمتها في تاريخ الثورة الإسلامية يحظى بالأهمية والضرورة التاريخية والثقافية، ولهذا فإن ضبط وتسجيل ونشر مذكرات نسوة كان لهنّ دوراً مباشراً في وجود وانتصار الثورة الإسلامية، يعدّ واحداً من أفضل وأكثر وثائقية أساليب التحليل التاريخي لهذه المرحلة.

السيدة (مرضية حديدجي) المعروفة بـ (دباغ) تعدّ من النساء المسلمات الأوائل في ساحة الكفاح والنضال، دخلت هذه الساحة بوعي واعتقاد كامل، فصبرت على الصعاب والمشاق الكثيرة في هذا الطريق، وحياتها مليئة بالحوادث والمخاطر الصغيرة والكبيرة، التعلقات وحالات الضجر، الرغبات والاتجاهات النفسية والعاطفية والفكرية، الاختيارات العقائدية والاختبارات الإلهية، فيكون بيان زاوية منها أمر مفيد ومغتنم للتاريخ والثورة الإسلامية.

تحمست كثيراً ولأول مرة - لاستماع ثلاثة عشر ساعة - للحوار الذي دار مع السيدة (دباغ) حول ذكرياتها ومشاهداتها عن الحياة وطبيعة النضال، مما شجعني على متابعة نقاط بارزة ومضيئة أكثر في حياتها، تم نشر ثلاث أو أربع حوارات أجريت معها من تلك الثلاثة عشر ساعة مع لقاء آخر أجري معها في مجلة (رسالة المرأة) (پیام زن)، في الأعداد ١١، ١٤، ١٥، و ١٨ تحت عنوان (رسالة مذكرات)، قرأتها بدقة ودوّنت بعض

تمهيد..... ١١

الملاحظات، فعلى الرغم من وجود النقاط الإيجابية، شاهدت نواقص وسلبيات أيضاً كان لزاماً عليّ أن أعمل على رفعها، ومن ثم تكميلها من دون نقص.

للمرة الأولى، وبعد إجراء عدة مكالمات هاتفية، نجحت في اللقاء بالسيدة (دباغ) في عام ١٩٩٩م، والحديث معها في مكتب جمعية النسوة في الجمهورية الإسلامية، كان الغرض من هذا الاجتماع واللقاء إقناع وتشجيع السيدة (دباغ) لنشر مذكراتها، فقبلت هي أيضاً هذا العرض؛ نظراً لاتساع أفق تفكيرها، وتم التوافق على تحديد نواقص المذكرات أيضاً، وطرح وعرض أسئلة حول ذلك، لتجيب عنها في البيت بعيداً عن أجواء المقابلة والحوار.

أجابت السيدة (حديدي) في غضون خمس ساعات على ما يقرب من ثلاثمائة سؤال، سلطت الأضواء على العديد من النقاط الغامضة والمبهمة في مذكراتها، ولكن لا تزال هناك حلقات مفقودة في العديد من أسماء الأشخاص، الأماكن، الأزمنة، بل وحتى في شرح بعض المشاهدات واللقاءات، لا مفرّ للإجابة عن بعضها؛ لأن كثرة الأحداث والوقائع ومرور الوقت على بعضها، بعد ٤ إلى ٥ عقود من الزمن، يجعل من الذاكرة التي تقوّضت مصابة بآفة النسيان، فقالت السيدة (دباغ) رداً على إصرارنا المتكرر: «لم يبق شيئاً من التاريخ في ذهني أصلاً»، «كتبتم مرة أخرى مع ذكر التاريخ، للأسف الشديد، عليكم أن تمحو التاريخ أصلاً»، «لم يكن الوقت مهماً بالنسبة لنا آنذاك أبداً [...]، إذ إننا لم نكن نولي اهتماماً في برامجنا بالنسبة للتاريخ، بل كان شغلنا الشاغل هو القيام بعمل ما، نقرب فيه من زمن [انتصار] الثورة».

١٢.....وسط الطوفان

مضافاً إلى ذلك، فإن السيدة (دباغ) امتنعت عن ذكر أو كشف هوية وأسماء بعض الأشخاص من باب الاستشهاد، أو بيان العوامل المسببة في وقوع تلك الأحداث؛ بسبب عدم أخذ الإذن أو السماح في ذلك.

«لقد كنا في فترة الكفاح والنضال نتعامل مع أشخاص لا يسمح لأيّ منهم أن يُدلي بمعلومات شخصية؛ لأن كثرة المعلومات تسبب متاعب ومشاكل كثيرة أثناء الاعتقال والتعذيب».

إن تحضير الصور والوثائق للكتاب يتسبب في إحداث مشاكل كثيرة في هذا الطريق، قالت السيدة (دباغ): «الصور الفوتوغرافية، الوثائق الثبوتية والهويات التي لديّ، والتي احتفظت بها بصعوبة ومشقة، أمتتها عند شخص ثقة، ليستنسخها»، وكأن هذا السيد أراد أن يسجل مذكرات السيدة (دباغ) أيضاً لكن مع الأسف، بعد فترة رفض إعادة الصور والوثائق الثبوتية، وبعد متابعة السيدة (دباغ) المتكررة أنكر ذلك وقال: «إنك لم تعطني أيّ صور ووثائق، ولا دليل أو شاهد لك يثبت صحة هذا الادعاء حتى تتقدمي بشكوى ضدي في، هذه الحالة حصلت مراجعات إلى القنوات المعنية، ولكنها نجحت فقط في الحصول على عدد قليل من تلك الصور.

بعد السعي الحثيث وإجراء العديد من المحاولات للاتصال بعدد من الأشخاص ممن تعرفهم في مرحلة الكفاح والنضال، وهم معاصرون للسيدة (دباغ) أيضاً، ليكملوا مذكراتها، أبدى بعضهم عن استعداده لذلك، وقاموا بالتعاون معها ومساعدتها، وأضيفت خلاصة لحواراتها في قسم (الملحقات) أيضاً، ومن هنا أقدم شكري وتقديري لكل من استجاب من الإخوة الأعزاء، لكن هناك بعض الإخوة كالسيد غرضي فإننا - وبحدود ثلاثة أشهر - كنا نتصل ونتمناهم، لكن جهودنا لم تثمر

عن شيء وتكللت بالفشل، ولم يقدم لنا أي مساعدة، وفي مكالمة هاتفية أجريناها مع السيد (غرضي) في صباح يوم ٢٠٠١/١١/٣١م، قال: «إنني أتأمل في هذه القضية (تسجيل وكتابة هذه المذكرات) ولا أجري مقابلة وحوار»، فبيّنتُ له أن هذه المذكرات قد تستفزكم بعد نشرها، فقال: كل ما قالته السيدة (دباغ) عني فهو صحيح، وأقبله.

كذلك مع الأسف لم يوافق السيد (محمد حسن دباغ) زوج السيدة مرضية والسيدة (رضوانة دباغ) ابنتها أيضاً على إجراء لقاء خاص، وأجابا عن مجموعة من الأسئلة التحريرية بشكل غامض وناقص، ولم تكن الإجابة نافعة ومفيدة، ولم يعر المقيمون في الخارج وصحيفة (لوموند) و(ليبراسيون) أيضاً لمراسلاتنا الإلكترونية اهتماماً يذكر، ومع كل هذا، كان السعي منصباً على ترتيب وتنظيم نص حوارات ومذكرات السيدة (دباغ) وبدون تغيير ما هوي، وقدّر الإمكان مراعاة التقدم والتأخر الزمني والأحداث التاريخية.

بعد عامين من الجهد المتواصل لجمع وتدوين مذكرات السيدة (دباغ)، ينبغي القول: بأنّ ما تبقى منها هو بحد ذاته مذكرات وتقارير حول المذكرات.

أما اتجاه المذكرات فهي حديث عن بيان مرحلة الطفولة، التعليم، الاعتقال والسجن، التعذيب، المنفى، و...

مذكرات السيدة (دباغ): هي حكاية ورواية في مقطع زمني تبدأ منذ المخاض والولادة حتى انتصار الثورة، يعرض فيها بعض المصائب والمحن التي ابتلي بها الثوار، ولم يكن مقررّاً تجاوز هذه الحدود، ولكنه بسبب أهمية حديثي في حياة السيدة قررنا تجاوز مرحلة ما قبل

الانتصار والتطرق لهما:

١- (قيادة الحرس الثوري) في همدان.

٢- التوجه إلى (موسكو) لنقل رسالة الإمام (الخميني) إلى زعيم القوة الشرقية الكبرى (غورباتشوف).

ولو أن ذاكرة السيدة (دباغ) ساعدتها، وتحدثت عن كافة مشاهداتها ومسموعاتها، لقاءاتها، وتعاملها، و... مع ذكرها الجزئيات والخصائص... كان أمامك اليوم كتاباً يضم عدداً من المجلدات، وبالتالي فإننا لا نرى أن نشر هذا الكتاب يعد بمنزلة خاتمة لشرح نقاط هامة عن مذكرات السيدة (دباغ)، ولتكميل ذلك، فكرنا في إعداد مجلد آخر بالاستفادة من مذكرات أفراد العائلة، وإخوة النضال، والأصدقاء، بل حتى متقديها.

الجدير بالذكر أن الاستفادة من توجيه ومتابعة كل من: في الأمور الفنية والاستشارات التخصصية بسبب أهمية حدثين في حياة السيدة قرنا تجاوز مرحلة ما قبل الانتصار والتطرق لهما، الدعم المعنوي والتوجيهات التي لا تحصى السيد (سعيد فخر زاده)، والمساعد المخلصة لكل من الإخوة: السيد (محمد صادق فيض) رئيس قسم المحررين، (علي تكلو) رئيس قسم الحاسوب، (محمد كريمي) رئيس قسم اللغة والانترنت، (مهدي الحسيني)، وجهود السيدة (مريم بال زاده) من جمعية شؤون المرأة في الجمهورية الإسلامية، وسائر الزملاء والإخوة الذين لا مجال لذكر أسمائهم، أدى إلى تسهيل وتكميل وتنظيم وتدوين هذا الكتاب، نقدم للجميع شكرنا الجزيل وثنائنا الجميل، ونتمنى لهم التوفيق والنجاح يوماً بعد يوم. مع الشكر والثناء للواحد الأحد والفرد الصمد...

محسن كاظمي / أغسطس ٢٠٠١

توطئة

ولدت السيدة (مرضية حديدجي) في ١٩٣٩م في مدينة (همدان).

نشأت في أسرة متدينة ومثقفة.

بدأت دراستها في (الكتاتيب)، واستفادت كثيراً من علوم أبيها في تعلم القرآن الكريم ونهج البلاغة.

تزوجت السيد (محمد حسن دباغ) في عام ١٩٥٤م، فكان هذا الزواج بداية ومنشأ التغيير في حياتها.

سافرت في الأيام الأولى من بداية حياتها المشتركة مع زوجها إلى (طهران)، فأكملت دراستها للعلوم الدينية إلى مرحلة السطوح (شرح اللمعة)، مستعينة بكبار الأساتذة كالمرحوم الحاج آغا (كمال مرتضوي)، الحاج الشيخ (علي الخوانساري)، الشهيد آية الله (محمد رضا سعيدي) والشهيد السيد (مجتبي صالحی الخوانساري).

واصلت السيدة (دباغ) دراستها والانخراط في النشاط السياسي، وهي آنذاك (أُمًّا) (لثمانية أبناء).

بدأت السيدة (دباغ) حركتها وأنشطتها السياسية بتوزيع المنشورات في الأعوام ١٩٦١ - ١٩٦٢م.

١٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

ازداد نشاطها عند دخولها في الخلايا التي يشرف عليها الشهيد (سعيد) في طهران.

أبدت في تلك الفترة استعدادها للتعاون والتنسيق مع طلاب جامعات: (طهران)، (الوطنية) (جامعة الشهيد بهشتي)، (آريا مهر)، و(صنعتي شريف)، و(العلوم والتكنولوجيا).

واصلت السيدة (حديجي) أنشطتها السياسية وعملها التوعوي والدعوي باهتمام شديد بعد استشهاد آية الله (سعيد) عام ١٩٧٠م على يد نظام (الشاه).

وأخيراً أُلقي القبض عليها وأودعت السجن في عام ١٩٧٣م وتحملت مع ابتئها (رضوانة) أشد التعذيب في (اللجنة الأمنية المشتركة)، وعانت من أقسى الأمراض، وعندما لم يبق لها أمل في البقاء على قيد الحياة والتماثل للشفاء، تم الإفراج عنها، وإخلاء سبيلها من السجن، بينما بقيت ابتئها (رضوانة) في السجن.

أجريت للسيدة (دباغ) عملية جراحية بعد الإفراج عنها، ونجت من الموت المحتم، وبعد أشهر أعيد اعتقالها وسجنها مرة أخرى، وفي هذه الفترة من السجن انتفضت بثورة من خلال مواجهة أيديولوجية ضد الجماعات الماركسية، فكانت تجمع النساء المسلمات السجينات حولها.

سافرت السيدة (دباغ) إلى الخارج في عام ١٩٧٤م لمواصلة الكفاح والنضال، وبقيت في المهجر إلى حين انتصار الثورة الإسلامية، فتدربت على السلاح وحرب العصابات وفنون القتال في القواعد والمقرات العسكرية على الحدود الواقعة بين (لبنان) و(سوريا).

توطئة.....١٧

مارست نشاطها السياسي مع (جماعة رجال الدين المناضلين) في الخارج تحت إشراف الشهيد (محمد منتظري)، وكانت (سوريا) و(لبنان) هي المركز والقاعدة لهذا النشاط، قامت السيدة (دباغ) بمهامها ومتابعة برامج هذه المجاميع في مختلف البلدان بما في ذلك: (المملكة العربية السعودية)، (بريطانيا)، (فرنسا)، و(العراق).

في كثير من حركات وأنشطة الثوار في الخارج كانت تمارس دوراً فاعلاً ونشطاً في المسيرات الاحتجاجية، التظاهرات، والتحقت بأنصار الإمام (الخميني) بعد هجرته إلى (باريس) في عام ١٩٧٨م. استلمت مسؤولية إدارة شؤون بيت الإمام (الخميني) فُتَّحَ، وسطَّرت لنفسها تاريخاً مشرقاً ومشرفاً. كانت السيدة (دباغ) وهي في الخارج تُعرَف بعدة أسماء: كالسيدة (دباغ)، و(زينت أحمددي نيلي)، و(الأخت طاهرة) و... وهي تعرف حالياً بالسيدة (طاهرة دباغ).

عادت السيدة (طاهرة دباغ) إلى أرض الوطن بعد انتصار الثورة الإسلامية، وتصدت لعدة مناصب ومسؤوليات، كرئاسة الحرس الثوري في (همدان)، ورئاسة قوات التعبئة للأخوات، وتمثيلها أهالي طهران وهمدان في مجلس الشورى لثلاث دورات، مضافاً إلى التدريس في (جامعة العلم والتكنولوجيا)، و(المدرسة العالية للشهيد مطهري)، وتمارس دورها حالياً بصفة قائم مقام في (جمعية المرأة في الجمهورية الإسلامية).

الفصل الأول

المسرى

الولادة والأسرة:

ولدتُ في أواخر فصل الربيع عام ١٩٣٩م، في مدينة (همدان) التاريخية، في محلة مقام (عبد الله) أحد أحفاد الإمام المعصوم (عليه السلام)، نشأتُ وترعرعتُ في أسرة دينية مثقفة، فمنذ الأيام الأولى من حياتي، كان بكائي وأنا طفلة يلفت اهتمام العائلة باعتباري الوليد الثاني للأسرة، وربما كان ينبئ عن المسالك الوعرة والمليئة بالتعرجات والمخاطر وما يكمن لي في المستقبل، وعن الروح المضطربة التي تابعت الحقيقة.

كان المرحوم والدي من فضلاء وأساتذة الأخلاق، وكان سبب فخرنا واعتزازنا نحن والأقارب، وكان جدي المرحوم الشيخ (محمد حديدجي) من عرفاء عصره، وله جماعة من المريدين، كان أبي كجدي يعقد اجتماعات وندوات البحث والتدريس لتوعية الشباب وأهالي المنطقة والعوائل والأقارب، فهو مضافاً إلى الدرجة العالية التي اكتسبها في الحوزة العلمية، كان قد حصل على شهادة التعليم الكلاسيكي في الصف السادس أيضاً، وكان يتكسب ويمرر معاشه في (همدان) من بيع الورق والكتب، وقد كان منضبطاً في عمله.

٢٠.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

مع وجود النقص في التواصل الاجتماعي والمراسلة في ظروف
زمانية ومكانية صعبة ومعقدة، حاول والذي جمع المزيد من الكتب
والمصادر لتكون في متناول الراغبين، وكان يتصف بمعرفة العلوم
الكلاسيكية القديمة والعلوم المعاصرة، وبعض العلوم نسبياً، فكانت
الأسرة ومن حوله يستفيدون من علومه وخبراته.

استطاع أبي من خلال بيع الكتب أن يؤمن حياة متوسطة له
ولأسرته، وكان دكانه الذي يبيع فيه الكتب يرتاده الناس كل يوم،
ويناقش فيه العديد من قضاياهم ومشاكلهم.

بعد مرور سنوات من الهدوء النسبي، واجه أبي مشاكل جسيمة
وظروف قاسية جداً، منها: الإفلاس، أجبره ذلك على غلق دكانه.

واتخذ قراراً بالسفر والانتقال إلى مدينة (مشهد المقدسة)، ليرفع
عنه الحيف، وليستمر في الحياة وإمرار المعاش له ولأسرته، فاشتغل
صانعاً في أحد المحلات، ولكن لم تطل المدة حتى عاد إلى (طهران)،
وصار مشرفاً على عمل أحد المصانع.

والدتي السيدة (فاطمة أحمددي) امرأة مؤمنة ومحبة لأهل
البيت (عليه السلام)، استطاعت بصبرها وإصرارها أن تمارس دورها في تربية
أولادها السبعة^(١)، فارتويتنا من بحر مليء بالدفء والحنان، ومن قلب
مليء بالعشق والمحبة. كانت في تلك الفترة المرأة الوحيدة التي تمتلك
القدرة على تلاوة القرآن في المحلة التي نقطنها، وكانت قادرة على قراءة
الكتب والصحف أيضاً، تعلمت أمي القراءة والكتابة في مدرسة تعليم

(١) السيدة دباغ، لها أربع أخوات، وأخوان، أخواتها الأربع متزوجات، وأحد إخوتها

طيار متقاعد في القوة الجوية، والآخر موظف يعمل في وزارة البريد والهاتف.

القرآن، وكانت أمها معلمة أيضاً، فمعرفة أمي للقراءة والكتابة كان سبباً في معرفتها واشتهارها، حيث كانت تعقد مجالس تلاوة القرآن الكريم كأماها الفاضلة في البيت.

الحلفاء ومعزى معاوية:

كل ما أتذكره من صباي وصغر سني وما لدي من تصرفات أثناء طفولتي إنما يتعلق بفترة مجيء الحلفاء في الحرب العالمية الثانية إلى مدينة (همدان)، وقد عانيت من الآلام والمرارة والمحن والتجارب، فدخل هذه القوات الغريبة أوجد حالة من الذعر والقلق والاضطراب والتشويش، أما القلق فهو خوفاً من التعرض إلى أرواح الناس وأموالهم بسوء، الناس الفقراء والمعوزون، ولكن الكرماء والمتدينون، الذين كان همهم الوحيد هو صون كرامتهم من أي سوء، فكانوا يفكرون باستمرار في كيفية التخلص من هذه الأزمة.

جاء أبي يوماً ما قبل غروب الشمس فدعا عائلته ونسوة وأولاد جيرانه، وطلب منهم أن يأخذوا حليهم وزيتهم وما لديهم من أشياء ثمينة إلى أحد البساتين في أطراف المدينة، عندما اجتمعنا كلنا في أحد البساتين في خارج المدينة، وقبل أن يخيم الليل، جمع أبي المجوهرات التي حملها المرافقون، وأخفاها في عش غراب في أعلى شجرة طويلة ومرتفعة.

عندما يحل المغرب، ويخيم الظلام على كل مكان، يساق الأولاد إلى أعلى غرفة في داخل البستان تعرف باسم (كيللي)، وينام الرجال على العتبة.

استمرت حياتنا على هذا المنوال، إلى أن هدأت الأوضاع قليلاً،

٢٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
وعادت الحياة إلى طبيعتها... خرج الناس إلى أزقة وشوارع المدينة،
رغم وجود الخوف والرعب والقلق والاضطراب الذي ألقى بظلاله وخيم
عليهم، ولم تكن تجرأ عائلة على العيش لوحدها.

كانت بعض العوائل تجتمع مع بعضها، ويعيشون أيامهم ولياليهم
جنباً إلى جنب، حتى إذا أحرق بهم الخطر، ساعد بعضهم الآخر
وتعاونوا معاً لرفع الحيف عنهم.

امتلات الأزقة والشوارع بالجزمات العسكرية للحلفاء، وكانوا
يراقبون كل حجر ومدر، يركبون ويسوقون سياراتهم العسكرية
(الجيب)، و(يحرسون) الأزقة والشوارع الضيقة والرفيعة، ويشرفون
بشكل كامل على المدينة.

أتذكر عندما كنا صغار، كنا نلوذ جميعاً بالفرار كلما شاهدنا
سيارات الحلفاء، ونختفي في زاوية من الزوايا، أما أنا فلم أكن
سوى طفلة صغيرة، لكنني، وفي عالم الطفولة والبراءة هذا، كنت اقترب
من سياراتهم، وأقف إلى جوارهم غير خائفة ولا مرتعشة، فأخذ
- وبتشجيع من أختي - أحياناً البيسكويت والشوكولات منهم، فأقسّمها
بين الصغار.

شكت أُمي يوماً ما هذه الحالة إلى أبي، فدعاني إليه، وقال لي:
«هؤلاء الحلفاء أعداء الله، أعداء الإسلام، وأعداؤنا، علينا أن لا نأخذ شيئاً
منهم، ونستخف بأنفسنا ونستصغرها، إنهم يريدون أن يخدعوكم،
فيظهرون لكم أنهم يدافعون عن حقوق الإنسان، فينفذون ما يريدونهم
وأهدافهم المشؤومة، ويتسلطون علينا، مثلهم في ذلك مثل معاوية، كان
يرسل قطعاً من الأغنام إلى أنصار عليٍّ ومحبيه، فمتى ما استأنس بها

أولادهم، أخذ منهم تلك الشياه، ليفهم هؤلاء الصغار بفعله هذا أن علياً جاء متنكراً ليلاً فأخذها منهم، فیدسُّ الضغينة والحقْد والبغضاء لعلی فی قلوب الصغار والأطفال منذ صغرهم...».

بسماعي هذه القصة وكلام أبي، ندمت بشدة على ما فعلته، وراودتني أفكار الصغر والطفولة البريئة أن أفعالي هذه قد سببت تألم قلب الإمام علي (عليه السلام) وإيذائه ليصرف بوجهه عني.

ازداد ألمي واستدارت الدموع على عيني، فسألت أبي: «ألا يحبني الآن الإمام (علي) (عليه السلام)؟ أجابني قائلاً: «إن ندمت من فعلك وتصرفك، بإمكانك التوبة، فتطلي من الله أن يسامحك ويعفو عنك، ثم لا تعود لي فعلك ثانية فتأخذي مثل هذه الأشياء وتأكلها، أو تهديها للآخرين، في هذه الحالة، تكوني قد أسعدت وأرضيت الإمام علي (عليه السلام)».

كنت في تلك الليلة قد نادمت أبي كثيراً، وتبادلنا أطراف الكلام، وتحدثت معه على الرغم من صغري ونعومة أظفاري، كان يجيبي بسعة صدر وبعبارات سهلة وواضحة، فقد تكون أسئلتني له أحياناً فيها نوع من الدهشة والغرابة، تسرح به في التفكير.

مرثية السيدة (مرضية) في (الكتائب):

نظراً إلى الاقتضاءات والمتطلبات آنذاك، لم يكن القيام ببعض الأعمال من قبل المرأة متعارفاً ومقبولاً، بل ربما يكون مذموماً في بعض الحالات، فمن خلال الروحيات والخصال التي كنتُ أتصف بها بشكل خاص، وهو أنني كنت أرغب في التعرف على كافة القضايا والأمور التي تحيط بي، قد أقوم ببعض الأعمال التي تبدو في نظر الآخرين عجيبية، ففي العشرة الأولى من المحرم مثلاً، أجمع صديقتي وأبناء الأقارب ونشكل موكباً ونعمل لنا راية وبيرقاً، وننطلق إلى الشوارع والأزقة نلطم على صدورنا ونقرأ المراثي والتعازي، ونذرف دموعنا على مصائب السيدة (زينب) عليها السلام، وبعد ساعة أو ساعتين نذهب إلى جيراننا لتناول طعام الغداء الذي أعدّوه بالمناسبة، ثم ننشغل مرة أخرى بمراسم العزاء، وفي شهر رمضان المبارك أيضاً نطرق أبواب الأقرباء والأصدقاء والأقارب لإيقاظهم وقت السحر، ونصعد إلى أعلى السطح عند أذان الفجر مع أبناء الأعمام وأبناء العمات، ونؤذّن معاً.

وعند الوصول إلى سنّ البلوغ، ينبغي أن نجتنب القيام ببعض الأعمال الصبيانية والانفعالات الطفولية، ونركز على المسائل والأمور الأكثر جدية كالدراسة والتعليم.

في أحد أحياء (همدان)، توجد مدرسة كتائب تديرها سيدة تُدعى (آجي ملا)، وبارشادات ونصائح والديّ ذهبتُ إلى هناك، وبدأتُ الدراسة والتعليم، بعد مرور ثلاثة أو أربعة أشهر وزّعت السيدة (آجي ملا) أوراق امتحانية على الحاضرين، ولكنها لم تعطني، اعترضت عليها: «أن لماذا لم تعطني أوراق امتحانية؟»، فقالت: «أعطيتُ لأبيك واثنين

آخرين معه عهداً أن أعلمك القراءة فقط دون الكتابة»، كان وقع هذا الكلام عليّ ثقيلاً جداً، وخاصةً مع الروحية الخاصة التي أمتلكها، في تلك اللحظة، وبينما كان قلبي يعتصر ألماً، كتمت غيظي، وبعد انتهاء ساعة الدرس أسرع في الذهاب إلى البيت، ولشدة ألمي احترّ جسمي، واحمرّ وجهي، فلما وقع بصري على أبي، لم أتمالك نفسي وبكيت، قلت: «لماذا لا يحقّ لنا نحن البنات أن نتعلّم الكتابة؟ فمسح بيده على رأسي»، وقال: «الأفضل أن تتعلم البنت القراءة فقط، وليس من المصلحة أن تكتب أيضاً، فلعل خطأ يصدر منها، فتكتب رسالة خطأ، أو تجيب...».

لم يكن منطق أبي مقنعاً لي أبداً، ولم أكن أتوقع مثل هذا الجواب من أبي العالم الفاضل المثقّف والمتعلّم، توسلت به ورجوته، لكن لا فائدة من ذلك، كان مصرّاً على كلامه، قلت لأبي: «أنت رقيب علينا، ولن تحدث أيّ مشكلة» لكنه رفض أيضاً. كان تعامل أبي هذا هو الأول من نوعه، وأخطر تهديد روحي ونفسي لي، عندما يئست من حصول انعطاف في موقف أبي، ورأيته مصرّاً ومتزمّناً في موقفه غير الحقاني، فكرت في حلّ آخر لذلك وهو أن أقرر إكمال دراستي سرّاً، وبما أن أبي يمتلك حانوتاً لبيع الكتب والورق، ويمارس أحياناً مهنة تصحيف الأوراق والدفاتر والكتب، أصبح لدينا في جوانب وزوايا البيت دائماً عدداً كبيراً من قصاصات الأوراق، فنقوم بإحراقها.

أخذت أجمع عدداً من قصاصات هذه الأوراق خفية، وعندما يخلد الجميع إلى النوم، أذهب إلى سرداب البيت بخطى بطيئة، فأشعل الضوء وأبدأ بالكتابة بقلم استعرت من زميلاتي في دار (الكتاتيب)، وبعد

٢٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

انتهاء عملي أحرق كتاباتي وأدفن رمادها تحت التراب، فوثقت بأنه لن يكشف عن سري، لشدة ظلمة ذلك المكان، بحيث إن أمي وأختي الأكبر كانتا تحتزان من الذهاب لوحدهما إلى هناك.

حب الاستطلاع، الحركات الإيوائية، اللبابة والفطنة، وصلت إلى حد لم يكن أبي يرى من المصلحة أن أتابع هذا الدرس ولو لنصف الوقت، صادفت نظرة أبي هذه وقوع حادثة، كان أبي طبقاً لبرنامج الخاص يحدّد مبلغاً معيناً من دخله الفردي كل أسبوع لمصروف كل واحد من الأسرة، فنجمعه نحن ونصرفه في مناسبة ما (كمناسبة حلول العيد) لشراء بعض الاحتياجات (كشراء الألبسة مثلاً).

أخذت يوماً (ريالاً) من هذه النقود التي جمعناها وأعطيها لصاحب (عربة نقل جواله)، وطلبت منه أن يأخذني إلى (الكتاتيب). أثناء ركوبي العربة شاهدت إحدى صديقتي، فطلبت منها أن تتركب معي أيضاً، ولسوء الحظ شاهدنا في وسط الطريق والد صديقتي التي معي في العربة، فأوقفها وهو منفعّل غاضب، أنزل ابنته منها، ومضيت أنا في متابعة طريقي... عندما وصلت إلى (الكتاتيب)، رأيت والد صديقتي وقد أمسك بيدها وسبقني في الوصول، وروى القصة إلى السيدة (آجي ملا).

كانت الفلقة في انتظارنا:

شدت إحدى رجليّ من جهة في داخل الفلقة ورجل زميلتي التي كانت معي في العربة في الجهة الأخرى، وشدتا بقوة بالحبل، وأمسكت طالبتين كلا طرفي الفلقة، والعصا تشد بالضرب على أخص وأكف أرجلنا، فكان هذا، في نظرهم، درس عبرة لمن يعتبر، ولكن القصة لم تنته إلى هنا، فقد كتبت السيدة (آجي ملا) رسالة إلى أبي تطلب منه إخراجي من مدرسة (الكتاتيب)... لقد كانت السيدة (آجي ملا) تضخم الأمور كثيراً، فتقوم بأعمال غير متعارفة، تنعكس على الأطفال وتترك تأثيراً سلبياً عليهم.

وبهذه الرسالة، حظر عليّ أبي الذهاب إلى المدرسة والاستمرار في الدراسة، وبدأ هو يعلمني في البيت: القرآن، نهج البلاغة، ومفاتيح الجنان. علماً بأنه كان قد بدأ سابقاً وبشكل متقطع تعليمي الوضوء، التيمم، الصلاة والصيام.

لم تكن هذه الأفعال والممارسات لتعيقني عن العمل فحسب، بل كانت تدعوني إلى التأمل والتفكير في أسئلة لا تحصى، حول: التمييز بين الأولاد والبنات، ووجود الفوارق الطبقية، و... لأجد حلاً لهذه المشاكل والأزمات الثقافية. ولهذا كانت تتفتح لي كل يوم أكثر مما سبق آفاقاً واسعة من التفكير والفهم لما يدور من حولي، وأكون جاهزة ومستعدة لإيجاد التغيير في الحياة.

في يوم بارد من أيام الشتاء أخذت ثياباً للغسيل إلى حي يسمى (منوچهري) يقع خارج المدينة، وبعد غسل الثياب، وضعتها في داخل دلو أثناء تساقط وهطول الثلج، بعد أن احترقت شدة برودة الهواء عظامي

٢٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

فوصلت إلى دماغي، عندما وصلت إلى البيت كانت أصابعي قد تجمدت فالتصقت بمقبض الدلو، دون أن تنفصل عنها، وانجمدت ثيابي المغسولة التي في الدلو أيضاً، ولا يمكن تعليقها ونشرها على الحبل لتنشف، وبهذه الأيدي والدلو المتجمد، وضعتُ على (لحاف الكرسي) لأدفأ، فأخذ الثلج يذوب قليلاً قليلاً من يدي وثيابي المغسولة. وفي هذا الطقس القاسي والأوضاع الصعبة والمتردية، خطرت في بالي فكرة وهي: صناعة جهاز أو آلة يعملان بشكل أوتوماتيكي لغسل الثياب؟ وقد شاهدت بعد أيام هذا التصوير الذي استحضرتَه، حقيقةً، في مخيلتي، في قالب (الغسالة) اليوم.

الزواج، بداية المجرة:

كنت أعيش في أجواء الشباب، وإذا بشخص يتقدم للزواج، حصلت الموافقة بسرعة، وتم عقد قراني، كان خطيبي من أصدقاء ومعارف أبي، ولهذا السبب كان زواجي يحظى بدعم ورضا أبي.

(محمد حسن دباغ) في أيام دراسته كان يشتري لوازمه من دكان أبي، لم يكن أبي يماكس طلاب المدارس، بسبب توصية من أبيه، كان يحضر ما يطلبه طلاب المدارس من مستلزمات القرطاسية والكتب من أبي، ويصفي حساباته معه في نهاية كل شهر، فكان الذهاب والإياب والبيع والشراء سبباً في معرفة أبي لهذا الشاب.

خطيبي من مدينة (همدان)، إلا أنه هاجر إلى (طهران) بسبب المشاكل الموجودة في تجارة الجلود ودبغها، فاشتغل صانعاً في أحد المحلات، وبعد أن بدأ يفكر في أمر الزواج، وبما أنه كان يعيش في

(طهران)، أرسل إلينا أخته وزوجها وأمه لخطبتي، فتمت الموافقة بسرعة بين العائلتين، وحددوا موعداً للزواج واتخذوا قرارات بشأنه.

لم يكن زواجنا كما هو متعارف في الزيجات حالياً، بل كان بسيطاً جداً، وبعيداً عن التكلف والتعقيد، وبأدنى حد من التوقعات، فمضافاً إلى إهداء نسخة من القرآن الكريم ومرآة وشموع - حسب العرف الإيراني، تعيّن مقدار المهر وهو ألف تومان وخمس مثاقيل ذهب.

أقيم حفل الزواج في غاية البساطة وصغر الحجم في العدة والعدد، وخال عن أي رتوش... في ساعة من بعد الظهر اجتمع أهل وأقارب العروسين - أنا وخطيبي - ولم أكن أنا والعريس على مائدة واحدة، بل حتى موكل خطيبي لم أره عند قراءة صيغة العقد، ولم أوقع في سجل أو وثيقة، جاء إليّ عمي وسألني:

هل توكليني في تزويجك من السيد (محمد حسن دباغ)؟ أجبت - وبإشارة من أختي الكبرى وامرأة عمي - بـ (نعم).

بعد إجراء مراسم الحفل أخذوني إلى بيت أخت زوجي، كان فارق العمر مع زوجي أكثر من خمسة عشر عاماً، ولهذا السبب كنت أعاني في بداية زواجي من صعوبة وغموض في فهم بعض المسائل والقضايا، فأنا البنت الصغيرة والحدثّة ذي الطبع غير المستقر وفقدان التجربة، ينبغي عليّ أن أكون مسايرة ومستودع أسرار وزوجة شخص كان له من التجربة وتذوق حلاوة ومرارة الدهر.

في أول تعامل لزوجي عرفت أن التواجد معه يعني اغتنام فرصة لأن أنظر إلى نفسي والعالم حولي أكثر فأكثر، والتقرب إلى ربّي، فعشيقته وعشقني وأحبيته وأحبني، فصرنا قلباً واحداً لله.

٣٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

في عام ١٩٥٤م وبعد مرور خمسة أيام على زواجنا وحياتنا المشتركة، حصل لي قدراً من الهدوء والاستقرار، إلى درجة أنني - وبطيب نفس - قررت من أجل الاستمرار في الحياة الجديدة أن أسافر معه إلى (طهران)، فكانت بداية هجرات متعددة قادمة، ومقاصد أخرى أكثر سموً وتعالياً.

التعرف على سوابق وتاريخ حياة زوجي كان يزيدني فرحاً ومسرّة، فهو وإن تحمّل الكثير من المسؤوليات بسبب فقد والده، إلا أن تديّنه وإيمانه إضافةً إلى حضوره في السوق، ووجود الأرضية الفكرية والروحية المناسبة ساقه إلى الحضور والمشاركة في المجالس والاجتماعات السياسية التي تعقد في تلك المرحلة - مرحلة ظهور وسقوط الدكتور (مصدق) - كان يقرأ المنشورات والبيانات، ويتعرف على الأخبار عن طريق أصدقائه من طلاب الحوزة العلمية في (قم) المقدسة، ويشارك في بعض التجمعات والمظاهرات أيضاً، وفي الوقائع والأحداث الدموية في ٢٣/٥/١٩٦٣م، ومن خلال علاقاته الواسعة، التي تميّز بها، قام بمراسلة الثوار، وكذلك في عام ١٩٦٥م، عندما أُلقي القبض على بعض أعضاء حزب (المؤتلفة) وأودعوا في السجن بسبب اغتيال (حسن علي منصور)، كان يذهب لزيارتهم واللقاء بهم.

تقلصت الأنشطة والفعاليات السياسية لزوجي في مرحلة ما بعد اعتقال ونفي الإمام (الخميني) قدس سره هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب دخولي في المعتكف السياسي، كان علي واحد منا نحن الاثنان أن يُخصّص وقتاً أكثر للعائلة، فألقي هذا الدور بشكل ضمني على عاتق زوجي.

استأجرنا لفترة زمنية بيتاً في (طهران) في شارع (خراسان)، وبعد عامين اشترينا - والله الحمد - بيتاً في أول شارع (غياثي) الشهيد سعيدي حالياً، وانتقلنا إلى هناك.

دراسة العلوم الدينية:

الهجرة إلى (طهران) والحياة في محيط جديد، بتلك الحالة الاجتماعية والسياسية الخاصة، كانت بالنسبة لي - أنا التي امتلأت بالحماس والنشاط، وكثرة الاستفهامات -، تعدّ فرصة لإمكان البحث عن إجابات واضحة لتساؤلاتي التي لا تحصى.

فبسبب فقدان إمكانات المراسلة ووسائل التواصل الاجتماعي، وعدم وجود المناخ المفتوح والمناسب للأنشطة النسوية المختلفة، أضيفت إلى تساؤلاتي، التي لا تحصى، أسئلة أخرى مثل: لماذا لا يسمح للبنات بمتابعة الدراسة؟ لماذا تتم دراستهن في ظروف معقدة وصعبة؟ ولماذا لا يحق للبنات أن تختار شريك حياتها بنفسها؟ ولماذا لا تتكافأ فرص العمل والأنشطة الاجتماعية للرجال والنساء؟ ولماذا تصب كافة القوانين لصالح الرجل؟...

أسئلة قد لا يستطيع حتى أبي وزوجي أن يجدا لها أجوبة مناسبة. وأخيراً فتح زوجي أمامي طريقاً قائلاً: «أنا لا أقدر أن أجيب على أسئلتك، عليك أن تذهبي إلى مَنْ هو قادر على إجابتك، شخص يفهم ويعرف أسئلتك، عليك أن تبدئي بمعرفة وتحصيل العلوم الدينية، وعليك ومن خلال التحقيق والتنقيب أن تجدي أجوبة لأسئلتك، وتفهمي وجهات النظر والآراء الموجودة في القرآن والسنة

٣٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

والعرف، وأن تؤسسي لنفسك أساساً قوياً وثابتاً، وتعثري على ضالتك المنشودة».

استمرّ هذا النقاش بيننا، وفي يوم ما، قال جارنا لزوجي: «لم لا تسمح لزوجتك أن تذهب مع ابنتي إلى درس إمام الجماعة في محلتنا، ليدرّسنَ معاً».

جاء زوجي إلى البيت وأخبرني بالموضوع، وسألني: «هل ترغبين بذلك؟»

كنت أرجو ذلك من الله، فقلت له: «ولم لا».

كان هذا الحدث في حياتي بداية حركة وتحول، ونقطة عطف دعت إلى إمكان بروز وظهور قابلياتي وقواي الباطنية الخفية.

المرحوم الحاج (كمال مرتضوي) هو إمام جماعة مسجد محلتنا، ويدرس بداية (جامع المقدمات) وبعده (المنطق).

توجهت نحو الدراسة في وقت أصبحت أمّاً لثلاث بنات، وقد كان من اللازم أن أبذل جلّ اهتمامي وأعطي الوقت الكافي لتربيتهن وتعليمهن. وقد سببت لي الأمور المتعلقة بالبنات وتنظيف البيت، الشراء، الطبخ، استقبال الضيوف الذين يأتون أحياناً من (همدان)، ظروفًا صعبة ومعقدة، ولكي أقنع نفسي كنت راضية بذلك، وأتقبل هذه الأمور برحابة صدر، وأتابع دراستي بعشق وافر، إلى أن انتقلنا إلى بيتنا الجديد الواقع في شارع (غياثي) تقاطع عارف.

وبسبب وجود ثلاثة أطفال صغار، وبُعد المسافة عن محل الدراسة، لم أكن قادرة على التردد إلى هناك، فحصل توقف في

دراستي، ثم علمت بأن الحاج الشيخ (علي الخوانساري) يقيم صلاة الجماعة في مسجد (سلمان)، ذهبت إليه، وطلبت منه متابعة دراستي والتلمذ على يديه، فقبل بهذا العرض، وبدأت الدراسة والبحث مرة أخرى، وعلاوة على ذلك، وفّقت للحضور والمشاركة في مجالس الدعاء والقرآن التي تعقدها زوجة الحاج (الخوانساري) في بيته.

إن وجود الأشغال المتعددة، والأهم من ذلك كله رعاية الأبناء في حلّ مشاكلهم وقضاياهم، لم يعرقل حركتي، بل انبثقت غايات ومقاصد في أعماقي والحمد لله جعلتني أطور نفسي ودراستي جيداً، فكان أستاذي راضٍ عني، إلى حد وصل به الأمر أن يوكل أمر تعليم الطلاب لي في حال عدم حضوره، وكان يدرّسني مع سيدتين أخريين فقط.

الهمس باسم (الخميني):

تعقدت الأمور بولادة البنت الرابعة، ولم يكن ميسراً لي أن أدرّس في اليوم أكثر من ساعتين، وأدرس أكثر من ساعتين، ولكن قلبي بدأ يخفق ويضطرب لأكون على معرفة تامة بمجريات الأمور والمسائل والمباحث السياسية الراهنة.

توفي آية الله العظمى السيد (البروجردي) عام ١٩٦١م، وأصبحت مسألة تعيين المرجع الأعلم من قضايا الساعة، فصدحت من بعض المنابر أصوات تنادي باسم (آية الله الخميني) الاسم غير المعروف. الاسم المتداول بشكل أوسع عند علماء الدين وطلاب العلوم الدينية في (قم المقدسة).

٣٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وقد كان الآيات العظام الباقون السباقين في عقد مجالس الترحيم والعزاء على روح المرجع الكبير للشيعة السيد (البروجردي) قُدِّسَ، والذي يعدّ في حد ذاته بمنزلة التعريف بهم على أنهم المراجع الأعلام. إلا أن الخصائص التي تميّز بها الإمام (الخميني) كانت السبب في أن تجعله هو الألمع والأشهر من بينهم.

قام (الشاه) بحركة تزوير من خلال إرسال برقية قدّم بها التعازي إلى آية الله السيد (الحكيم) قُدِّسَ في (النجف الأشرف)، وقد كان هذا الموقف لمن يعرف المقام الشامخ والسامي للإمام (الخميني) أمراً صعباً وثقيلاً جداً، إذ يوضّح هذا العمل مدى الرعب والخطر الذي كان يشعر به (الشاه) في مواجهة الإمام (الخميني)، والقيام بهذا العمل كان لإبعاد ونقل مركز ثقل المرجعية في العالم الإسلامي من (قم) إلى النجف الأشرف، ليتسنى له العبث كما يشاء في إيران، وفي هذه الظروف والأوضاع تعرّفت على اسم آية الله (الخميني).

في عام ١٩٦٢م تم التصويت على مادة تمّ عرضها في مجلس الوزراء تحت عنوان (جمعيات الولايات)^(١)، لاقت اعتراضات وغضب

(١) تم التصويت على مادة (جمعيات الولايات) في ٨ / ١٠ / ١٩٦٢م، في حكومة أسد

الله علم، ويتضمن ثلاثة محاور:

١- حذف شرط كون نواب المجلس من المسلمين.

٢- عدم تحديد القسم الدستوري لممثلي المجلس بالقرآن الكريم وبالإمكان أدا القسم بأي كتاب سماوي آخر.

٣- المساواة بين الرجل والمرأة بشكل كامل، مع مشاركة المرأة في الانتخابات.

كانت الفقرة الثالثة في الدستور صورة مخادعة واحتيال تاماً، وفي الحقيقة حضور وتواجد للمرأة بشكل مغاير تماماً للأصول الإسلامية! وقد لاقت هذه المادة سخطاً في الشارع العام وخاصة رجال الدين في ٠٧ / ١١ / ١٩٦٣م، ومن ثم إلغائها.

واحتجاجات واسعة من قِبَل العلماء ومراجع الدين العظام، وأصدروا بيانات استنكار وشجب في هذا الخصوص، وكانت بيانات ودعوات استنكار الإمام (الخميني) التي قرأت على الناس من فوق المنابر، هي الأكثر وضوحاً وشفافيةً مع مقارنتها بالبيانات والبرقيات الأخرى.

وأخيراً قررت الحكومة - نزولاً عند رأي الشعب - إلغاء هذه المادة؛ نظراً لما تسببت به من موجات غضب واعتراضات واسعة.

المعراج:

كنت أشتاق كثيراً لأن أشاهد من قريب السيد والرجل الذي تلهج الألسن بشجاعته وصراحته وشهامته وكلماته الغراء، لعل هذا الحب كان لنفسي ولقلبي الذي تعلّق به؛ لأنه وحده القادر على الإجابة على كل أسئلتي، لكن الوصول إلى مثل هذا الممكن والفرصة هو أمنية بعيدة المنال.

أحاطت بي في إحدى الليالي هالة من الحزن والألم؛ بسبب شدة الظلم وحالات الإجحاف والتمييز والجور المتفشي في المجتمع، وضعت رأسي على الوسادة، ولشدة وقع هذا الحزن والألم الذي خيم على قلبي، استغرقت في نوم عميق، «فشاهدت في عالم الرؤيا في الغرفة الأخرى، سيداً بوجه نوراني ومشرق قد استلقى على الفراش، وكان يئنّ بهدوء وبطء، وهو يرفع كتفه الأيمن باستمرار، فيتأوه، ثم يقع مرة أخرى على الفراش، تألمت لمشاهدة هذا المنظر، فذهبت إلى زوجي، وقلت: لم كم تخبرني أن لدينا في البيت ضيفاً، فلو علمتُ بذلك وعرفت بأنه مريض لعلني أتمكن أن أقدم له خدمة، آتية بالخبز والماء ليأكل ويشرب، فلو كنت قد أخبرتني من أول الليل أن هذا السيد مريض كنت قد

٣٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

قدمت له المساعدة، لأخفف عنه شدة الألم، وبينما كنت أعاتب زوجي،
وإذا بي أستفيق من نومي».

كان قلبي ينبض بشدة، لم أكن أصدق ما رأيته في عالم الرؤيا،
لكنه لم يكن مجرد حلم، بل رؤيا صادقة.

لم أكن قادرة على النوم ثانية حتى الصباح، كنت أفكر دائماً في ما
رأيته من رؤيا... إنني أعرف من هذا السيد؟

فكرت طويلاً لأتذكر أين رأيته يا ترى.

كأن نوراً قد سطع على قلبي، وإذا بصوت من أعماقي أو صوت
غيبى يناديني: هذا إنذار وتحذير، وأداة ووسيلة للهداية.

قررت منذ تلك الليلة أن أهتم أكثر بالقضايا الروحية، وأروى
روحي بالعشق الأزلي بالله عز وجل، وأطلب منه: أن يهديني إلى
الصراط المستقيم، بحق الأئمة المعصومين (عليهم السلام) فبدأت بأداء بعض
العبادات المستحبة والارتباط أكثر بالله.

مضت عدة أيام بعد تلك الليلة النورانية المشرقة، وإذا بموضوع
لائحة (جمعيات الولايات) يطرح ويناقش، فقام الإمام (الخميني)
بشجبها واستنكارها، وحصلت على صورة فوتوغرافية لسماحته.

نعم، هذه الصورة هي نفس الصورة لذلك السيد الذي رأيته في
عالم الرؤيا إنه هو نفسه، كانت هذه اللحظة خالدة وباعثة في حالة من
الوجد والشوق، لم يكن قلبي ووجداني بتلك السعة ليحتمل كل هذا
الوجد والحماس، فذرفت عيناى قطرات من الدموع، ورفعت يدي إلى
السماء، وطلبت من الله أن التقى - أنا المريدة الصغيرة، كسيرة الجناح
الذليلة الحقيرة - بذلك الرجل العظيم.

كانت هذه البيانات والصور تتلاقفها أيدي الناس، وكان زوجي آنذاك يعمل في السوق، ونظراً لطبيعة عمله مع الناس والكسبة، الذين كانوا يتناقلون الأخبار أولاً بأول، وكلها أخباراً جيدة وسارة، صار يطلعني على مستجدات الأحداث، ويشاركهم في نشر البيانات والمنشورات التي توزع في السوق بين الناس.

وفي هذه الأيام تمثلت في نفسي دوافع العمل والمشاركة والحضور في الساحة.

وبعد ذلك، أخذ زوجي يأتي بالبيانات إلى البيت، وكنت أخفيها في حقيبة بشكل ماهر ودقيق، وفي النهار بذريعة الذهاب إلى حمام المحلة، أو التبضع وصلة الأرحام، أوصل هذه البيانات إلى المكان المعين، وأسلمها إلى شخص آخر ليوزعها على المدن.

كانت هذه الرؤيا وهذه الحركة لي بداية فصل جديد وبداية لنشاطي السياسي.

(انتفاضة ١٥ خرداد):

تعبير الرؤيا العجبية كان في ١٩٦٣/٥/٢٣ م.

العشرة الأولى من محرم الحرام في ذلك العام كانت لها أجواء خاصة، مراسم إحياء ذكرى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، كانت تنشب بأظفارها في القلوب المجروحة بشهداء المدرسة الفيضية.

المحاضرات النارية والخطب الحماسية لبعض وعاظ المنابر وعلماء الدين في المساجد والمجالس والحسينيات، الحضور الفاعل والغليان المتأجج في صدور المتدينين في هذه المجالس من جهة،

٣٨.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وتهديد نظام (الشاه) لكل من يقف بوجهه ويرفع شعارات معارضة له
و ضد (إسرائيل)، أو يعلن أن الإسلام في خطر من جهة أخرى، هذا كله
يشير إلى عمق الفاجعة وعظمتها.

بعد يومين من انطلاق المسيرة العاشورائية الكبرى التي كانت
مظهراً يعبر عن المعارضة العامة للنظام الحاكم، تمت محاصرة بيت
الإمام (الخميني) من قبل أزام النظام، وألقي القبض عليه، ونقلوه من
(قم) المقدسة إلى معسكر عشرات آباد (ولي عصر) في (طهران).

انتشر هذا الخبر بسرعة البرق الخاطف تتناقله الأفواه، فخاف النظام
من ردود الأفعال والاعتراضات التي يمكن أن تترتب على ذلك، فحاصر
الناس في المدينة.

إن اصطفاة قوات الجيش ذاك اليوم يحكي عن عرض عسكري
حربي.

ارتفع بركان الغضب الشعبي، وملا الناس الشوارع والأزقة
معترضين على النظام الحاكم، رافعين شعارات تندد بإلقاء القبض على
قائدهم الديني وزعيمهم الروحي والسياسي... فأصبحت المدينة
تنزف دماً.

في صباح ذلك اليوم الدامي خرجتُ من البيت لشراء الخبز، فرأيت
موجات الناس تجتمع في ميدان خراسان، ذهبت باتجاه شارع (شهباز)
(١٧ شهريور) فرأيت رجال مركز الشرطة قد اصطفوا أمام الناس وهم
مستعدون للهجوم والقتال، كانت الحالة غير طبيعية والوضع متأزم تماماً،
لكن لم يقع هجوم يقلق.

دخلتُ إلى المخبز، وكان قبلي عدة أشخاص، انتظرت حتى وصل دوري، فعَلتُ أصوات أزيز الرصاص الذي اخترق صدور الناس بعد بدء الاشتباكات، عطّل الخباز عمله، وأرسل الزبائن إلى سرداب الدكان.

لم يكن من المصلحة أن أذهب إلى هناك حيث كان فيه خمسة أو ستة من الرجال.

بقيتُ واقفة في الدكان، أخذت أنظر من النافذة، فشاهدت فتىً وقد اخترقت صدره رصاصة، لقد كان مشهداً مروعاً ومأساوياً، أثّر فيّ هذا المشهد بشدة، وامتألت غيظاً وحنقاً، فحاولت أن أسيطر على نفسي وأحافظ على توازني.

عند مشاهدة الناس هذه الحادثة، واستشهاد هذا الشاب، فارت الدماء في أوداجهم، وازدادوا غيظاً وحنقاً، وأخذوا يرفعون أصواتهم بالهتافات ويرددون الشعارات بشكل أقوى، تعبيراً منهم عن رفضهم للنظام، فهرب رجال الشرطة.

قام الشعب الغاضب بوضع صناديق الهواتف العامة، والبراميل، وغيرها من الوسائل في الشوارع لصد الشرطة عن مطاردتهم بسياراتهم.

بعد مضي ساعة، وبعد أن أريق دماء كثيرة، هدأت الأوضاع نسبياً، فبدأ الخباز بالعمل، أخذت ثلاث أرغفة وخرجت من هناك، وأوصلت نفسي إلى البيت بالعبور من زقاق إلى زقاق.

لقد كانت حماسة ١٥ خرداد ومشاهدة ذلك اليوم الدموي إجابة واضحة وصريحة على بعض أسئلتي، مثل:

مَن الظالم ومَن المظلوم؟

٤٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وأين هو منشأ الظلم؟

وما معنى الظلم والجور؟

ومن الخائن؟

ومن وما هو سبب التخلف؟

و...

عندما نظرت إلى عينيك (المرضىتين) مرضت:

الضغوط الواسعة الموجهة من الرأي العام، وإصرار وعزيمة الشعب، وحالات التذمر والاحتجاجات المستمرة لعلماء الدين ومراجع التقليد، أدت إلى إطلاق سراح الإمام الخميني بعد عشرة أشهر قضّاها في السجن، فأخذت الجماهير الغفيرة تأتي زرافات زرافات للقاءه وزيارته.

عندما سمعت أخبار (قم)، اشتقت أنا أيضاً لزيارة مُرشدي ومرادي، فطلبت من الحاج (دباغ) أن يأخذني إلى قم لزيارة الإمام (الخميني)، لم يكن موافقاً في بداية الأمر؛ بسبب مشاغله الكثيرة، ولم يمنحه رب العمل رخصةً في ذلك، فكان يرفض الموافقة على هذه الزيارة، ولكنه وافق بعد إصراري المستمر عليه، والله يعلم كم رجوته في أن يأخذني إلى (قم)، فرضي بذلك شريطة أن نبقي لمدة ساعتين فقط.

تحركنا باتجاه (قم)، كنت مشغولة في التفكير طوال الوقت، وكم كنت أحب أن يختزل الطريق ويقصر المسير، لأزور الإمام (الخميني) بسرعة، فقد نظّم سماحته وقتاً للزيارات العامة صباحاً ومساءً لعدة

الفصل الأول: المسرى..... ٤١

ساعات، لكن وللأسف الشديد قالوا لنا بعد أن وصلنا هناك: «انتهت فترة الزيارة الصباحية».

الله يعلم كم أحزنني وآلمني سماع هذا الخبر، وكأنني هويتُ من شاهر، فكم أملت نفسي في ظروف صعبة ومعقدة جداً أن أصل إلى هنا، وكنت أرى في الإمام بارقة أمل للإجابة على أسئلتني، بينما أقف الآن أمام أبواب موصدة ومغلقة.

اختنقت بالعبرة، وازددت حزناً وألماً، وخيم هذا الحزن على قلبي بعدم نيلي السعادة ولقطة التوفيق.

وأنا بهذا الحال اتجهت نحو مرقد السيدة (المعصومة) (عليها السلام)، نظرت لها بنظرات مليئة بالأمني، فعرف زوجي ما حلّ بي، قال: الوقت ضيق، وعلينا أن نذهب إلى زيارة السيدة، بقلب مكسور.

اتجهت خطوات نحو مأوى وملجأ العشاق، وكنت أصرخ في أعماقي: «أيتها السيدة العلوية، لماذا لم تفتحي لي طريقاً لأرى السيد؟ سيدتي العلوية، لماذا سلب مني هذا التوفيق؟ لم لم تساعدني؟ لماذا ولماذا...».

زرت السيدة وصليت، فهدأ قلبي قليلاً.

للعودة إلى (طهران)، ذهبنا إلى الشارع الواقع خلف مسجد الإمام (الحسن العسكري) (عليه السلام)، كان السائق يصيح: (طهران)، (طهران)».

صعد إلى الحافلة أربعة أو خمسة ركاب، وكانوا ينتظرون أن تمتلئ السيارة، فالتحقنا نحن بهم أيضاً، ولم أكن أتفوه بكلمة لشدة تألّمي وحزني، بل وضعت وجهي على النافذة وصرت أنظر إلى الخارج.

٤٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

جاء السائق في الساعة الثانية بعد الظهر، وقال: «لقد حضر السيد إلى المسجد للمشاركة في مراسم تأبين الشهداء، كل من يحب أن يراه فليستعجل، فسنبقى ننتظره حتى يعود».

لما سمعت هذا الخبر، وكأن عطايا الدنيا وخزائنها قد وهبت لي، انطلقنا بعجالة نحو المسجد، بعد الدخول من الباب شاهدت جمعاً غفيراً من الناس، لم تكن الحركة نحو الإمام ممكنة لشدة الزحام، بقينا واقفين في مكاننا، وعلى رغم النقاب الذي سدلته على وجهي، لكنني شاهدت الإمام في صدر المجلس، كان وجهه يتشعشع نوراً إلهياً مثلما رأيته في منامي، جلس ابنه الحاج السيد (مصطفى) إلى جانبه، فقلت للحاج (دباغ): «لقد شاهدت السيد من قبل» فقال: «كلا، أنت مخطئة»، وفي هذا الحال، قمت ووضعت يدي على صدري دون شعور وألقيت عليه التحية باحترام من بُعد، كأن الإمام (الخميني) عرف توقيرنا له، رفع يده إلى أعلى وحركها، فشعرت وكأنني حرة طليقة لا يسعني جلدي، ولا أعرف أصابع يدي من أخمص قدمي، وكأنني قد ارتويت من نبع الكوثر الزاخر بالحياة، استعدت روحي وأنفاسي من جديد، وتيقنت أن ذلك المولى والسيد الذي رأيته في عالم الرؤيا وكان يتأوه من شدة الألم هو الإمام الخميني نفسه.

تغيرت حالي، ولم أفهم كيف عدنا من (قم) إلى (طهران)، لأنني لازمت البكاء وأنا مُلتفّة بعباءتي طول الطريق وباستمرار، فكان زوجي يقول لي: «(مرضية)، سيطري على نفسك، فلو عرفوا لماذا تبكين قد يسبب لنا المشاكل، اضبطي أعصابك» ولكن هل يمكن ذلك؟

بعد ذلك اللقاء المصيري، استعرت النار في قلبي، وتأججت في روحي، فسلب مني الهدوء والراحة، وصارت حياتي بعد ذلك غير عادية،

الفصل الأول: المسرى..... ٤٣

فكأنني أريد أن أقوم بشيء ما، ولكن لا أدري ما هو؟ كنت متحيرة في أمري، استمرت هذه الحالة إلى ثلاثة أو أربعة أشهر، حتى انتهى بي هذا الأمر إلى أن أرقد في المستشفى.

وأنا في المستشفى، كنت ألتمس وأتوسل زوجي - أثناء مرضي - أن يبيع البيت وأثاثه لنتقل إلى (قم)، لعلني أجد طريقاً ومنفذاً أن أوفق لأكون خادمة عند الإمام (الخميني)، فتضمّد جراحي وتسكن آلامي في زيارته ورؤيته كل يوم.

اشتدّ عليّ مرضي، وفقدت الوعي أكثر من أربعين يوماً، أطباء كثيرون جاءوا ليفحصوني، قال أحدهم: «إنها مبتلاة بمرض الحصبة»، وقال آخر: «عندها مرض الأعصاب»، لكن زوجي كان أعلم منهم بحالي، زارني يوماً ما أحد علماء (قم) الحاج السيد (موسوي الهمداني) وهو أحد أصدقاء زوجي، كان واقفاً فوق رأسي يقرأ دعاء وأنا مستلقية على فراش المرض، كان زوجي يعلم أنني أحب مجلس التعزية وقراءة حديث الكساء، طلب منه أن يقرأ حديث الكساء ومجلس للعزاء أيضاً، شعرت عندما قرأ. أن الإمام (الخميني) هو الذي يقرأ حديث الكساء ومجلس العزاء، فتحت عيني بسماع صوته، فرأيت (السيد الموسوي)، وقد جلس على كرسي يقرأ الدعاء، أخذت بطرف من أطراف عباءته وقلت: «ادع لي بالشفاء، فلم أعد أطيع البقاء على فراش المرض، والابتعاد عن أولادي أكثر من هذا».

الدكتور (ناصر برتوي) طبيب حاذق، عرف أن مشكلتي هي نفسية وفكرية، فأعطى بعض النصائح والتوصيات اللازمة، ذكرها لزوجي، وبعد الالتزام بجملة هذه التوصيات، تحسّنت حالي.

بكاء السيدة الزهراء (عليها السلام) :

بعد تحسّن حاليّ الصحيّة، عرفت ما الذي حلّ بي، وعدت من عالم إلى عالم آخر، وبمرور أربعة أعوام على ذلك اللقاء الروحي والمعنوي، حاولت كثيراً أن أقنع زوجي بأن نتردد على قم بين آونة وأخرى، لنحصل على معلومات وأخبار الإمام وهو في المنفى وذلك عن طريق أنصاره ومحبيه؛ كي تتضح لنا صورة عن الآفاق الفكرية والبرامج المستقبلية المتعلقة بسماحته، ومن جملة من قمنا بزيارتهم: المرحوم آية الله (رباني شيرازي)، الشهيد (محمد منتظري)، والسيد (موسوي أردبيلي)، وقد وفّقني الله عز وجل أن أزور سماحة العلامة (الطباطبائي) وألتقيه عدة مرات، فكانت هذه اللقاءات والزيارات فرصة مناسبة لعرض أسئلة متنوعة والحصول على أجوبة أكثر في تلك الأجواء.

عدا هذه اللقاءات، شاركت في مجالس الوعظ والإرشاد، ومجالس العزاء أيضاً.

وأخيراً جاء زوجي في أحد الأيام، وقال: «مرضية جاء إمام جماعة من قم ليصلي في مسجد محلّتنا، وهو من تلامذة السيد فلو رغبت أن نذهب إليه، ونطلب منه أن تكملني دراستك عنده».

كان هذا أفضل مقترح سمعته، إذ إن أمنيّتي القلبية هي مجالسة أحد تلامذة الإمام.

في أول فرصة ذهبنا إلى زيارة آية الله (سعيد) إمام الجماعة الجديد في المسجد، عرّفت نفسي له، وطلبت منه أن يأذن لي بالتلمذ على يديه. وبعد التأكيد والإصرار، سمح لي أن أدرس عنده يومياً لمدة ساعة أو ساعتين.

كان تحصيل وتعلّم مباحث دروس شرح اللمعة والمكاسب عنده ذريعة لأن أ طرح عليه أسئلتي حول الأوضاع الحالية، وأشكك في بعض القضايا أيضاً، أجب آية الله (سعيدى) برحابة صدر وبدقة على جميع أسئلتي. بمرور الوقت اتسمت البحوث بطابع سياسي، وأصبحت تدريجياً أكثر وضوحاً، علم آية الله (سعيدى) برغبتي واهتمامي بمعرفة القضايا السياسية، فبدأ قليلاً قليلاً يبين لي الظروف السياسية المعاصرة، فكان هذا حافزاً قوياً شجعني على الدخول في هذا الميدان، فكان سماحته يجيب على أسئلتي السياسية أحياناً، ويرسل بعض الأسئلة إلى الإمام ليجيب عليها أحياناً أخرى، فمثلاً: سألته مرة عن قيادة المرأة للسيارة، وقلت: «إنني أرغب في سياقة السيارة لأجل إنجاز بعض الأعمال والأنشطة السياسية على وجه السرعة»، وبما أن نظر الإمام في تلك الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية: هو حرمة قيادة المرأة للسيارة. فقد كتب الشهيد (سعيدى) رسالة بعثها إلى الإمام: بأن شخصاً بهذه المواصفات يريد أن يتعلم قيادة السيارة، فأجاب الإمام: عليه الرجوع في هذه المسألة إلى المراجع الآخرين.

دعاني آية الله (سعيدى) وبشكل مباشر إلى ساحة النضال بعد عدة اختبارات بدءاً من العام ١٩٧١م، بطرح المسائل السياسية للمجتمع والثورة والكفاح المسلح، والتحذير من خطر تهديدات وضغوط السافاك ضد الثوار.

طلب آية الله (سعيدى) يوماً من مجموع ١٦ سيدة من طالباته أن يكتبن مقالاً بمناسبة ولادة السيدة (الزهراء) عليها السلام، فكتبتُ أنا أربع

٤٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
صفحات عن بكاء السيدة (الزهراء) عليها السلام، تناولت فيها فلسفة هذا البكاء،
فهي على جلاله منزلتها وعظم شخصيتها وكونها قطب الوجود وعالم
الإمكان، لا شك في أن بكائها لم يكن مخصصاً لافتقادها أبيها عليه السلام، بل
كان هذا البكاء سلاح لإظهار الوجه الحقيقي للحكومة وللظالم والخيانة
التي ارتكبتها هذه الحكومة، فمن الخطأ أن نقول: إن بكاءها عليها السلام إنما
كان لعرض أو متاع الدنيا أو لأجل فذك، لكونها عليها السلام معصومة، ولا تترك
الأولى، ومن الخطأ كذلك أن نفكر بأن بكاءها عليها السلام بسبب افتقادها النبي
الأكرم عليه السلام، إذ إن السيدة (فاطمة) عليها السلام كانت خاضعة مستسلمة للمشيمة
والحكم الإلهي، وإنما ثارت وانتفضت في أجواء سياسية ومجتمع لا
تقدر فيه عليها السلام أن تلقي محاضرة أو حتى تعترض وتصرخ، فجمعت
حولها أشخاصاً، وصارت تنطق بلسان الحال ببكائها.

أتذكر في قسم من مقالة (الحسان والزینبان) وضع الشهيد
(سعيد) إصبعه على هذين العنوانين وقال: «أرى فكراً متجدداً وراء
هذا العنوان»، سأل عن سببه، فبينت له: «إذا كان الإمام (الحسن)
و(الحسين) عليهما السلام (حسان)، فكذلك السيدة (زينب) و(أم كلثوم) تكونان
(الزینبان)، وذكرت له أنه بنفس المستوى الذي تضحي فيه السيدة
(زينب) عليها السلام وتدافع، فكذلك السيدة (أم كلثوم) عليها السلام فإنها تدافع
وتضحي وتؤثر، ونحن نذكر كثيراً ما قامت به السيدة (زينب) عليها السلام، لكننا
لا نذكر ما قامت به السيدة (أم كلثوم) عليها السلام.

جمع الشهيد (سعيد) كل المقالات التي كتبت، وقرأها، ثم دعاني
وقال: يا سيدة (دباغ)، عليك أن توقعي في أسفل هذا المقال، سألته عن

السبب في ذلك؟ فأجاب: «لو قمنا بطباعة هذا المقال من دون توقيع، فسيتحسس السافاك تجاهه، لذا علينا أن نعرض مقالاً مع ذكر الاسم والتوقيع»، قلت: «نعم، لا بأس»، ثم وقّعت في أسفل المقال، نظر إليّ وتبسّم، فعرفت أنه يريد بهذا الفعل أن يختبرني، ويرى كم أنا على استعداد للثبات على موقفتي.

التجارة المربحة:

بمرور الزمان أوكل آية الله سعيدي مجموعة من المهام والوظائف لي مع سيدة أخرى تحضر في الصف، كان سماحته حلقة الوصل في نقل فتاوى الإمام من النجف الأشرف وإيصالها لنا، لنكتبها على قصاصات الورق ونوزعها بنحو من الأنحاء على الناس، كعند الشراء مثلاً من أحد المحلات.

أعطاني الشهيد (سعيد) في أحد الأيام كتاب الإمام: «ولاية الفقيه وكان مخطوطاً باليد»، وقال: «خذي هذا الكتاب واستنسخيه عدة مرات، وإذا اكتمل، ائيني به»، لم اكن استطع الاستنساخ نهاراً، فقد كنت أطمع أولادي عند الغروب ليهتموا بدراستهم، ثم أخذ الصغار ليناموا، ومن ثم أنشغل بالاستنساخ، أكملت ذلك في خلال أسبوعين، ثم أرجعت الكتاب إلى الشهيد (سعيد)، فابتهج كثيراً لعملتي، وبعد هذا أخذ يسلمني أعمال أهم وأكثر.

بمبادرة من آية الله (سعيد) أقيمت مخيمات لبعض الدروس والتمارين، ومن خلال التوجيهات والتعليمات التي يسديها لي استطعت أن أختار بعض البنات الشابات والنسوة الناشطات القادرات على تحصيل إذن وموافقة آبائهن وأزواجهن للتعاون والمشاركة في هذه

٤٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

المخيمات، كان أول مخيماتنا في النهار، فجاءت الخمس أو الست نسوة اللواتي قمت بترشيحهن جميعاً، تركت أبنائي الكبار عند أمي، واصطحبت معي أبنائي الصغار إلى المخيم.

يقع المخيم في حديقة غناء في منطقة (مرد آباد) بمدينة كرج، وقد نسّق السيد (سعيد) مسبقاً مع المعنيين، ولكن لمن هذه الحديقة؟ فلا علم لنا نحن بذلك.

كنا نجوب شوارع وأزقة أصلية وفرعية كثيرة لنوصل أنفسنا إلى تلك الحديقة، كانت هناك امرأة تركية الأصل تدعى (كمباني) تقوم بإعداد الخبز والجبن والفاكهة، وكان الشهيد (سعيد) يأتينا ليلاً من دون عمامة حفاظاً على نفسه، فيعطينا الدروس ويعلمنا. عُقدت هذه المخيمات في عدة مراحل، وصل عدد المشاركات في المخيم الأخير إلى ثمان عشرة امرأة.

لقد تراكم حجم الوظائف والمهام إلى درجة أنني لم أكن قادرة على متابعة شؤون البيت وأبنائي أبداً.

قال لي زوجي ذات مرة: «إنني لست راضياً بأن تشغلي نفسك بتلك الأمور» وكان يقول: «لقد كثرت أشغالك ووظائفك، وتأتين إلى البيت في وقت متأخر، يمكن أن يهددك خطر ما» فقبلت بعدم الذهاب بعدها.

في اليوم التالي اتصل الشهيد (سعيد) ليسلمني مهمة، قلت له: «إن زوجي لا يسمح لي بمتابعة هذه الأعمال»، فقال لي: «قولي للسيد (دباغ) أنني أريده أن يأتي عصراً إلى هنا [المسجد]»، كان زوجي منشغل في تلك الأيام ببيع وشراء الرز والسمن، و...

عندما عاد إلى البيت عصراً، أخبرته بذلك الموضوع.

ذهبنا عصراً معاً إلى المسجد، بعد السلام والترحيب المتعارف، قال الشهيد (سعيدى): «سيد (دباغ)، هناك أشخاص يريدون أن يقوموا بعمل تجاري، ويحبون أن تشاركهم؟» فأجابه زوجي: «سيدي ليس لي رأس مال، ولا امتلك الوقت الكافي لذلك، ولا أفهم في التجارة أيضاً، فلماذا يريدون مني أن أشاركهم» قال آية الله (سعيدى): «إن هؤلاء لا يطلبون منك مالاً، ولا وقتاً، ولا خبرة ومهارة، إنهم يريدون منك فقط أن تكون شريكاً معهم في الأرباح» فقال السيد (دباغ) متعجباً: «إنهم مجانيين حقاً، يقومون باستثمار أموالهم، ويجعلونني شريكاً معهم، فقال الشهيد (سعيدى): «سواء كان هؤلاء عقلاء أم مجانيين، فما عليك أنت بذلك؟ هذه عقيدتهم، هل تقبل مثل هذا العرض أم لا؟» قال السيد (دباغ) بتعجب واستغراب لهذا المقترح: «سيدي أنا لا استوعب، ولا أفهم؟ كيف يمكن ذلك؟»، تبسم الشهيد (سعيدى) قليلاً وقال: «الأمر واضح وسهل جداً، المراد أن لا تمنع ما تقوم به زوجتك، إنها امرأة كفوءة، جريئة وشهمة، دعها تمارس عملها خدمة للإسلام ضد الظلم، ولك أيضاً من الأجر والثواب بقدر ما تحصل هي عليه» تأمل زوجي في كلامه قليلاً وقال: «سيدي، إن (مرضية) لخدمة الإسلام، والقرآن، والسيد (الخميني)، وعليه فأنا، لا أمانع، كل ما ترى فيه أنت مصلحة».

هكذا أعلن زوجي عن رضاه وموافقته للاستمرار والمضي في طريقي، فلم يكن في يوم من الأيام يعاتبني في طوال تلك الفترة من الكفاح والنضال، الاعتقال، والنفي عن الوطن، وكان يقوم بشؤون البيت والأسرة، مما جعلني أتفرغ بشكل كامل لمتابعة النضال.

فطائر السكر المرّة:

كان استلام إعلانات وبيانات الآيات العظام ومراجع التقليد وعلماء الدين الثوار ومن جملتهم الإمام الخميني، ومن ثم توزيعها في طهران وسائر المناطق، يعدّ واحداً من عشرات الأعمال التي تمحورت في برنامج أنشطتي.

دخلت أحد أيام الثلاثاء إلى مدينة (قم)، بعد زيارة إلى حرم حضرة السيدة (المعصومة) عليها السلام، ذهبت إلى العنوان الذي عندي لأستلم البيانات والإعلانات، ثم ذهبت عصراً إلى (جمكران) ومسجد صاحب الزمان عليه السلام، عندما وصلت إلى هناك وبعد أن صليت أدت بعض الآداب المستحبة، ثم قمت بإخفاء الإعلانات والبيانات التي كانت معي بطريقة ماهرة في داخل المصاحف الشريفة، وكتب مفاتيح الجنان وسائر كتب الأدعية، ثم استطلعت كل زاوية من زوايا المسجد، ووضعت الإعلانات والبيانات فيها بكل دقة وهدوء في داخل الكتب.

بعد أداء صلاة الصبح، ولما يبرز فجر بعد، ويكشف ضوء النهار، اشترت فطائر الخبز المحلى ووضعت باقي الإعلانات والبيانات في داخلها، ثم سرت صوب وجهتي، كان عليّ أن أصل إلى (طهران)، لأهني أولادي كي يذهبوا إلى المدرسة، لم تكن في هذا الوقت المبكر سيارة تتجه إلى (طهران)، وقفت على جانب الطريق أنتظر مرور سيارة، لم تمض سوى دقائق، وإذا بسيارة من نوع (فولكس) وقفت أمامي، كان يسوقها رجل معمم، أنزل نافذة السيارة إلى أسفل، وسألني: «يا سيدة أين تريد الذهاب؟» قلت: «(طهران)، جئت يوم أمس إلى (جمكران)، وأريد الذهاب الآن إلى (طهران)، وأصل إلى البيت قبل أن يغادر الأولاد

إلى المدرسة»، قال: «تفضلي اركبي، فأنا أيضاً أريد الذهاب إلى (طهران)، وسأوصلك» قلت: «حمداً لله وشكراً». نزل المعمم وأخذ الخبز مني ووضعه في صندوق السيارة الأمامي ثم حرك الكرسي الأمامي، فدخلت، وأخذت مكاني لأجلس على الكرسي الخلفي، مضينا مسافة من الطريق، فأخذ السائق المعمم السيارة إلى جانب من الطريق، ووقف هنيئة، وقال: «يا سيدة أرجوك أن تأتي وتجلسي إلى الأمام، فجلوسك في الخلف مدعاة للشك وغير مناسب، قد يتصور البعض أنني رجل الدين المعمم سائق لنقل الركاب» قبلت كلامه، وتقدمت، فجلست في الأمام، كان الجو بين مظلّم وصحو، بعد قليل من المسير أوقف هذا الرجل سيارته ثانياً إلى جانب الطريق، ثم نزل منها، رفع باب الصندوق الأمامي، فلم أر بعد ذلك شيئاً، في هذه اللحظة ومن باب التطفل مني أو من باب إثارة حاسة داخلي لا من باب الشك، وضعت يدي على الدرج الموجود في لوحة العدادات، وفتحتها، فدهشت لما رأيته، هنا مسدس ومعه عصابة للعين، قلقت جداً وأصابني حالة من الهلع والتشويش والاضطراب، فأخذت أفكر وأقول: «يا إلهي ماذا أفعل؟ ما هي وظيفتي؟ كيف أنجو وأتخلص من هذه الورطة؟» فكرت طويلاً، فلم أصل إلى نتيجة، وأخيراً قررت أن أكون في حالة طبيعية، وليس من المصلحة أن أنزل من السيارة، فلو راوده الشك وسوء الظن بي، لصار الحال إلى أسوأ، وفجأة تذكرت (الفطائر) والبيانات والإعلانات التي وضعتها في داخلها، فحسبت أنه ينظر إليها، ازداد قلقي أكثر، حاولت بأيّ نحو من الأنحاء أن أسيطر على نفسي، لكنه عندما رجع، لم يكن لرجل الدين ذاك من خبر، فقد غير هذا الرجل شكله، وخلع عباؤه وعمامته،

٥٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وارتدى (سترة) و(بنطلون)، وقد سرح شعره، وعطر ثيابه، تشهدت الشهادتين حينئذ، ورأيت نفسي كأني سجين وأسيرة عنده، واعتقدت أنه أحد رجال الأمن قد غير ثيابه.

فكرت في تلك اللحظات: كيف أخبر زملائي وإخوتي بأنني اعتقلت؟ لكي لا يقعوا هم أيضاً في هذه المحنة، ولكن لا جدوى من ذلك ولا حيلة، فلم أصل إلى نتيجة لتلك الأفكار أيضاً، قلت: أتوكل على الله، لنذهب ونرى ماذا يحصل؟ طلع ضوء النهار، ووصلنا إلى مشارف (طهران)، فبدأ الحديث معي وسألني: «لماذا لم تسأليني لم غيرت ثيابي؟» قلت: «أنا لست متطفلة، وما شأني بثيابك؟» قال: «كلا، لا تتعجبي أنا رجل دين، ولكنني أحب النزهة والاستمتاع والذهاب إلى السينما، آتي آخر الأسبوع إلى طهران لأشاهد عدة أفلام، ثم أعود ثانية إلى قم، أنت ماذا؟ ما رأيك بالسينما؟» شعرت بالفرج والخلاص، وظننت أنه لم يلتفت إلى الإعلانات والبيانات، وقد كان هذا واضحاً من تصرفه، كانت فرصة مناسبة، فأجبت بدهاء وفطنة: «أنا لا أكره ذلك، فأحياناً أذهب إلى السينما» أجاب من دون مقدمة: «إذا وصلنا إلى (طهران)، لنذهب سوياً إلى السينما»، لقد أصبت الهدف، فقلت: «عليّ أن أذهب لأوصل الأولاد إلى المدرسة، ولست قادرة الآن على الذهاب إلى السينما» فقال: «لا بأس إن رغبت بهذا، لنحدد موعداً لذلك» قلت: «هذا أفضل»، فسأل: «متى؟ وفي أي وقت؟» قلت: «اليوم عصرًا، الساعة الرابعة، ميدان (شوش)، مقابل السينما، قف أنت هناك، حتى آتي إليك» ففرح وقال: «لا بأس»، ثم تابع سيره، وعندما وصلنا إلى ميدان (شوش)، قلت: «أنا أنزل هنا» قال: «كلا، ابق في السيارة لأوصلك» قلت: «كلا،

الأفضل أن أنزل هنا، وأركب في سيارة أجرة وأذهب إلى البيت، فليس من اللائق أن يراني أحد معك، نعم، لو كنت ترتدي ثياب عالم الدين لما كان في ذلك بأس، أما هكذا، فلو رأنا شخص من معارفنا أو أقاربنا، فستحدث لي مشكلة».

وأخيراً: أوقف سيارته في ميدان (شوش) وفتح الصندوق الأمامي، فأخذت فطائر الخبز وانطلقت.

كنت أتوقع وأنا أمشي أن رجال الأمن (السافاك) والشرطة سيحيطون بي ويلقون القبض عليّ، ولكن لم أر شيئاً من هذا كله، ركبت الباص، واطمأننتُ بأنه لا يوجد أحد يراقبني، وقد أعمى الله بصر رجل الأمن السافاكي، فحمدتُ الله على ذلك.

عندما وصلت إلى البيت، أخفيت البيانات والإعلانات، واتصلت بسرعة بأحد الإخوة من فريق العمل وقلت: «لقد أوقعت لكم صيداً»، وشرحت له بالتفصيل ما حدث، فقررنا تأديبه، عينا زمان ومكان اللقاء، وقلت: «لا بأس أن نلقنه درساً لا ينساه، ونضربه ضرباً مبرحاً، فإيذاء رجل الأمن غنيمة ومكسب»، توجّهنا إلى الميدان في الموعد المقرر، بينما كان زملائي مستعدون لذلك، كان رجل الأمن ينتظرنني في الموعد والمكان المقرر، وهو يرتدي ثياباً في غاية الأناقة والنظافة ذهبية إليه وسلّمت عليه، بينما كنا نتبادل أطراف الحديث والسلام، وصل أحد زملاء فصفعني على وجهي، حيث كانت الضربة على عباتي كما خططنا من قبل، وقال: «ماذا تفعلين هنا يا أختاه؟ وما علاقتك بهذا الوغد؟ ثم أمسك برقبته وأخذ يضربه بشدة، أما أنا فرجعت وركبت في سيارة أحد الزملاء وعدتُ إلى البيت، اشتدّ الضرب بين الرجلين إلى حدّ

٥٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أن تدخلت الشرطة لحسم النزاع، فاقتادوهما إلى مركز الشرطة... كان زميلي يقول: «إن هذا الوغد قد غرر بأختي وخدعها»، فاقتاد رئيس الشرطة الرجل الآخر إلى خارج الغرفة وأخذ يتكلم معه، لكن ماذا حصل وما جرى بينهما... لا علم لي بذلك.

بعد ذلك، نادى رئيس الشرطة زميلي وقال: «أرى من الصلاح أن تتصالحوا، وتتراضوا، فهي على أي حال أختكم، لها زوج وأولاد، وهي شابة، قد يتقوّلون عليها بعض الأقاويل».

وعلى كل حال، انتهت الخصومة، وكنا مسرورين فرحين أننا استطعنا تلقين رجل الأمن درساً لن ينساه...

الأخ الذي قام بهذا الدور اسمه (حميد)، استشهد أيام انتصار الثورة الإسلامية.

شهادة آية الله سعيدي:

علمنا بعد ذلك أن البيتين اللذين في (قم) وتصدر منهما البيانات والإعلانات بتوجيه آية الله (سعيدي) هما: بيت آية الله (منتظري) والآخر: هو بيت آية الله (رباني شيرازي).

كان توزيع البيانات يتم بأساليب خاصة، كنا نذهب ثلاث ليالي في الأسبوع إلى (شميرانات) وشمال (طهران)، وثلاث ليالي أخرى إلى جنوب (طهران)، وكنا نضع هذه البيانات والإعلانات إما تحت المنظفة الأمامية لزجاج السيارات، أو نضعها في داخل البيوت بمهارة وبطريقة خاصة، وعدة مرات أرسلناها بالبريد إلى عناوين المراكز، المؤسسات، العيادات، و... التي كنا نجد عناوينها من دليل المعلومات، كان أهم

نشاطنا وعملنا في عام ١٩٦٧م و ١٩٧٠م يصب في قالب: الدرس، البحث، وتوزيع البيانات، و...

في شهر مايو من عام ١٩٧٠م، قَدِمَ عدد من المستثمرين الأمريكيين إلى إيران للمشاركة في مؤتمر اقتصادي وتحالف بين مجموعة من الشركات، فألقى آية الله (سعيدى) كلمة وأصدر بياناً بالمناسبة، أعلن فيهما عن معارضته الشديدة للحضور والتواجد الاستعماري... كان سماحته من السباقين الأوائل في هذه الحركة، وكنا نرتقب ردود أفعال النظام بشأن ذلك.

كنا ندرس في شهر (خرداد) في بيت الشهيد (سعيدى)، رنّ جرس الهاتف، فأجاب السيد، ولا أدري ماذا دار من حديث، فإذا بوجهه يتغيّر، وضع سماعة الهاتف، والقلق باد على وجهه، رفع طرف الفراش، وأخرج مجموعة من الأوراق، ومزّقها، ثم وضعها في فيه وابتلعها، توقّعنا أن حادثاً مؤلماً سيحلّ بنا قريباً، سكت قليلاً وبعد تأمل، نظر إلى أشرطة تسجيل موضوعة على الرف، وسأل: «هل هناك من هو مستعد لأخذ هذه الأشرطة، وتكثيرها؟» فوضعت حقيبتى أمامه، ووضع أشرطة التسجيل بداخلها.

عندما دخلت باحة البيت وأردت الخروج، وصل رجال الأمن (السافاك)... لقد جاءوا لإلقاء القبض على آية الله (سعيدى)، رجعت بسرعة... وبينما كان أزلام النظام يفتشون البيت، استطعت أنا والابن الأكبر لآية الله (سعيدى) على ما أظن اسمه (محمد) أن نضع الأشرطة والإعلانات والبيانات في داخل كيس ونرميه خلف جدار البيت، كانت أرض خربة متروكة، عند الخروج من البيت فتش رجال الأمن حقائب

٥٦.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

كل مَنْ كان هناك، فلم يعثروا على شيء في حقيبتني، خرجنا من هناك، وبعد لحظات اقتادوا معهم آية الله (سعيدني).

أسرعت في السير بعد الخروج من هناك وأوصلت نفسي إلى دكان (علي بهاري)^(١)، الذي كان يرافقنا في نضالنا، فشرحت له ما جرى، كان هذا الرجل خبيراً في أمر التستر والاختباء، فذكرت له موضوع الكيس وفيه البيانات وأشرطة التسجيل، ومكان إخفائها، للإسراع في نقلها وإخفائها.

كان (بهاري) رجل حاذق جداً وفطن، ركب دراجته النارية وذهب إلى هناك، واستطاع بحركة منه أن يحدد الموقع، ثم رجع، ثم عاد إلى هناك مرة أخرى عَصراً، فجاء بالكيس إلى بيتنا، أخذته منه، وأخفيته في أعلى سطح البيت المجاور لبيت أختي والتي كانت صديقةً لي.

ثم استفدت من وقت خروجهم من البيت، فأخذت الكيس وأخفيته في سرداب بيتهم.

عندما سافرت عائلة أبي إلى (همدان)، أخرجت الكيس مرة أخرى، وأخذته إلى بيت أبي، فلففته بنايلون وأخفيته تحت التراب في حديقته.

(١) علي بهاري الهمداني، ابن إسماعيل، ولد في مدينة (قم) عام ١٩٣٤م، قَدِمَ إلى (طهران) مع أبيه وعمره سبع سنوات، درس إلى الصف الثاني في ثانوية (مروي) للبنين، ومن ثم درس في الحوزة في مدرسة (خان)، أصبح عضواً في هذه المدرسة في حركة (فدائيو الإسلام)، واشتغل بالخياطة أيضاً، اعتقل مع مجموعة من قادة هذه الحركة، وتم إرسالهم إلى سجن (قزل قلعة)، وبعد تعذيبهم، صدر حكم بسجنه ثلاث سنوات، وهو حي يرزق حالياً، يبيع الألبان.

ليس هناك خبراً عن آية الله (سعيدى)، وكلمما راجع أهله وأصدقائه السجن، لم يحصلوا على نتيجة، ولا أثر.

في يوم ١١/٦/١٩٧٠ وبعد ١١ يوماً من الاعتقال وصل خبر من ابنه الكبير: أن أباه قد استشهد، فجاءوا بالجسد الطاهر لهذا الشهيد العزيز ودفنوه في (وادي السلام) في مدينة (قم) ليلاً كأمه (الزهران) (عليه السلام).

انتشر خبر استشهاد آية الله (سعيدى)^(١)، بين الناس، فخرجوا في تظاهرات احتجاجية في (قم).

عندما سمع الإمام (الخميني) قال: «حققوا في الخبر واعرفوا الأمر

(١) آية الله السيد (محمد رضا سعيدى)، ولد في عام ١٩٢٩م، في محلة تسمى (نوغان) من محلات مدينة (مشهد) المقدسة، في أسرة متدينة ومن رجال الدين، وأهل العلم والسياسة، أكمل دروسه الحوزوية في (مشهد) و(قم)، وحصل على درجة الاجتهاد، حضر دروس أساتذة مثل: آية الله العظمى (البروجردى)، وآية الله (ميرزا هاشم الآملى) و... بعد أن دوى صيت سماحة المجتهد والمرجع الأعلى آية الله العظمى السيد (روح الله الموسوي الخميني)، حضر درسه، وعثر على ضالته المنشودة حينئذ.. بعد اعتقال الإمام الخميني في عام ١٩٦٣م، كان في الكويت يشغل بأمر التبليغ، وبعد سماعه الخبر، ارتقى المنبر في إحدى حسينيات (الكويت)، وانتقد فيها سياسة (الشاه) في (إيران). بعد نفي الإمام الخميني من (تركيا) إلى (العراق)، ذهب آية الله (سعيدى) إلى (النجف) الأشرف، وأثناء عودته إلى (إيران).. صير مسجد الإمام (موسى بن جعفر) (عليه السلام) مقراً له للتبليغ، وشن هجماته على نظام (الشاه) الفاسد. لعب آية الله (سعيدى) دوراً مهماً في صدور بعض البيانات والإعلانات، احتجاجاً على سياسة (الشاه) في (إيران) من قبل رجال الدين، وتشاهد توقيعاته في أكثر تلك الاعتراضات والاحتجاجات. تم اعتقاله أخيراً بعد نضال وكفاح مرير ضد نظام (الشاه) الفاسد وإلقاء الكلمات والمحاضرات النارية ضد تحالف (المستثمرين الأمريكيين) في (إيران) عام ١٩٧٠م، استشهد بعد عشرة أيام من إلقاء القبض عليه، وبعد تحمل أشد وأقسى التعذيب.

٥٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
بدقة»^(١)، شعرنا بالحزن الشديد والألم لاستشهاده، ولم نكن نعلم ماذا
علينا أن نفعل؟ إلا أننا متيقنين أنهم عذبوه بشدة، واستشهد على
أثر ذلك.

سنمضي في طريقك أيها الشهيد:

بعد استشهد آية الله (سعيد)، حصل خلل في تنظيماتنا وخططنا،
فكان ينبغي وبنحو من الأنحاء أن أتابع طريق النضال والدرس أيضاً،
وأخيراً قررت متابعة دروس الحوزة - شرح اللمعة والمكاسب - عند
السيد (مجتبى صالحى خوانساري)^(٢)، وأستاذ آخر.

لكي استمر في الكفاح والنضال، كنت ذات صلة بأشخاص
مرتبطين بالشهيد (سعيد) في (قم) منهم: الشيخ (محمد منتظري) وآية
الله (رباني شيرازي)، وبهذا النحو بدأت صفحة جديدة من حياتي
السياسية، كان الشهيد (منتظري) يحوّل لي بعض الأعمال والمهام، منها:
السفر التبليغي السياسي إلى بعض المناطق، لتوزيع البيانات، الكتب،
أشرطة التسجيل، وإلقاء المحاضرات، والتعرف على الأشخاص
المتدينين المؤمنين والثوريين.

(١) محتشمي، السيد علي أكبر، المذكرات السياسية ل طهران، دار الفكر الشاب، عام

١٩٩٩م، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) الشهيد حجة الإسلام السيد مجتبى صالحى خوانساري، ولد عام ١٩٤٤م، في
مدينة خوانسار، مارس الأشغال الحرة في فترة من الفترات، ودرس العلوم الدينية وتعمم عن
طريق الشهيد (سعيد)، كان مرافقاً للشهيد (سعيد) طول فترة الجهاد والنضال، استشهد في
عام ١٩٨٤م، أثناء حمله ملابس وغذاء إلى منطقة (جوانرود)، اغتالته أيدي مجموعات
(كوملة) الإرهابية.

في هذه المدة غير زوجي عمله، واشتغل في شركة هندسة البناء قسم المحاسبة، ولذلك كان يسافر غالباً إلى مناطق ومحافظات بعيدة مثل: (دزفول)، و(آبادان)، ويتواجد قليلاً في البيت، يأتي إلى البيت عدة أيام في الشهر، ثم يسافر مرة أخرى، تعرّف في إقامته هناك على ضابط يدعى (أحمدي) يعمل في القاعدة الجوية في (دزفول)، فدعاني لإلقاء كلمة للنسوة في القاعدة، قبلت دعوته، فدخلت بصفتي (مهندسة) إلى (دزفول)، وأخذت أتردد على بيوت الضباط والرتب العسكرية خمسة عشر يوماً، ألقى محاضرات على زوجاتهم، وأرفع النقاب عن وجه الظلم الذي يمارسه النظام الشاهنشاهي الطاغوتي الحاكم، ومن الطبيعي أن مثل هذه التحركات في ذلك المكان المحدود والمراقب، والذي تتردد فيه النسوة، لا يخفى عن رصد وأعين المخبزين السريين من أظام النظام، فعرفت دائرة الاستخبارات في تلك القاعدة العسكرية بهذه الأنشطة، جاءني في يوم من الأيام أحد الجنود في الساعة العاشرة صباحاً وهو مضطرب قلق، فقال: «سيدتي المهندسة، كنت أقف وراء باب مركز القيادة فسمعت أنهم يريدون إلقاء القبض عليك، ولأنني من محبي وعشاق محاضراتك، لا أحب أن تقعي في قبضتهم، فأتيت إليك لأخبرك بذلك»، أخذت حقيبتني باستعجال وبدون أن أودع أحداً، خرجت بهدوء وسكينة وصمت من القاعدة، وجئت إلى المدينة، أخذت أتمشى قليلاً في مدينة (دزفول)، صليت الظهر والعصر في أحد المساجد، ثم اتجهت إلى مدينة (أنديمشك)، ركبت في القطار متجهة إلى (طهران).

كانت حركة ذلك الجندي البطل تبعث على الدهشة والتأمل، إذ إنها تشير إلى أن الناس العاديين عشاق لحركة الإمام (الخميني)، ولحكم

٦٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الإسلام في القلوب، وعرفت بعد ذلك أنهم تحركوا لإلقاء القبض عليّ في ذلك اليوم، فأخذوا يفتشون عني بيتاً بيتاً ولكن دون جدوى، وباءت كل محاولاتهم بالفشل، وفي الأثناء أُلقي القبض على السيد (أحمدي)^(١)، لتعاونه معنا، وأودع السجن.

سافرت إلى مدينة أردستان للتبليغ وتوزيع الإعلانات والبيانات وفقاً لنصيحة من آية الله منتظري. مضافاً إلى إلقاء المحاضرات والخطب على السيدات، قمت أيضاً بتوزيع عدد كبير من رسالة الإمام العملية التي تحتوي على الأحكام الفقهية وفق نظره بين الأهالي بعد تبديل اسمها وغلافها، وبهذه الطريقة أصبح عدد كبير من أهالي مدن وقرى تلك المناطق مقلّدين للإمام (الخميني)، بقيت هناك ثمانية أيام كاملة، فعرف رجال الأمن والسافاك بنشاطي، أُخبرت بمطاردتهم لي، فغادرت ذلك المكان، وذهبت إلى مدينة (قم)، وسلّمتُ تقارير أنشطتي، بقيت يوماً هناك ثم عدت إلى (طهران).

علمت وأنا في (طهران) أن رجال الأمن (السافاك) جاءوا عدة مرات لتفتيش بيتنا، وسألوا عني، فرحت كثيراً أنني كنت لفترة زمنية

(١) بقي السيد (أحمدي) في السجن حتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، تقول السيدة دباغ: (بعد الثورة أردت في يوم ما أن أسلم سلاحي في قاعدة طيران (نورّه) في مدينة (همدان)، لأصعد في الطائرة، سألني أحد الضباط: أنت من أي أصل في عشيرة (دباغ)؟ أجبت: أنا (مرضية حديدجي - دباغ) فرح وقال: تلك السيدة التي كانت تلقي محاضرات في معسكر (وحدتي) في مدينة (دزفول؟! قلت: (نعم، وكيف؟) فقال: أنا (أحمدي) أتذكركيني؟! بعد أن هربت ألقوا القبض عليّ، فابيض شعري من أثر السجن والاعتقال، ولو لم تنتصر الثورة لم يكن من المعلوم إلى أي مدى أبقى في السجن؟ سررت برؤيته كثيراً، ودعوت له.

بعيدة عن مرمى سهامهم، حتى تعود المياه إلى مجاريها، والأمور إلى حالتها الطبيعية، وبهذه الحالة، صرفت ذهني عن البقاء في (طهران)، فجمعت أمتعتي مرة أخرى واتصلت هاتفياً بأختي، وقلت لها: «اهتمّي بالأولاد، فأنا مضطرة إلى أن أغادر هذا المكان لفترة وأكون بعيدة عنكم، لأنني سأسافر».

ذهبت إلى (مرآب) في (طهران)^(١)، واتجهت من هناك إلى (همدان).

رجعت إلى مسقط رأسي والمكان الذي وُلدت فيه وقضيت فيه أيام الطفولة والشباب، استعدت فيه الذكريات الرائعة التي قضيتها هنا، كان الحضور والتواجد في هذه المدينة فرصة لأتعرف وأستقطب أشخاصاً جدد في طريق الكفاح والنضال، وأقيم علاقات جديدة مع الثوار، ولكن للأسف كانت هذه الفرصة قصيرة جداً، لقد كنت في (همدان) أفكر كثيراً في استثمار الموقع الجغرافي وإعادة تقييم المنطقة من جديد، عندما عدت إلى (طهران)، استعرضنا مشروعاً جديداً مع الأخوة العاملين معنا في الحوزة ومجاميع الشهيد (سعيد) وهو إقامة مخيمات للعوائل والأسر، ووضعنا خطط وبرامج عديدة بهذا الشأن.

استأجرنا في البداية بستاناً في أطراف (طهران)، ودعونا مجموعة من السادة والسيدات الثوار من عدة محافظات، كان تواجدنا (العوائل)

(١) لم يكن عمل محطات نقل الركاب بهذا النحو كما نحن عليه اليوم وبهذا الحضور الواسع، بل كان يتم نقل المسافرين عبر المرآبات والگارجات المخصصة لذلك، مثل: ميدان خراسان، والرازي (الجمارك)، وتسمية الشوارع والأزقة باسم المدن التي تقصد، مثل: زقاق خراسان، شارع خراسان، شارع قزوین، و...

٦٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
في مكان واحد منظراً جميلاً ورائعاً، حيث تعرّف الأطفال على أصدقاء
جدد، وانشغلوا باللعب والمرح والحركات الصبائية، وكانوا يتصارخون
في لعبهم فرحاً، ووَجَدَت النسوة أيضاً محفلاً ومحلاً للأنس، فأخذن
يتبادلن أطراف الحديث، أما الرجال فقد أحكموا خططهم ووضعوا
برامجهم أيضاً، ولو جاء أحد إلى هنا نهائياً لما شك أبداً بوجود تجمّعاً
ومخيماً سياسياً في هذا المكان.

بعد مغيب الشمس كنا نصلي المغرب والعشاء جماعة ثم يبدأ
برنامجنا الأصلي، وهو عبارة عن التعليم، المحاضرات، النقاشات
الجماعية، و...

دعونا في (همدان) أيضاً بعض العلماء والشخصيات ورجال الدين
البارزين ومن لهم جهاد ونضال، كآية الله (مشكيني)^(١)، وآية الله (رباني

(١) آية الله الميرزا الشيخ (علي فيض المشكيني)، ولد في عام ١٩٢٢م، في قرية تسمى
(مشكين شهر)، من أسرة رجال دين علماء، أنهى مرحلة دراسته الابتدائية هناك، جاء إلى (قم)
بعد وفاة أبيه، وبدأ دراسته الحوزوية والعلوم الإسلامية في الحوزة العلمية في مدينة (قم)
المقدسة، تتلمذ على يدي أساتذة كبار كالإمام (الخميني) وآية الله العظمى (البروجردي) وآية الله
(الخوانساري) وأساتذة آخرين.

كان آية الله المشكيني من الأشخاص المعدودين من أنصار الإمام (الخميني) عليه السلام، قضى
قسم من عمره الشريف في المنفى والسجن بعد انتفاضة (١٥ خرداد) عام ١٩٦٣م، تصدى بعد
انتصار الثورة الإسلامية لعدة مسؤوليات، منها: حاكم شرع محاكم الثورة، إمام جمعة (تبريز) بعد
استشهاد آية الله (مدني) إمام جمعة مدينة (قم)، عضو ورئيس مجلس الخبراء، ورئيس شورى
لجنة إعادة صياغة الدستور، وبعد اليوم أحد أهم وأبرز الشخصيات والأساتذة في تدريس علم
الأخلاق.. له مؤلفات وآثار عديدة، مثل: المنافع العامة، اصطلاحات الأصول، حاشية العروة،
الرسائل الجديدة، المصباح المنير، الفقه المأثور، نواحي، الزواج في الإسلام، التقليد، الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، الجمهورية الإسلامية، الأرض، وتوفي رحمته الله في ٢٩/٥/٢٠٠٧.

شيرازي) لإلقاء المحاضرات. عندما قَدِمَ آية الله (مشكيني) لقضاء العطلة والاستجمام في قرية (حيدرة) وسهل (مرادبيك) في (همدان)، دعونا للحضور والمشاركة في اجتماعنا، ليلقي على مسامعنا محاضرة أيضاً بالمناسبة، زارنا سماحته مرتين، وفي كل مرة كان هو الذي يؤمنا في الصلاة.

كانت تتشكل أيضاً مجالس للبحث ودراسة الأوضاع والقضايا السياسية، يجاب فيها على الأسئلة، ويدلي كل واحد برأيه بشأن المقترحات، وأخيراً بعد انتهاء مدة المخيم يعود الجميع بفوائد جمّة، إذ كانت برامج من بعد المخيم الدرس والبحث مهمة جداً في إيجاد الانسجام والوحدة لدى المجموعات النشطة، خاصة الدروس التي ضاعفت من مستوى معلوماتنا.

إكمال الدراسة:

كان عليّ أن أكمل دراستي أيضاً، ذهبت أبحث عن أستاذ بعد استشهاد آية الله (سعيدى) لاستأنف الدراسة، كانت تعقد حلقات الدرس في (بيت) الأستاذ، بعد عدة دروس شعرت بأن الأستاذ كاره لتدريسنا، ذهبت كما هو معتاد إلى بيته في الموعد المقرر - أي الساعة العاشرة صباحاً - طرقت الباب، ففتحت زوجة الأستاذ الباب، وقالت: «قال زوجي إنني لن أُدرّسك» سألتها عن السبب، وأن عليه أن يجيبني لماذا هو غير مستعد أن يدرسني فأنا لم أكن كسولة، أو بطيئة الفهم للمطالب لكي أتعبه، وها أنا ذا أقوم بأكثر الأعمال، والأستاذ يجيب فقط على إشكالاتي وشبهاتي، فإذا كنت مقصرة في شيء، عليه أن يقول ذلك، وإن كان

٦٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الإشكال منه، حيث ليس لديه الوقت الكافي للتدريس، فعليه أن يصرح بذلك أيضاً، لأختار أستاذاً آخر، فليس بهذه البساطة أترك دراستي».

تحدثت كثيراً في هذا، فأطلّ الأستاذ علينا من البيت، قلت له: «أستاذي إن كان هناك إشكال، فقل لي حتى أبذل جهدي لرفع هذا الإشكال» قال: «لا، أتريدين أن أكون صادقاً معك وأصارحك، إنك منذ بداية مجيئك إلى الدرس، صارت زوجتي تصرّ عليّ أيضاً أن أدرّسها، لكنني لم أكن أحب لها ذلك، فالأفضل لها أن تهتم بشؤون البيت وتربية الأولاد، فلا حاجة لها في الدراسة...»، إنّ ظهور هذا النوع من التفكير المتحجر والرجعي المتخلف كان كافياً لي أن أجنب التلمذ عنده، وعليّ أن أبحث عن أستاذ آخر، ذهبت بعدها إلى درس الشهيد السيد (مجتبى صالحى الخوانساري).

الارتباط بالمراكز الجامعية:

مضافاً إلى هذه الأنشطة والفعاليات، قمتُ باتصالات مع الطلبة الجامعيين المناضلين في جامعات (العلوم والتكنولوجيا)، (صنعتي شريف) و(آريا مهر) و(الجامعة الوطنية) جامعة الشهيد بهشتي، وذلك عن طريق أبناء أخوات زوجي، وهم: السادة الأخوين عراقجي والأخوين قيطاني والأخوين سجادي، وهم طلاب جامعيين يدرس كل واحد منهم في إحدى جامعات طهران^(١)، كنا نعقد اجتماعات مشتركة، وبدعم الطلاب الجامعيين كنا نكثر المنشورات ونوزعها على الجامعات،

(١) الأخوان (عراقجي) أحدهما طالب هندسة الكترونية، والآخر طالب هندسة الطرق في جامعة التكنولوجيا والعلوم، أما (القيطاني) فهو طالب جامعي في الهندسة فرع الطرق والإعمار، وأخوه مهندس كهرباء، وأما (سجادي) فهو أحد طلاب المدارس، والآخر جامعي في فرع الاقتصاد.

وندير من خلالهم أيضاً مواقع ومراكز في الشمال (تنكابن)، والجنوب (آغاجاري)، والغرب (همدان) وكنا نشرف على تلك الأنشطة، وقد اتخذنا التدابير اللازمة لصيانتها من الاختراق، ومن هذه التدابير أن هذه المواقع تدار بشكل مجاميع تنظيمية، وكل فريق منها يتصل بمسؤول أعلى منه، وهو لا يعرف إلا من خلال الرمز واسمه المستعار، وطبعاً الموجودون ضمن فريق واحد يعرفون بعضهم، ولكن طبيعة مسئولية عمله لا علاقة له بالفريق الآخر، بل يرتبط بشخص واحد من هؤلاء أو من مجاميع أخرى.

وبسبب كثرة وحجم العمل، وقع عدد منهم في قبضة النظام، ويعود السبب في ذلك إلى يقظة أعلام النظام الشاهنشاهي (السافاك)، لكن بسبب ما اتخذناه من التدابير اللازمة بشأن ذلك، لم تتعرض المجاميع الأخرى لأي أذى والحمد لله.

سفرة قصيرة إلى إنجلترا:

أصيب ابني الصغير (محمد) الإبن الوحيد للعائلة في تلك السنوات بمرض القلب والربو، لم يكن الأطباء واثقين من نجاح العلاج في إيران، فأوصونا بالسفر إلى (أوروبا) والمعالجة خارج البلاد، ولم يكن أي شيء مهماً بالنسبة لي بقدر سلامة ابني (محمد)، كان علينا أخذه ومعالجته في الخارج، ولكن بسبب الأزمة المالية التي عانينا منها، كان الأمر في اعتقادنا مستحيلاً، فعرضنا الأمر على الأخوة في التنظيم (فرع السوق)، وطلبنا منهم العون والمشورة، وبعد معرفة زملائنا بذلك، جمعوا لنا المال، ووضعوه في متناولنا من دون أي قيود أو شروط، بعد استشارة زوجي قررت أن أذهب أنا و(محمد) لوجدنا فقط.

٦٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

هيننا مقدمات السفر بكل سهولة وبساطة، فقام زملاؤنا في (إنجلترا) بتعيين المستشفى ومحل الإقامة والسكن أيضاً، عندما وصلنا إلى (إنجلترا) والمستشفى المطلوب، قام الطبيب الأخصائي وكادر المستشفى بمعالجة (محمد) فوراً، وطلبت من الله عز وجل أن يشفيه، وقد تكللت العملية والحمد لله بالنجاح.

في الفترة التي كان (محمد) راقداً في المستشفى، كنت قادرة على جمع بعض المعلومات هناك، والتعرف على اتحاد الجمعيات الإسلامية للطلاب الجامعيين في (أوروبا) و(أمريكا)، وقد أفادتني تلك المعلومات والتقارير التي جمعتها في المستقبل القريب.

وعلى كل حال، عُدنا بعد معالجة (محمد) إلى (إيران).

هجوم رجال (السافاك) على البيت:

قررنا في عام ١٩٧٢م أن نزيد عدد المقرات والبيوت السرية للعمل، ونقوم بجذب عدد أكبر من الناس، فكان علينا أن نخطو عدة خطوات في هذا الاتجاه، وأفضلها: تعريف الشاب بالشابة المسلمة بهدف الزواج، وتشجيعهم على الحياة المشتركة، وبعد تشكيل أيّ زواج، يجهز بيت ومقر للأخوة والأخوات الثوار.

زوَّجتُ ابنتين لي في ظلّ هذا المشروع، تتراوح أعمارهن بين الثلاثة عشر والأربعة عشر عاماً، وقد كان يحظر على البنات قانونياً أن يتزوجن في أعمار مبكرة طبعاً، لكن حاولنا أن نأخذ الإذن من المحكمة وبأعذار مختلفة للسماح بهذا الزواج، وكنا قد وفرنا إلى حد ممكن - من خلال المقترحات - مساعدات مالية وإمكانات أخرى أيضاً.

في عام ١٩٧٣م، تم عقد قران أحد هؤلاء الأزواج في بيتنا يدعى (صادق سجادي) وهو ابن أخت زوجي.

في الليلة التالية، وحسب عاداتي، أخذت سطل القمامة لأضعها خارج الدار، فتحت الباب وإذا بشخص يضع رجله على الباب، فقلت: (تفضل) قال: «هل الشخص الفلاني موجود؟» قلت: «على فرض أنه موجود فما علاقة ذلك بك؟» قال: «تفهمين ذلك فيما بعد، افتحي الباب لأدخل»، عرفت بهذه الجملة أنه لم يكن لوحده، وحدثت أنهم رجال الأمن (السافك)، أصابني الصدمة في اللحظة الأولى، إلا أنني استعدت قواي وسيطرت على نفسي، وأظهرت أنني أتجاهل، فعلا صوتي بحدة قائلة: «إن بناتي نائمات في الغرفة، ولم يرتدين المقانع، فلا يحق لكم أن تدخلوا، فمن أنتم؟ وما شأنكم؟» وخوفاً من أن يكون رفع صوتي وصراخي مدعاة لتجمع الآخرين، اضطربوا قليلاً وأخذوا ينظرون إلى الأبواب والنوافذ الموصدة، وقالوا: «أجل، ولكن لا تصرخي عالياً، أين ينام أبناؤك؟ إذهبي وغطي رؤوسهن بالمقانع» ولكي لا يتبعني أحد منهم قلت: «البنات نائمات في الغرفة السفلى، اذهبوا أنتم إلى أعلى» وبهذه الجملة تبعني هؤلاء فدخلوا البيت، وكان عدداً آخر منهم قد بقي ينتظر في الخارج.

ذهبت بسرعة إلى الغرفة السفلى، وتوكلت على الله، فجمعت كافة الوثائق والمستندات الموجودة عندي في البيت، ومن ثم أخفيتُها عن الأنظار، كان من بين تلك الوثائق والمستندات عدداً من بيانات الإمام (الخميني)، أخفيتُها خلف درج المطبخ، وأخفيت مجموعة من كتاب (ولاية الفقيه) داخل وسادتي.

كان لزوجي أخت مسنة نهتم بها ونرعاها في البيت، فوضعت

٦٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وسادتي تحت رأسها، وأخذت بعض الأشرطة والكتابات إلى الحمام، ولففتها بالملابس المتسخة الغير مرتبة، وغطيتها بطشت.

مع الضجيج والصراخ الذي أوجده في ممر البيت، كنت أتوقع أن يسمع أبناء أخت زوجي الذين كانوا في الغرفة فوقانية، فيخفوا أنفسهم أو يهربوا، ولكنهم لم يهتموا لذلك مع الأسف، فوقع اثنان منهم في قبضة عناصر الأمن، فعرض هذا الأمر البيت إلى الخطر، وجعله في وضع صعب ومعقد. عندما أخرجوهما معصوبي العينين من البيت، اتصلوا باللاسلكي وقالوا أنهم ألقوا القبض على فريستين ثميتين.

في هذه الضوضاء وتواجد رجال الأمن، غفلوا عن أخ زوج بنتي والذي كان صغيراً في العمر، فاستفدت من هذه الفرصة، وأعطيته عباءة امرأة ليرتديها، ووضعت بين بناتي، بعد لحظات، بدأوا البحث والتفتيش في الأمتعة داخل البيت، وعبثوا بكل شيء، كانت أخت زوجي المسنة تثرثر بالكلام، وتقول: «تعالوا إليّ وخذوني»، فيرد هؤلاء عليها: «نامي أيتها العجوزة» فتأكدت أن الكتب في محل آمن.

عندما سحبوا جرارات الخزائن وأخذوا يرمون ثياب وأمتعة الأولاد إلى الخارج، كان قلبي يضطرب، وكنت قلقة جداً على المنشورات، لكنهم لم يعثروا داخل الجرارات على شيء، ولم ينظروا إلى ورائها أيضاً، فارتحت لهذا كثيراً.

كانوا قد عبثوا بالمطبخ، فخلطوا السكر بالملح، الحمص باللوبياء وكافة التوابل والحبوبات، فاختلط كل منها بالآخر، كنت أعلم أنه لا يوجد شيء هناك، لكنهم عندما دخلوا إلى الحمام، ازدادت ضربات قلبي، شاهد أحد رجال الأمن سلة الملابس المتسخة وقال: «ارفعي

الطشت»، قلت: «لا شيء هنا، فقط ملابس متسخة» عندما رأى مخالفتي ارتفع عنده الشعور بالتطفل، فرفعه بنفسه، قلت له «أنت رجل ألك غيرة وشرف؟ هنا ثياب بناتي فقط» بهذه الجملة ومشاهدة منظر الثياب المتسخة، خرجوا من هناك، فتنفست الصعداء.

سنة أيام في حصار واحتلال:

لم يصل رجال الأمن إلى شيء أثناء البحث عندها، قالوا: «إن لنا أوامر بأن نحلّ عليكم ضيوفاً في البيت لعدة أيام» قلت: «حسناً، لا أقدر أن أفعل شيئاً، أرجوكم أن تذهبوا إلى الطابق العلوي، فأنا عندي سبع بنات، ووجودكم يسبب لي المضايقة».

صعد هؤلاء إلى الطابق العلوي، إلى المكان الذي عيّنته لهم، ولم يكن هذا المكان بالنسبة لهم سيئاً، إذ كانوا مشرفين على كل شيء ويراقبونه بدقة.

صار وقت الظهر فنزلوا إلى أسفل، وطلبوا طعام الغداء، غضبت بشدة من وقاحتهم، لكنني سيطرت على نفسي، وقلت: «عندنا لبن وخيار فقط»، لم يطب لهم هذا الطعام، فيئسوا، فقلت متممة: «وهل هنا بيوت خالاتكم، أم مطعم».

في ذلك اليوم ألقى القبض على اثنين ممن زارونا في البيت، فأخذوهم إلى التحقيق والاستجواب في دائرة الأمن، رأيت أن الوضع إذا استمر بهذا المنوال فسيقع الكثير في قبضة رجال الأمن، فكرت في حلّ لذلك، فكتبت أرقام هواتف على قصاصة ورقة، ووضعتها في داخل عملة نقدية ورقية من فئة تومانيين، وأتيت بإناء فأعطيته إلى ابنتي الصغيرة، وأمرتها أن تذهب إلى صاحب دكان في أول الفرع

٧٠.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وهو شخص معتمد وثقه ومطلع على الأوضاع، وبحجة شراء الحليب، تسلّمه هذه الورقة، ليطلع الآخرين من زملائنا على ما داهمنا من خطر.

عارض أحد رجال الأمن ويدعى (برويز) ابنتي أثناء الخروج من البيت، وسأل: «إلى أين؟» تقدّمتُ بقلق إلى الأمام وقلت: «تريد أن تذهب لشراء الحليب»، فنظر إلى داخل الإناء الذي أمسكت به ابنتي بيدها تحت العباءة، وسمح لها بالذهاب، كان بيد ابنتي عملة نقدية لفتها بيدها، ولم يكن رجل الأمن يعلم أن في داخل العملة النقدية قصاصة ورق.

لحسن الحظ أن صاحب الدكان كان قد شاهد في الصباح حالة مشكوك للبيت، عند مشاهدته قصاصة الورقة التي أعطيتها لابنتي، تحرّك فوراً، وأعلن عن هذا الخطر للذين لهم علاقة وارتباط بنا، فانقطعت من تلك اللحظة أي حركة وتردد على بيتنا المحاصر والمحتمل. كان عليّ أن أفكر في تخليص شقيق صهرنا الذي لفّ نفسه بعباءة نسائية وأخفى نفسه بين بناتي.

في صبيحة اليوم الثاني، وبينما كان الأولاد يغطّون في نوم عميق، أيقظته، وقلت له: «سوف أذهب أنا إلى أعلى وأشغلهم، أما أنت فاخرج من البيت بهدوء تام، وعند خروجك كن محاذياً للحائط؛ لأن هؤلاء في الطبقة العلوية قد أشرفوا على الشارع بأكمله».

ذهبت إلى رجال الأمن معذرة لهم: «إنكم تستفيدون من الثلج المتوفر في الثلاجة، عليكم من اليوم أن تهَيّئوا لكم ثلجاً، فالهواء حار ويبقى الأولاد عطشانيين، فليس هذا من العدل والإنصاف» كنت أتكلم

بهذه الجُمْل، وأنا أفكر بشقيق صهرنا، كنت قلقة متخوفة أن تعثر رجله بشيء فيعلو منها صوتاً، أو أنه يغلق الباب بشدة فيخرج منه صوتاً عالياً، ولهذا كنت أتكلم بصوت عال حتى إذا صدر من هناك صوت لا يسمع، لقد كان الوضع مخيفاً إلى حد أنني كنت أحس لضربات قلبي، مضت عدة دقائق، وقبل هؤلاء أن لا يستفيدوا من الثلج الموجود عندنا، وعليهم بدءاً من اليوم أن يشتروا الثلج من خارج البيت. عندما نزلت من أعلى السلم إلى أسفل وجدت الهدوء سائداً في الغرفة والأجواء مريحة والوضع فيها بالشكل المطلوب، خرجت إلى الساحة فوجدت الباب قد بقي مفتوحاً، أخذت مكنسة بذريعة أنني أريد أن أكنس البيت، ذهبت إلى جهة الباب، عندما أغلقت الباب بالمكنسة انتبه رجل الأمن الذي كان جالساً بجوار النافذة ومطالاً على الباب، صاح عالياً: «يا هذه، ماذا تفعلين بجانب الباب»، قلت: «كان الباب مفتوحاً، ولأن الستار مسدول أمامه، لم نكن نعلم بذلك، جئت الآن لأكنس فوجدت الباب مفتوحاً، فأغلقتة، فإن كنت منزعجاً من ذلك افتحه؟ فلم يقل شيئاً، وبما أن عدد أولادي كثيرون لم يلتفتوا في الأيام التالية إلى أن عددهم قد نقص منه واحد.

وضعت في اليوم الثاني عدداً من الأشرطة داخل سلة، ووضعت في داخلها كرز وفواكه أخرى وكتبت رسالة أيضاً إلى ابنة جيراننا وهي محل ثقتي، وأعطيتها إلى الأولاد، وقلت لهم: «اذهبوا إلى بيت جيراننا»، اعترض برويز الطريق مرة أخرى، قلت له: «إنه فصل الصيف، والأولاد لا يطيقون البقاء في البيت، دعهم يذهبون إلى بيت جيراننا ليلعبوا، أو اسمح لأولاد هؤلاء أن يأتوا إلى بيتنا» قال: «لا بأس، دعهم يذهبوا،

٧٢.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

ولكن قلبي لهم أن لا يتحدثوا بخبرنا» وبهذا النحو ذهب الأولاد، فلما شاهدت بنت جيراننا الرسالة، أخفت الأشرطة في مكان آمن.

حتى هذه اللحظة اطمأن قلبي، ولكن وجود بعض البيانات والإعلانات قد يفسد الأمر، وقت العصر قلت لابنتي الكبيرة: «تظاهري بجد أن لك وجع أسنان» فأخذت تتصارخ بشكل عجيب، كان منظرًا مذهلاً، عند أزعج عناصر الأمن، فأخذ كل واحد منهم يصف لي شيئاً، قال احدهم: «صبي عليه الكولونيا» وقال الآخر: «ضعي عليه الاسبرتو أو الكحول» وأوصى الثالث بتدخين سيجارة، ولم تثمر هذه الصفات شيئا.

على كل حال، كلما مضت فترة من الوقت ازداد صراخ ابنتي، وعندما شاهدت عدم تجاوب رجال الأمن، قلت: «إنها ستموت من الألم، ليس هناك من حل سوى قلع الضرس، علي أن آخذها إلى طبيب الأسنان» قالوا: «لا يمكن ذلك» قلت: «لا بأس، لا تسمحوا لي بذلك، لكنها إن ماتت سأقول لكل من يُشيع جنازتها: إنكم أنتم لم تسمحوا لي أن آخذها إلى طبيب الأسنان، وقتلتموها» فقال أحد رجال الأمن: «لا تثرثي بالكلام وتزعجينا، خذيها معك، ولكن بشرط أن يرافقكما واحد منا» قبلت ذلك، وفي الوقت الذي كان ينبغي علينا أن نتهياً للخروج وضعت البيانات والإعلانات في صرة، وربطتها على ظهر ابنتي، وربطت نعلين وعباءة ملونة على بطني.

عندما وصلنا برفقة رجل الأمن إلى مستوصف طبابة الأسنان، قال: «أنا أقف هنا إلى جانب البناية أنتظركم، واصعدوا أنتم إلى الطابق العلوي» كان محل الطبابة في الطابق الثاني، صعدنا من السلم، فألبست

العباءة الملونة والنعلين إبتتي، وأعطيتهما عنواناً لمكان معروف صاحبه ثقة وهو يقع بالقرب من العيادة، وقلت لها: «أوصلي هذه الأمانة بأسرع وقت إلى هذا العنوان وارجعي»، ذهبتُ، وكانت عيناى ونظراتي المضطربة تتبعها، كان يصحبني قلق عجيب، مضت دقائق فلم أطق وأتحمل، نزلت إلى أسفل لأتابع الوضع عن كثب، عندما شاهدني رجل الأمن سألني: «ماذا حصل؟» قلت له: «المكان مزدحم، وعلينا أن ننتظر دورنا» حرك رأسه علامة على أن لا مفر من هذا وأنهم مجبرون على ذلك، شاهدت في هذه اللحظة من بعيد ابنتي وهي تقترب، خفت أنها تخاف وتضطرب إن شاهدتني في الطابق الأسفل، وتأتي وتنطق بشيء، ولذلك اضطرت إلى أن أذهب إلى دكان مجاور، فجاء رجل الأمن خلفي، وسألني: «يا سيدة ماذا تفعلين؟ أين تذهبين؟» قلت له: «أريد أن أشتري لها طعاماً، شغلت رجل الأمن بهذا الكلام، فجاءت ابنتي وصعدت إلى الطابق الثاني، فارتاح بالي، عدت بسرعة إلى العيادة، وألبست ابنتي العباءة السوداء، وبعد لحظات عدنا إلى البيت.

كانت آخر أوراق البيانات ما زالت بالبيت فوضعتها على بطن أخت زوجي العجوزة المسنة، وأخذت معي إبرة وتوجهت صوب رجل الأمن، وقلت لهم: «تعالوا خذوا هذه المرأة العجوزة، يجب أن نضربها الإبرة» ضحكوا كلهم وقد رافق هذا الضحك اعتراض، فقالوا: «أنحن عبيد وخدم لك»، ولكي لا يقوموا هم بذلك الفعل قالوا: «أنت خذيها»، كنت أرجو ذلك من الله، فأمسكتها من خصرتها، وخرجنا من البيت، ذهبنا إلى أحد أقاربنا، وبهذا الإعداد، تخلصنا من آخر أوراق البيانات والإعلانات التي كانت بحوزتي.

٧٤.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

مضى على رجال الأمن عدة أيام وهم في البيت، بقي منهم مجموع ستة من ستة عشر كانوا قد هجموا علينا، وكانوا يتناوبون على المراقبة اثنين اثنين، لقد تعبت منهم وأرهقت، ولم يطق الأولاد أيضاً بقاءهم في البيت بسبب ما عانوه منهم، والأسوأ من ذلك كله إن شدة حرارة فصل الصيف قد أنهكتنا.

في اليوم السادس، رأيت عدم القدرة على تحمل هذا الوضع، وقد أُلقي القبض في تلك المدة على خمسة عشر شخصاً ممن كانوا بالبيت أو تردّدوا عليه، فجمعت أولادي وحكيتُ لهم حقيقة ما يجري، وقلت لهم: «للخلاص من كل هذا العذاب حاولوا أن تبكوا وتصرخوا، وتضجوا وتعجّوا بالقليل والقال، و...».

طبّق الأولاد وصيّتي، وانفعلت أخت زوجي أيضاً، فأخذت تزعج رجال الأمن وتضايقهم، كانت تضع يديها على صدرها وترفع رأسها عالياً وتدعوا عليهم وتلعنهم، فكان رجال الأمن يفرون من هذا الأتون، ويقولون: «اسكتيها»، وأخذوا يشهرون أسلحتهم بوجهي ويهددونني، قلت: «لا أقدر، إنه فصل الصيف، الجو حار، هؤلاء ليسوا أحراراً طلقاء، إلى متى على بناتي أن يبقين في البيت ويدرن بعباءاتهن، مادمتم موجودون هنا فهنّ لسن أحرار، ألقوا القبض علينا وخذونا من هنا، وأريحونا من هذا العذاب، فكم نصبر ونتحمل، وإلى متى، نحن لا نطيق هذا الوضع الذي كنتم أنتم السبب في صنعه...».

كانت الأمور تتأزم وتزداد سوءاً كلما مرّ الوقت، وأخيراً اتصلوا بمقر الأمن وشرحوا لهم الأوضاع وطلبوا منهم أن يحددوا وظائفهم، وماذا عليهم أن يصنعوا، فاستدعواهم إلى المقر، وبهذا الإعداد، وبعد ستة أيام عجاف، عاد هؤلاء إلى مقرهم في الساعة الثالثة عصراً، وغادروا المكان.

الاعتقال والتعذيب:

في عام ١٩٧٣م، ومع أنه قد مضى ما يقارب شهرين على فك الحصار عن البيت، لكن لم يكن يفارق ذهني التفكير في الاعتقال وسبب تسرب المعلومات.

واجه زوجي مشاكل كثيرة في هذه الأيام، فصار يعمل في الشركة الوطنية للإعمار بعنوان (محاسب)، بتوصية من أحد أصدقائه، فكان بعيداً عن البيت في أكثر أيامه، حيث يسافر إلى المحافظات.

قدم في أحد الليالي إلى البيت بعد اغتراب طال ثلاثة أشهر، عاد لزيارة أسرته في طهران، كنت قد عدت لتوّي من همدان، حيث زرت عائلة أحد أقربائي إذ رُزق بمولود وهو معتقل.

اجتمع أفراد أسرتنا معاً في إحدى الليالي، وكانوا يتبادلون بينهم أطراف الحديث، وإذا بالباب تفرع والجرس يرنّ، قامت ابنتي الكبيرة لتفتح الباب، عادت وهي تتعثر بأذيالها وتقول: «أماه، لقد جاء (برويز)»، عرفت أنهم جاءوا لاعتقالي، أرسلت زوجي إلى أعلى السطح، وقلت له: «لا شأن لهم بك، جاءوا لاعتقالي، فحافظ على الأولاد»، طلبوا مني مرافقتهم دون ضوضاء وضجيج، اجتمع أولادي حولي، وأخذوا يتصارخون ويتباكون: «إلى أين تأخذون أمنا؟ لا تأخذوا أمنا...» حاول رجال السافاك إسكاتهم بأي شكل، قالوا: «لا شأن لنا بأمكم، تجيب على بعض الأسئلة ونعيدها إليكم، قبل أن تكملوا طعام العشاء ستعود إليكم»، بمجرد الخروج من البيت واجهت في الزقاق ابن أحد أقارب صهري الأكبر، قلت له: «اذهب وأخبر فلاناً - وهو أحد المرتبطين بخليتنا -: «أنني اعتقلت، فليتفقد بيتنا». عرف رجل الأمن حديثنا القصير، فتقدم

٧٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

نحوي ولامني: «لم تكلمت؟» قلت: «هو سلم عليّ ورددت عليه السلام، لم أتكلم معه، أشار إلى سيارته، وقال: «لا تثرثري في الكلام، اذهبي واركبي»، كان أحد رجال الأمن قد جلس قبلي على الكرسي الخلفي للسيارة، رأيت أنني إن جلست إلى جانبه، سيأتي الآخر ويجلس إلى جانبي، فأكون بين أجنيين، قلت: «أنا لا أجلس بين أجنيين، سأجلس في الأمام، واجلسوا أنتم الثلاثة في الخلف» هدّدوني بأسلحتهم، وقالوا: «هيا اركبي، لا تكوني سخيصة... بين أجنيين» قلت: «اقتلونني، ولن أجلس بين أجنيين».

كان الوقت يمضي على عجلة، لكنه لم يكن لصالحهم، فتحقق أخيراً ما كنت أريد...

عندما وصلنا إلى مقربة من (التوبخانة) ميدان الإمام الخميني حالياً، أعطوني نظارة سوداء قاتمة لأضعها على عيني، قلت: «أنا لا أستعمل النظارة»، فقالوا: «يا لك من مجنونة، هذه...» وأخيراً: وضعت النظارة على عيني، وأخذت أثرثر في الكلام لأشعرهم أنني لا أعرف شيئاً، قلت: «يا رجل، اسألني بسرعة، أريد أن أعجل العودة إلى البيت، فأولادي لم يتعشوا إلى الآن، عليّ أن أوقظهم في الصباح الباكر ليذهبوا إلى المدرسة».

وصلنا إلى (مقرّ اللجنة الأمنية المشتركة)^(١)، وعلمت هناك أن

(١) قام نظام الشاه بتأسيس لجنة لمواجهة أعمال (التخريب) وتسمى (اللجنة المشتركة) عام ١٩٧٠م المصادفة لاحتفالات مناسبة مرور ٢٥٠٠ عاماً على الملكية في إيران، لمواجهة الأنشطة والحركات التي تقوم بها الجماعات المعارضة وإيجاد نوع من القمع السريع والحد من تدخل عمل الأجهزة الأمنية الموازية، وكذلك زيادة نطاق عمل هذه المؤسسات في مواجهة

رجال الأمن يعرفون عني أشياء كثيرة، وكان يغيظهم ويغضبهم كثيراً كوني امرأة وأمّ، ولي هذا العدد من الأولاد ومشاكل الحياة المعقدة أن يكون لي مثل هذه الأنشطة السياسية الواسعة.

وبحكم علاقتي بأحزاب ومنظمات مختلفة لطلاب الجامعات ومناضلي علماء الدين لم أكن أعلم بالضبط بسبب أي منها اعتقلت؟ فصممتُ على السكوت، حتى يتبين لي سبب اعتقالني؟ هل لارتباطي بجهة أو جهات معينة؟ كنت أحتمل كثيراً أن سبب اعتقالني هو لارتباطي بطلاب الجامعات، وأبناء أخت زوجي.

إن استخدام مثل هذه الأساليب لم يكن يعجب محققي رجال الأمن، إذ استتبع ذلك تعامل وحشي وعنيف وردود فعل فظة ومتهورة، والامتناع عن الإدلاء بمعلومات وعدم التكلم معناه الضرب والسب أكثر.

بدأ التعذيب بالصفع على الوجه وتوجيه الإهانة، ثم تطور إلى الضرب بالسوط والهرأوة، والكلام البذيء، الذي لا يطاق، شدوا يديّ ورجليّ عدة مرات بالكرسي، وقنّعوني بقناع حديدي أو نحاسي، وأوصلوا به تياراً كهربائياً بموجات كهربائية مختلفة لنزع الاعترافات مني، كان جسمي يرتعش بحركات عنيفة... أما الضرب بالسياط

المناضلين. تشكل هذه المؤسسة من إدارات أمنية للجيش (الركن الثاني للجيش)، والجاندرمة، إلا إنها هُـمُـتْ بسبب محدودية عملها تدريجياً، وبعبارة أخرى: تشكل اللجنة المشتركة بشكل أساسي في المدن المختلفة من رجال الأمن (السافاك) والشرطة، ويقع مركزها في مبنى الشرطة للبلاد (سجن الشرطة المؤقت) في (طهران)، أمام مبني وزارة الخارجية، ترأس هذه اللجنة بدايةً العقيد الركن (سعيد طاهري)، وقد تم اغتياله على يد كل من الشهيد (محمد مفيدي) والشهيد (محمد باقر عباسي) في أغسطس ١٩٧٢م.

٧٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

والتعذيب بالهراوات فقد كان شغلهم الشاغل يومياً، قد يكون هذا الضرب أحياناً باحتراف، وقد يكون إعتباطياً، أما في حالات الاحتراف، فلشدة ما كنت أُضرب بالسياط على رجلي وأقدامي كان يُغمى عليّ، فيسكبون الماء على وجهي لأستفيق من غيبوتي، ويجبرونني على المشي والحركة، لكي لا تتورم قدمي.

استولى عليّ الألم والوجع الشديد جراء هذا العمل، فلم أكن أتحمّله أو أطيقه.

غشي عليّ في إحدى المرات من كثرة الضرب، فتحت عيني ثانية، فوجدت نفسي في غرفة تحتوي طاولة وكرسيّاً، كان ظهري يؤلمني بشدة وجروحي تلتهب حرقه، التصقت بالحائط حفاظاً على ظهري من ضرب السياط فيما لو عادوا ثانيةً لتعذيبني؛ وذلك لشدة الخوف والهلع الذي حلّ بي، من شدة التعب والإرهاق لم أكن قادرة على فتح عيني، سمعت مشي أقدام، فتحت نصف عيني لأرى من القادم؟ رأيت رجل أمن - زاد الله في عذابه - دخل إلى الزنزانة، فغمّضت عيني تماماً، وتوكلت على الله، وقف قليلاً، ثم ذهب.

لم تمض فترة زمنية حتى عاد ثانيةً، ويده هراوة كهربائية، تقدم نحوي، وأخذ ينهال عليّ بالضرب، كان ذنباً مفترساً، لم يكن بحالته الطبيعية كما يبدو، كان كلما سألتني، أجبت بكلمة «لا أعلم»، كان يضربني بتلك الهراوة الكهربائية على أماكن حساسة من جسمي كشفاهي، فمي، أذني، و... و... لقد كان مؤلماً وقاسياً إلى حد أنني أفقد وعيي تماماً وتخمد في الأنفاس.

أناموني في إحدى المرات فوق سرير، وشدوا يدي ورجلي

بالحبال من الطرفين، عندما جاء رجل الأمن كان واضعاً سيجارة بين شفتيه وهو يدخن، تقدم نحوي وأطفأها مباشرة على يديّ، كنت أصرخ من شدة الوجع والألم، لكنه يقهقه ويسخر من شدة صراخي ووجعي، ويقول: «آه، لقد انطفأت سيجارتي»، فيشعل سيجارة أخرى ثانية وأطفأها هذه المرة في أماكن حساسة من بدني، فينبعث الوجع والألم من كافة أوردتي وشرائيني.

لكن أسوأ وأشدّ بل أوحش تعذيب لاقيته هو عندما كان يدخل عليّ رجل الأمن وهو ثمل لا يعقل، فيبدأ بإيذائي وتعذيبي، بشكل لا يمكن وصفه، وأحياناً يدخل عليّ أحدهم وهو عريان، يقف قليلاً ويضحك ساخراً، ثم يذهب، فأقضي في تلك اللحظات وبعيون مُغمّضة وبدون حركة لحظات مليئة بالخوف والرعب.

أم وبنت ملتفتان بالملاحقة:

تحملت أشد وأقسى بل أفظع التعذيب ما يقارب ستة عشر يوماً، لم أنطق بكلمة، ولم أفش سرّاً يخدم رجال الأمن، كان هذا يغيظهم ويغضبهم جداً، وينغص عليهم عيشهم، فارتكبوا عملاً في غاية الدناءة والقذارة، عمل مشين ليس فيه رائحة من الغيرة والإنسانية، عمل خبيث جداً، فقد اعتقلوا ابنتي الثانية (رضوانة)، بعد عقد قرانها حديثاً على أحد الشباب، جاءوا بها إلى مديرية الأمن زعماء منهم - بأفعالهم القذرة الدنيئة - أنهم قادرون على كسر شوكتي وإضعافي بهذه الأفعال، والضغط عليّ نفسياً وروحياً لنزع اعترافات، وإجباري على التكلّم، لكنها أفكار واهية وباطلة.

٨٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

ابنتي (رضوانة) طالبة تدرس في مدرسة (رفاه)، وهي كزميلاتها تمتحن أعمالاً فنية واجتماعية، قامت بجمع الأناشيد والأشعار التي تبث من إذاعة العراق مع زميلاتها في دفتر صغير، وقع هذا الدفتر بأيدي رجال الأمن بعد اعتقالها وأثناء تفتيش البيت، فكان هذا مبرر لاعتقالها^(١).

الليلة الأولى كانت صعبة وموحشة جداً على ابنتي (رضوانة)، كانت ترتعش دائماً من شدة الخوف، واضعة يدها في يدي وهي تضغط عليها، أما أنا فلم أكن بأحسن حال منها، ولكن عليّ أن أصمد وأقاوم أمام ابنتي، لأحافظ على معنوياتنا عند التعذيب الذي سنواجهه في الأيام المقبلة، فتكون ابنتي قادرة على الصمود والمقاومة ولا تفقد روحيتها.

رفع رجال الأمن العباءات من على رؤوسنا بذريعة أن لا نتحرر أو نشنق أنفسنا بها، لكن كان واضحاً لي تماماً أن الهدف الحقيقي من ذلك هو تمزيق الحجاب والستر - الذي هو مظهر ووقار المرأة المسلمة والمؤمنة - وتضعيف معنوياتنا.

أما نحن فأخذنا بطايات الجنود التي يغطون بها وكانت تحت تصرفنا، ولففنا بها أنفسنا بدل العباءة والحجاب، كان فعلنا هذا يثير استغراب ودهشة رجال الأمن ونحن في الصيف القائل بالحر، فيستخفون بنا ويسخرون قائلين: «الأم باللحاف، البنت باللحاف».

واستمراراً لأعمالهم الدنيئة، جاءوا بعدد من الجرذان ووضعوها

(١) يُراجع الملحق رقم ١ في القسم ألف، للاطلاع أكثر على مدرسة (رفاه) وكيفية

اعتقال سائر الطالبات ومعلمي المدرسة.

معنا في الزنزانة، كانت ابنتي تذعر من شدة الخوف فتلصق نفسها بي، وتبكي، كانت هذه الجرذان تتسلق الجدران وتنزل أمامنا وتغدو وتروح حتى الصباح.

كان عليّ في مثل هذه الظروف الصعبة والقاسية أن أروّح عن ابنتي، لكن خوفاً من الكاميرات الخفية التي تراقبنا، وسماع أصواتنا، كنا نضع الملحفة على رؤوسنا، متظاهرتين أننا نائمتان، وفي هذه الحال أتكلم بهدوء وببطء لتعرف ابنتي ما سيحلّ بنا.

مضت تلك الليلة المخيفة والمرعبة بصعوبة ومشقة بالغة، اقتادونا في الصباح إلى غرفة التحقيق والتعذيب، كنا متحجبتين بالملاحف، فكان هذا المنظر يثير سخرية واشئمزاز واستهانة رجال الأمن بنا، قائلين: «الحجاب ملحفة»، «الأم بملحفة»، «البت بملحفة»، «الملحفة بملحفة»... وقال آخر ساخراً: «أين الخميني ليأتي ويخلصكم وعلى رؤوسكم الملاحف و...» وعلى كل حال، استخفوا بنا غاية الاستخفاف، وسخروا منا كما يشاءون، كنا كالدمية في أيديهم يلهون أنفسهم بها، ثم بدأ التعذيب بالصدمات الكهربائية، الضرب بالسياط والهرאות، و...

عندما يأسوا من عملهم الإجرامي والوحشي في الوصول إلى أي نتيجة عزلوا كل واحدة منا عن الأخرى، بعد لحظات... كنت أسمع صراخ وآهات (رضوانة) الشديدة والمؤلّمة للقلب تملأ المكان، فأرتعش لذلك، وأزداد حنقاً، ثم أبكي.

استجرت بالله، ودعوته أن يمنحها الصبر أمام هذه الوحشية، ومع كل هذا التعذيب لم يكن هناك شيء لتقوله (رضوانة)، أما بالنسبة لي فقد انتهى كل شيء، فدعوت الله أن يرزقني الشهادة.

٨٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أخذت جراحاتي تزداد تعفنًا يوماً بعد آخر، وسيطرت الرائحة النتنة والكريهة على أنحاء الزنزانة بنحو أن رجال الأمن لم يكونوا يطيقون الوقوف فيها.

غضب رجال الأمن وبشدة من مقاومتنا، جاءوا في إحدى الليالي وأخذوا معهم وبوحشية (رضوانة)، ولم يكن ينفع معهم صراخي واستغاثتي، فخارت قواي ونفد صبري.

قضيت الثواني وأنا قلقة ومضطربة، كم كان الوقت يمضي ببطء وصعوبة، كنت أغدو وأروح في الزنزانة التي لا تتجاوز مساحتها ١/٥ متر في ١ متر، وأنظر بين آونة وأخرى من ثقب الباب إلى الممر، لا يمكن لأحد أن يعلم بتلك الحركة، نعم، لا أحد يعلم من الذي أخذوه ومن الذي أتوا به، لا يمكن أن يعرف أحد، لا يمكن أصلاً وأبداً.

كنت أتلوّى كالملدوغة، ولم أضع في تلك الليلة جفناً على جفني، ولم تغمض عيني أبداً، كنت خائفة أن يقوم هؤلاء بعمل حيواني، أرتعش وأنهار... إلهي، أيّ بلوى ومصيبة هذه؟ وكيف أتحمل وأصبر؟ أن أرى وردة حياتي وهي تذبل؟ أدركنا، وخلص ابنتي من هذا العذاب الجهنمي...

لم ينقطع أنين وصراخ (رضوانة) المقطّع للقلب، وظلمة الليل تمنع وصول هذا الصراخ والأنين إلى أي أحد، وفجأة انقطع الصوت... إلهي ما الذي حصل؟ استولى عليّ الخوف، وكتم عليّ أنفاسي، فأخذت دقائق قلبي تزداد وتعلو بحيث يمكن إحصاءها، إلهي ما الذي جرى؟ وما الذي فعلوه بابنتي؟

الساعة الرابعة صباحاً، حيث كنت كالطير المذبوح الذي يرفرف

بجناحيه، أضرب بجسمي هذا الباب وذلك الحائط داخل الزنانة، فجأة سمعت صوت سلسلة باب الزنانة وهي تسحب، هرولت نحو الباب، يا للهول ويا للمصيبة، أهذه التي تسحب هي ابنتي (رضوانة)؟ إنها أشلاء ممزقة مبضعة البدن غارقة بالدماء.

كان اثنان من رجال الأمن يسحبانها على الأرض، هل تلك القطعة من اللحم المرمي على الأرض هي (رضوانة) ابنتي وفلذة كبدي.

أخذت أضرب الباب والجدار، وأصرخ عالياً بكل ما أوتيت من قوة، وكأن عرش السماء قد اهتز، كنت أعض على يدي بأنيابي، ولشدة ما صرخت في هذا المعتقل الجهنمي لا أتوقع أن أحداً لم يسمع صوتي فيبقى نائماً، عندما شاهدت أن ماء الدلو الذي يلقونه على وجهها لا يفيقها من غشوتها، ولا يوقظها من غفوتها، صرت كالمجنونة، وأخذت أضرب بقبضة يدي وأركل برجلي كل شيء وفي أي مكان، أعتقد أن لساني قد جرح، فأخذ الدم يتصابب من فمي... حتى وصل الأمر أن لا يسمع لي حسيس ولا نجوى ولا أقدر على الصراخ والحركة، كنت مبهوتة عندما جاءوا بابنتي ونظرت من ذلك الثقب إلى بدنها الفاقد للروح والغائب عن الوعي... كان قلبي يتقطع قطعة قطعة حرقه عليها، ويغلي منه الدم غلياناً...

جاءوا في الساعة السابعة صباحاً، ولقوا جسدها بالملحفة، ثم أخذوها... كان التصور أن (رضوانة) خرجت روحها من جسدها وفارقت الحياة، فيزيدني ذلك ألماً وأسى وأنفجر بالبكاء والعويل، ولو كان أمامي جبلاً لتهشم، كنت أعصر بأظفري كل شيء، وأضرب على الباب بشدة وأصرخ: «خذوني أنا أيضاً، أريد أن أذهب مع ابنتي، ماذا

٨٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

فعلتم بها؟ أيها الأوغاد القتلة، أيها الجناة، و...» بينما أنا في هذه المحنة والشدة، وإذا بي أسمع صوتاً جميلاً، إنها تلاوة عطرة من القرآن الكريم: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١)، كأن ماءً بارداً قد سكب على شُعل وبراكين من الحمم والنيران المستعرة والمتوقدة من الجمر.

كم كانت تلك التلاوة العطرة عذبة وجميلة، كأن الله هو الذي يتكلم معي وينادينني، ويدعونني إلى الصبر والصلاة، جلست على الأرض، وانتبعت لنفسي، وعرفت ما الذي جرى من الليلة الماضية إلى اليوم، كان الصوت هو صوت آية الله (رباني الشيرازي)^(٢)، كان يعزيني

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) آية الله (عبد الرحيم رباني الشيرازي)، ولد في (شيراز) عام ١٩٢٢م، بدأ دراسته في دار التعليم الابتدائي، واتجه لتعلم العلوم الإسلامية في الثانية عشرة من عمره، وفي هذه الأيام بدأ يعمل في السوق، دخل إلى الحوزة العلمية في (شيراز) وهو في السابعة عشرة من عمره، وضم النشاط السياسي إلى تحصيل ودراسة العلوم الدينية، وبذل مجهوداً واسعاً في طرد فرق البابية والبهائية والتصوف، وسائر الفرق المتسترة تحت غطاء (الدين)، في عام ١٩٤١م، ومن خلال تصاعد حدة أنشطة الجماعات المنتمية إلى حزب (تودة)، ودخولهم إلى الساحة السياسية، بدأ نضاله ضد هذه الجماعات المنحرفة الضالة، دخل في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة عام ١٩٤٨م، فحضر درس آية العظمى (البروجردي) وآية الله (المحقق الداماد)، حصل آية الله (رباني) على إجازة الاجتهاد من الآيات ومراجع التقليد العظام: الشيخ (محمد كاظم الشيرازي)، السيد (عبد الله بلادي)، (الأغا بزرك الطهراني)، ودعا إلى مشروع مرجعية الإمام (الخميني) بعد وفاة آية الله العظمى (البروجردي)، كان في عام ١٩٦١م و١٩٧١م، من أنشط رجال الدين السياسيين ضد نظام (الشاه)، وعلى صلة قوية بالإمام مدة ١٥ عاماً التي قضاها في المنفى، اعتقل لعدة مرات، وقضى ١٥ عاماً في السجن، أبعد عدة مرات إلى كل من: (كاشمر)، (جيرفت)، (فيروز آباد)، و(سردشت)، وابتصار الثورة الإسلامية سافر إلى (کردستان) و(آذربايجان) لوأد الفتنة هناك، ومع بداية المؤامرة في محافظة (فارس)، استلم حكماً من الإمام (الخميني) لدراسة

بشفقة، لم ينم هو أيضاً من ليلة الأمس مثلي، بل بقي مستيقظاً حتى الصباح، كان يرتل القرآن ويصلي إلى طلوع الفجر، لكن صوته يضيع بين العويل والصراخ، ولم أكن أسمعه إلى هذه اللحظة.

لم تكن زنانة المرحوم (رباني الشيرازي) تبعد كثيراً عن زنانتني، وأن ما رأيته أنا بنفسني رآه هو أيضاً بعينه، وإن كل ما يعلو من صراخنا أنا وابنتي (رضوانة) كنت متيقنة أنه هو وحده الذي يسمعه، وكنت واثقة أن قلبه يقطر دماً ويعتصر ألماً لهذه الجريمة النكراء التي ارتكبوها.

كان وجود هذا العالم الربّاني في برهوت وصحراء هذه الحياة معيناً ونبعاً صافياً لجذوري اليابسة، استعدت الروح من جديد، وقمت من مكاني، ووقفت على رجلي، ورفعت يديّ نحو السماء، فأودعت كل شيء وكل أحد بيد الله القادر المتعال، وطلبت منه حياة ابنتي.

في الحقيقة لم يكن هناك شيء يعيد لي توازني ويهدّئني عدا هذه الآيات الإلهية الشريفة، لم أعرف شيئاً بعد هذا عن ابنتي

الأوضاع ورفع المشاكل والمعاناة عن تلك المناطق، رشح بعد مدة ممثلاً عن أهالي محافظة (فارس) في مجلس الخبراء، وعينه الإمام في مجلس صيانة الدستور، تعرض لمحاولة اغتيال فاشلة في عام ١٩٨١م، أثناء عودته من جهاد الإعمار والبناء، وأصيب بجروح بليغة، نقل على إثرها إلى المستشفى، وبعد أن تماثل للشفاء عاد وبنشاط مضاعف إلى العمل والجهاد الثوري والإسلامي، وأخيراً وبينما كان في ٨/ ٣/ ١٩٨٢م، عائداً من (شيراز) إلى (طهران)، وفي الطريق بين (دليجان) و(محلّات)، تعرضت سيارته إلى حادث مؤسف، انتقلت روحه الطاهرة على إثرها إلى جوار بارئها.. له مؤلفات وآثار كثيرة، من جملتها: تعليق وتصحيح ٨ مجلدات من كتاب بحار الأنوار، تأليف (فضاء الحقوق في ترجمة الصدوق)، (الحركة الطبيعية من وجهتين)، وله مقالات وبحوث متفرقة أيضاً أما مؤلفاته التي لم تطبع فمنها ولاية الفقيه، سلاسل الصوفية، ترجمة لبعض العلماء وأخرى في الفقه والاصول.

٨٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

(رضوانه)، فكنت أراوح بيديّ ورجليّ في بحر الأمل والرجاء والخوف،
كانت عقارب الساعة تعود إلى الوراء، فيزداد قلقي واضطرابي.

مضت عشرة أيام وأنا على هذه الحال، وإذا بمعجزة كنت في
انتظارها تقع... إنهم أعادوا لي ابنتي (رضوانة)... لكنها كسيرة القلب
ذابلة شاحبة جريحة، تعرضت رسغا يديها الناعمة الجميلة إلى الضرب
المبرح، وهي تنزف دماً، سألتها عن السبب؟ فتبين أنها وبعد تلك الليلة
البرزخية المؤلمة، أخذوها إلى مستشفى الشرطة وهي مغمى عليها،
وهناك شدّوا يديها بالسلسلة إلى السرير، ووضعوا حارساً مسلحاً
يُراقبها، كانت يديها تفتح في اليوم مرة واحدة فقط، ليأخذوها إلى
المرافق الصحية.

احتضنت ابنتي ذات الأربعة عشر عاماً، واسيتها وناغيتهما، وسألتها
عن تلك الليلة الضائعة في أيام الدهر، فحلقت دموعها في أطراف عينيها
وانفجرت بالبكاء والعيول.

في تلك الليلة النحسة أزاح بعض رجال السافاك المجرمين الخبثاء
اللعناء القناع عن رأسها وكأنهم الذئاب المفترسة والمتوحشة، وهم
يدورون حولها، ثمالي سكارى، ويؤذونها...

كان هذا التعذيب الوحشي والعمل الجبان والقذر الذي ارتكب مع
بنت طاهرة ترتدي العباءة السوداء والحجاب وتضع برقعاً على وجهها
ثم تذهب إلى المدرسة... أمراً محزناً مخجلاً وقاسياً جداً، ولا يغيب عن
خاطري تلك اللحظات التي كانت أيادي الجلادين القذرة والمجرمين
القتلة تمتد إلى جسد ابنتي النظيفة الطاهرة ظلماً، ويغشى عليها من شدة

الخوف، كم كان هذا مؤلماً يهزني بعنف من الأعماق.
أسأل الله أن يعذب هذه الذئاب المفترسة أشدّ العذاب وأقساه،
وينالوا جزاءهم العادل في الدنيا والآخرة.

الرائحة التنة والحرية:

بسماعي كل ما حلّ بابتني وزهرة حياتي من تعذيب، ازداد حقيقي
وكراهيته العجيبة والعميقة للنظام وأزلامه...

في الوضع الجديد، لم تندمل جروحي، بل عاد إليها قبحها
وتلوّثها، فكانت تنبعث منها رائحة كريهة ومزعجة ملئت الزنزانة، وكل ما
مضي عليها الوقت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، إلى حد أنني أصبحت
مقعّدة تماماً.

أما (رضوانة) فقد تحسنت حالتها، وأصبحت من الناحية النفسية
والجسدية في وضع مناسب، فأصبحت قادرة بأن تقف على رجليها،
وتتناول عدة ملاعق من الطعام، وتشرب قطرات من الماء، ومع عودتها
للحالة الطبيعية جاء رجال الأمن وأخذوها ثانية إلى سجن (قصر)، ولم
يبينوا سبب ذلك، فلم أعلم لماذا أخذوها؟

ازدادت حالتي سوءاً أكثر فأكثر بذهاب (رضوانة)، ولم أكن
قادرة على الحركة، أصبحت جسماً بالياً منتناً في زاوية من زوايا
الزنزانة، إلى أن جاء يوماً (نصيري)^(١)، لزيارة الزنزانات والمعتقلات،

(١) الأدميرال (نعمت الله نصيري) من أهالي (سمنان)، كان قائداً لمجموعة عسكرية في
الأعوام ١٩٣٨ - ١٩٤٠م في كلية الضباط، تسلم قيادة حرس القصر الجمهوري قبل أحداث عام
١٩٥٣/٨/١٩م، وفي الانقلاب العسكري الذي نفذ في ١٩/٨/١٩٥٣ من ذلك العام، سلّم حكماً من

فأخذ يزور كل زنزانة على حدة، وأصدر أوامره بما يريد.

عندما فتحوا له باب زنزانتني رجع قليلاً إلى الوراء إثر الرائحة النتنة التي استنشقتها، غضب لذلك، وقال للجندي: «اترك الباب مفتوحاً، لتذهب هذه الرائحة النتنة، ثم أعود لأرى ثانية؟».

قال هذه الجملة ثم خرج، وأخذ يزور سائر الزنانات، عرفت في هذه المدة لم تم اعتقالني؟ قبل يوم من الأزمة التي تعرضت لها ابتني، عرفت أن أحداً كشف السر، وكان مع الأسف أحد الأشخاص الذين أثق بهم وأعتمد عليهم، رأيته يوماً وهو معصب العينين، جاءوا به إلى زنزانتني، فقالوا له: «أخبرنا إذاً عن [السيدة] دباغ ماذا كانت تفعل؟» لم يكن هذا الأخ يراني؛ لأنه معصب العينين، فقال: «قلت لكم إنها كانت

قبل (الشاه) لعزل المرحوم الدكتور (مصدق) عن منصبه، وفي بيت (مصدق)، ألقى القبض على الضابط المسؤول عن حرس قصر رئيس الوزراء أيضاً وأودع السجن، وبعد نجاح الانقلاب العسكري، وسقوط حكومة (مصدق)، حصل وبأقصى سرعة على أنواط الشجاعة لدرجات ورتب عسكرية إلى درجة الأدميرال لما قام به من خدمة للنظام، وتلطخت يديه في انتفاضة (١٥ خرداد) عام ١٩٦٣/٦/٣م بدماء الأبرياء والعزل من أبناء الشعب، عين رئيساً للاستخبارات (السافاك) في عام ١٩٦٦م بعد (حسن باك روان)، فارتكب خلال اثنا عشر عاماً من مسؤوليته أبشع الجرائم وأعظمها، وتحول جهاز الأمن والمخابرات في فترة رئاسة (نصيري) إلى جهاز بشع ومخيف بتكنولوجيا متطورة في التعذيب والتجسس. انفصل (نصيري) عن زوجته الجميلة (پروين خواجوي)، وتزوج (بزليخا خلوتي) ابنة الكولونيل (خلوتي). مع تصاعد حدة وتيرة الثورة الإسلامية عام ١٩٧٨م، عزل الشاه (نصيري) من منصبه لتهدة الأوضاع والشارع الجماهيري الغاضب والسيطرة على حركة الثورة، وأودعه السجن، وأخيراً تمت محاكمته في منتصف ليلة ١٧/٢/١٩٧٩م، وأصدرت محكمة الثورة حكماً عليه بالإعدام رمياً بالرصاص؛ بسبب ما ارتكبه من جرائم بحق الشعب طيلة ١٢ عاماً في المخابرات (السافاك)، والدماء البريئة التي أريقَت بأمره.

تسجل الأشرطة وتوزعها، وترسل البيانات بالبريد، وتلقي محاضرات تربوية وتعليمية، و...» أخذت أفكر كم سابعى بعد أن انكشف أمرى. عاد (نصيري) مرة أخرى، لم أكن أعرفه في ذلك الوقت، فعرفت بعد ذلك أنني كنت أقف بوجه شيطان، لكن أي شيطان؟

كان تصرفه المخادع وتملق رجال الأمن له يشير إلى أنه رجل له نفوذ كبير ومهم في الحكومة، كان ماسكاً منديلاً على أنفه وفمه، قال: «أيتها العجوز ماذا تفعلين هنا؟»، لم أكن أتجاوز الـ ٣٤ عاماً، لكنني أصبت بالذبول إلى حد أنه خاطبني بالعجوز، قلت له: «لا تسألني، بل اسأل الذين جاءوا بي إلى هنا، اسأل (برويز) الذي جاء بي إلى هنا، وتركت ثمانية أولاد صغار في البيت، لقد أتوا بابنتي الصغيرة إلى هنا وعذبوها أمام عيني واعتدوا عليها وأهانوها، أتعلم ماذا فعلوا بها؟ وأي بلاء مارسوه بحقتها؟ وأنا كما تراني، لم يبق من جسدي مكان سالم، وها هو جسمي قد ملئ قيحاً، ولم يبق شيء حتى يصل المرض إلى قلبي وأموت، لا خبر عن طبيب ولا دواء؟ أدعو الله أن أموت وأرتاح من هذا الظلم والإجرام، لم أكن مستعدة أن أتوقف عن الكلام، لكن (نصيري) قطع كلامي وقال: «ماذا فعلت؟ ولم ألقوا القبض عليك؟» تظاهرت بأنني لم أفعل شيئاً، وأجبت به بشكل ساذج: «لم أرتكب شيئاً، كان ذنبي الوحيد هو أنني أردت أن يكون صهري طبيباً أو مهندساً فتسعد بناتي»، فقال (نصيري): «ما هذه الخزعلات التي تقولها»، أقسمت ظاهراً وقلت: «لقد مضت عدة أيام وليس لأولادي متولي ولا كافل، ويعيشون وحدهم في البيت، زوجي مشغول وهو كثير السفر، لا أدري ماذا حل بهم؟ ولا أعرف شيئاً عنهم؟ وإحدى بناتي لا أعلم إلى أين أخذوها؟ يقولون إلى

٩٠.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

السجن، ولكن هذا غير معلوم...» طلب مني (نصيري) أن أدوّن وأكتب كلامي هذا، لكنني تظاهرت أنني لا أعرف القراءة والكتابة، ولهذا غير لهجة كلامه معي معاتباً قائلاً: «أيتها العجوز، أنت لا تعرفين القراءة ولا الكتابة، فأَيُّ شيء كنتِ تريدين؟ أو تقدرين عليه؟ تريدين أن تقتلي الشاه؟ لماذا تفعلين بنفسك هكذا؟ و...» قلت: «هذا هو عين ما ذكرته، أردت فقط أن أصنع لبناتي السبع مستقبلاً، أن تكن كل منهن زوجة لدكتور أو مهندس. تبسم قليلاً ثم خرج من الزنزانة.

جاءوني في الساعة السادسة مساءً، وطلبوا مني أن أتبعهم، كنت أسير خلفهم واطعة إحدى يدي على الجدار وأخرى على ركبتي، وأنا أعرج دخلت إلى غرفة، فوجدت (نصيري) هناك، بعد لحظات من الصمت، التفت إليّ وقال: «أيتها العجوز هل فكرت ماذا سيفعل بك زوجك بعد إطلاق سراحك؟» بهذا السؤال قدحت شعلة من الأمل في خاطري، فأجبت بدهاء: «أعتقد أنه سيطلقني؛ لأنه لا يطيق أن يرى زوجته تساق إلى السجن، إنه يبرأ من كل هذه التصرفات والأفعال تماماً» سألتني: «إذا أطلقت سراحك، وخرجت من هنا، ماذا تفعلين؟» قلت: «صدقني لا شيء، أذهب وأحتضن أولادي، أعطف عليهم وأربيهم، وأعتن بحياتي، أدعو الله فقط أن لا يطلقني زوجي، لقد نذرت الله حتى لا يطلقني؛ لأنه إن طلقني، سيتزوج أخرى، فيعيش أبنائي في كنفها، و...» سألتني: «لا بأس، هل هناك من يضمنك؟»، أظهرت أنني يائسة من كل شيء، وقلت: «كلا، لا أحد، وأقربائي غير مستعدين أن يكفلوني، وإن علم زوجي أنكم تريدون إطلاق سراحي بضمان سوف لن يكلف نفسه ويقدم على ذلك أبداً، بل سيتركني»، بهذه الكلمات التي

قلتُها أردت أن أبين لهم أن يطمئنوا أن لا دخل لزوجي أبداً بما جرى لي من قضايا وحوادث، فأبعد الضرر أن يلحق به. قال (نصيري): «أنا أضمنك، ولكن متى ما أردنا إحضارك، تأتي إلينا بسرعة»، قلت: «حسناً، فهل أنا حرة الآن؟» قال: «أذهب الآن، ودعيني أرى ماذا عليّ أن أفعل، فأنت مشرفة على الموت، فأني فرق بين أن تموتي في داخل الزنزانة أم في الخارج؟ نعم، موتك في الخارج أفضل، فأنا لا أريد أن يصنع لك مزاراً كواحد من أبناء الأئمة، كما فعلوا لسعيدني»، أردت أن أستفزه في ذلك، فأضفت: «تكرّم عليّ الآن إذا وأطلق سراحني، وقل لزوجي أن لا حقّ له أن يضرب عنقي ويقطع رأسي»، فقال لي: «أقطع زوجك رأسك؟» قلت: «نعم، هكذا يقول لي (برويز) أنني لو أطلق سراحني سيقطع زوجي رأسي» فضحك، ثم قال لرجل الأمن: «اهتمّ بها» أردت بهذه الكلمات السطحية والبسيطة أن أشعرهم أنني لست بهذا المستوى الذي يتصورون، وأنني بعيدة كل البعد عنهم وعن السياسة، وأبين لهم أنني لست امرأة شجاعة قوية، فطنة ذكية، أو مجاهدة كما هم يتصورون، وقد ابتليت بهذه الحادثة من باب الصدفة، لم أكن أدري كم نجحت في هذا التمثيل والبيان، وإلقاء مثل هذا التفكير؟

كتب أحد رجال الأمن الواقفين هناك رقماً على ورقة وسلّمها لي وقال: «متى ما وصل لي خبر عن اجتماع سرّي، عليّ أن أتصل بهذا الرقم مباشرة وأطلعهم على ذلك بسرعة» ولأكمل هذا السيناريو أخذت منه الورقة، ثم أعادوني إلى زنزانتي.

بعد مدة استدعوني إلى غرفة التحقيقات، (منوچهري) المحقق، و(طهراني) المشرف، كانوا جالسين على كراسيهم، قال (منوچهري):

٩٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

«حسناً، وأخيراً ماذا ستفعلين؟ هل تتصلين بنا أم لا؟» قلت: «أنا لا أذهب لرؤية أحد، ولكن اعلّموا أنني لست إنسانة غير وفية وغير منصفة لا يؤثر فيّ الزاد والملح، أنا مستعدة لأتعاون معكم، فقالا كلاهما: وماذا ستفعلين؟ توجهت بكلامي إلى (منوچهري) فقلت: «أنا لم أنس أنك قلت في أثناء كلامك أنّ لك أمّاً عجوزاً، كان يأتي لها شخص دائماً ويلبي طلباتها واحتياجاتها، أنا أيضاً قادرة أن أساعدكم يوماً واحداً في الأسبوع، آتي إليها وأكنس لها، وأغسل ثيابها، وأنظّف...» وإذا (بمنوچهري) يقول بغضب وانفعال: «أيتها الملعونّة التي لا تفهم، هل تعتقدين أننا سذّج، تريدين الآن أن أعطيك عنوان بيتنا؟ أنت تعلمين أن قصدي من المساعدة لم يكن للمساعدة في شؤون البيت، بل تعطينا معلومات عن أعمال المخريئين...» قلت: «عقلي لا يستوعب أكثر من هذا» وبكلامي هذا جاؤوني وقيدوا يديّ إلى الخلف، ثم انهالوا عليّ بالضرب، اسودّ جسمي وورم، ثم أعادوني مرة أخرى إلى الزنزانة.

جاءوني بعد أيام وقالوا لي: أنت محظوظة، لقد ضمنك (نصيري) وأمرنا أن نطلق سراحك، اذهبي وأريحينا من هذه الرائحة النتنة الكريهة، أخذوني إلى غرفة أخرى وأعطوني ورقة وقالوا: «ابصمي بأصبعك عليها» قلت لهم: «أنا أميّة، لا أقرأ ولا أكتب، إن لم تقرأوا لي وأعلم ما كتب فيها فلن أبصم عليها، ربما أنكم سلّمتموني الحكم بإعدامي» كان كلامي يبدو لهم منطقياً، فأخذ أحدهم يقرأ لي، وبعدها أمضيت بإصبعي على تلك الورقة، وهكذا انتهت أربعين يوماً مقبلة مميتة، مليئة بالأذى والتعذيب والسب.

ما بعد الاعتقال:

عند إطلاق سراحي من السجن، وتحملي للضرب والتعذيب الأليم، أقعدني المرض من الناحية البدنية عن الحركة، فلم أكن قادرة أن أحرك رجلي، قد تلوّثت، وامتألت قيحاً، واستولى على كل جسمي ومفاصلي وجعاً وألماً شديداً لا يطاق، كنتُ أتحرّك بصعوبة، أضع عباءتي المطرزة على رأسي وأمسك بحافات الجدران، وأنا أعرج حتى أصل إلى ميدان (التوبخانة) ساحة الإمام الخميني قَدْ حالياً، وليس لي القدرة على الوقوف، جلست على منصة صخرية أشير بيدي وأنا بهذه الحال إلى سيارات الأجرة، لكن لا أحد يلتفت لإشارتي، بل يمضون في طريقهم. وأخيراً توقفت سيارة أجرة أمامي، أظهرت (خمس تومانات) التي أخذتها من دائرة الأمن وقلت للسائق: «يا سيد، ليس لي نقود سوى هذه» الخمس تومانات، أريد الذهاب إلى شارع غياثي، تألم السائق لحالي، وقال: «اركبي».

عندما وصلت إلى البيت، كررت الضغط على الجرس، ولكن لم يجبني أحد، اعتقدت أن أختي أخذت أولادي إلى بيتها، استقرضت عدة تومانات من الجيران، وبينما كان التعب والإرهاق قد استولى عليّ، اتجهت إلى بيت أختي، بمجرد دخولي إلى بيت أختي، سألت عن ابنتي (رضوانة)، لأنني فكرت أن المستهدف الأصلي هو أنا، وبإطلاق سراحي سيكون إطلاق سراحها أمراً حتمياً، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فبسماعي خبر «لا تزال رضوانة في السجن» لم أطق سماع هذا الخبر، فوقعت على الأرض مغشياً عليّ، بعد دقائق، وبعد أن شربت قدحاً من الماء الممزوج بالسكر، أفقت.

في هذه المدة، ذهبت العائلة مرة أو مرتين لزيارتها، كل ما حصل كان مذهلاً ومدعاة إلى التشويش، استعدت ذاكرتي، وتذكرت الأحداث والوقائع وما حلّ بي، ولكن لم يكن واضحاً ما حصل، فابتني (رضوانة) تقبع حالياً في السجن، أما أنا فيطلق سراحى، إنها أمور غامضة وألغاز محيرة لا تفسّر، تأملت في ما جرى، فاستنتجت أن إطلاق سراحى هذا وحرיתי كان مؤامرة في مقابل التعرف على سائر زملائي في الكفاح والنضال، أما (رضوانة) فبقيت أسيرة رهينة في أيديهم كورقة رابحة لهم، يمكن استخدامها في الأوقات الحساسة واللازمة، للضغط عليّ، ويستدعي هذا الوضع الجديد مني حالة من الترقب والاستعداد والحذر الشديد، وتنشيط ذاكرتي في التعامل وسائر الأنشطة.

زارنا أبي بعد ساعات من إطلاق سراحى، كان غاضباً ومتألماً، قال: «يا مرضية» أنا لست راض عنك، لديك ثمانية أولاد فعليك أن تهتمّي بأولاد وتتركي هذه الأعمال، فليذهب الآخرون الذين ليس لهم مثل مشاكلك، هم قادرون بنحو أفضل وفراغ بال أن يمارسوا عملهم، هذا هو الشيك الذي لا تقدرين القيام به لوحده، مثل جميل فهل يحلّ الربيع بزهرة؟...».

أراد أبي بهذه الكلمات أن يعبر عن شيء لا يعتقد به هو نفسه، وهو أن أتخلّى عن الكفاح والنضال، وأن أهتمّ ببيتي وأسرتي، فهو لا يطبق كل هذا العناء والمشقة التي تتحملها ابنته، قلت له: «إذا كان ما تقوله صحيحاً، فلماذا خطبت السيدة (زينب) عليها السلام مع أنها أسيرة بيد يزيد وابن زياد؟ وفضحتهما معاً؟ ولماذا لم تسكت الزهراء عن المطالبة بحقها والاحتجاج بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ نهضت للدفاع عن حق أمير المؤمنين وألقت خطبتها الغراء؟ ولماذا تحمّلت (سمية) كل ذلك

العناء والتعذيب؟ ولماذا؟ ولماذا؟» أجاب أبي: «لا تقارني نفسك بهؤلاء الأطهار» وأنهى هذا الحوار.

انشغلت أسرتي بتضميد جراحاتي، ولكن ليس من فائدة، ذهبت في اليوم التالي إلى الطبيب فشخص العلاج بضرورة إجراء عملية جراحية فوراً؛ بسبب وخامة وترديّ حالتي الصحية، رقدت في مستشفى (آريا)، كان جسدي كله ملتهباً، تقرح الجروح من أسفل الرقبة وحتى الركبة، مما جعلت حياتي أكثر تعقيداً وتأزماً، وأصبحت معرضة إلى الخطر.

قام جماعة من الأطباء الحاذقين بترقيع جزء من ظهري بالجلد، وبسبب الالتهابات الشديدة استئصل رحمي، فرقدت في المستشفى بإزاء كل يوم قضيته في السجن والتعذيب يوماً آخر، يعني أنني قضيت أربعين يوماً أخرى في المستشفى، وفي هذه المدة تحسنت جراحي، وأصبحت بصحة جيدة.

عدت من المستشفى إلى البيت، فبدأ التفرّيع واللوم، والإهانات، والتعامل السيئ وانعدام الرحمة والشفقة، كان التعامل مريعاً وحاداً جداً وقاسياً، لم أكن أدعى إلى ضيافة أو حفل للأقارب، ولم يطرق أحد بابنا، وكأننا طردنا تماماً، كانوا يسخرون منا بنظرات شذرة يرمقوننا بها تعبّر عن استهزائهم بنا، إذ تدنّى وهبط مستوى العلاقات الأسرية والعائلية بيننا كثيراً، الكل كان خائفاً أن تحصل له مشاكل، فكان يمتنع من اللقاء بنا.

لقد كانت أيام الوحدة والحرمان أياماً صعبة ومريرة، حيث حصلت أزمات مالية واقتصادية ونفسية وروحية كثيرة في حياتنا. كان أغلب الطعام الذي يتناوله الأولاد هو رغيف الخبز والألبان والبطاطا،

٩٦.....٢٣ عاماً... وسط الطوفان

والأشد والأثقل من هذا كله هو أنك لا تقدر أن تشكو ألم الوحدة والفراق هذا لأحد، أما الألم الذي ازداد وسلب منا الراحة ليلاً ونهاراً فهو بُعد واعتقال (رضوانة)، فوا أسفاه على أم فعلوا بفلذة كبدها هكذا، حتى إنهم لم يسمحوا لها بزيارتها، مضت أربعة أشهر مريرة، احترقنا بنارها وشررها ولكننا لم ننس بكلمة، لم يكن في هذا الطريق سوى التوكل على الله والصبر فقط، الصبر الصبر ولا غير...

الاعتقال مرة أخرى:

لما عرف جهاز الأمن (السافاك) بعد مدة أن تحركه ومراقبته لنا لم تثمر عن شيء، ولم يعد إطلاق سراحه يدر عليهم بالنفع أبداً، ولم يعد هناك من أحد يتصل بي ليكون تحت المراقبة ومن ثم يعتقل، بعثوا إليّ برسالة من (مديرية الأمن): «أن احضري بنفسك إلى السجن، استلمت هذه الرسالة، واستشرت عدداً من الإخوة، بعد التأمل والتفكير بالمسألة، وصلت إلى هذه النتيجة، وهي: إن أراد رجال الأمن (السافاك) أن يعتقلوني، فإنّ عنواني عندهم، وهم يعرفون بيتنا ومكاننا، فليقدموا هم على ذلك، وليظهروا صورة وأثراً للقهر والجبر في أفعالهم، فليس من المصلحة أن أدخل بنفسني وأمشي برجلي إلى المسلخ، وأضع حبل المشنقة في رقبتني، مضت أيام وليالي على الرسالة، وكما كنت أتوقعه جاءوا إليّ في ليلة من الليالي، فربطوا يديّ بالحبال بعنف، وعصّبوا عينيّ ثم اقتادوني إلى مديرية الأمن، كانت الزنانات كلها حبس انفرادي، أما لو أرادوا أن يحصلوا من أشخاص على معلومات أكثر فقد كانوا يضعونهم لمدة في زنزانة واحدة، كان أغلب السجناء يعانون من أزمات روحية حادة؛ بسبب ضيق الفسحة وصغر المكان، وإذا كان عدد المعتقلين

والسجناء أكثر من عدد الزنانات، يزجون بأكثر من سجين في بعض الزنانات، لقد عانيت من ذلك وعشت أياماً صعبة في هذه الأجواء.

بدأ التعذيب والضرب والشتائم، واستمرت تلك الحالة المزرية إلى أربعة أشهر متوالية بشكل وحشي، كانت صحتي حينها قد تحسنت تَوّاً من تلك الأورام وذلك المرض المسري القاتل، فكان تحمّلي للضرب بالهراوي والمقارع أمراً لا يطاق، وخاصة التعذيب بآلة (الأپولو)^(١)، فتحمله أمر غير ممكن ومستحيل، أداة التعذيب هذه تجعل صراخك لا يتعدى إلى أيّ مكان سوى آذانك.

كان كل من: المهندس (قيطاني)، والأخوين (صادق سجادي ومهدي سجادي)، (بهجت تيفنجي)، والأخوين (حسين عراقجي ومحسن عراقجي)، و(روشن روان)، يقبعون في السجن، وقد كان سبب اعتقالهم هو اعترافات هؤلاء، كان هؤلاء طلاب جامعيين في جامعة (طهران)، وكانت لهم علاقات عمل معي أثناء الكفاح والنضال ضد النظام، لم يكن هؤلاء الجامعيين الشباب الثوريين جداً يطبقوا التعذيب، فاعترفوا بكلّ شيء لرجال الأمن، وخاصة عن دوري معهم، كان أحدهم ابن أخت زوجي، فقد صرح لهم: «أنّ زوجة خالي على صلة بنا، كانت تخطط ونحن ننفّذ»، فلم يخفَ بعد ذلك شيء، ذكرت لرجال الأمن من

(١) (أپولو): جهاز للتعذيب، يشدوا فيه يدي ورجلي المعتقل، ويحدّوا من قوته، ويضعوا خوذة أو قبعة حديدية (كاسكت) على رأسه، وتُنزَل إلى أسفل العنق، وبالبدء في التعذيب، يأخذ صراخ المعتقل بالدوران في داخل القبعة، وقد يؤدي ذلك الصرخ من أثر التعذيب إلى إحداث أضرار وثقب في الأذن، وأحياناً يتم التعذيب بهذا الجهاز مع إدخال تيار كهربائي بطاقة قوية.

٩٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

المعتقل أخباراً قد أكل عليها الدهر وشرب، ومحاولات غير مثمرة لعلهم يتركونني وشأني، إلا إنهم لم يكونوا بهذه السذاجة والحماسة، بل كانوا يعرفون أنها أموراً لا تؤثر ولا تنفعهم بشيء؛ ولهذا السبب ضاعفوا من حدة الضغوط والتعذيب عليّ، إلى درجة أن جسمي تعرض للإصابة بشكل كامل، تفتحت الجروح القديمة من جديد، وظهرت جراحات بليغة أخرى، وتلوثت جروحي بسرعة، بعد ظهور أعراض هذه الأمراض، نقلوني مباشرة إلى سجن (قصر).

في اليوم الأول في سجن قصر وقع بصري على فلذة كبدي وابتني المعبدة (رضوانة)، وبعد عشرة أيام أطلقوا سراحها، وفي هذه المدة، وإن كانت جراحاتي تؤلمني، لكن بقائي مع (رضوانة) كان يهدئني ويطمئنني، إلا أنني ارتحت أكثر لإطلاق سراحها.

الاتجاهات السياسية للنسوة المعتقلات في سجن قصر:

في سجن قصر وطوائف مختلفة من السجينات، فمنهن المهربات، ومنهن الفاسدات، ومنهن المحتالات، و... وأحياناً يضعون النسوة السياسيات بين تلك السجينات لتعذيبهن وإيذائهن روحياً ونفسياً ومعاقبتهم، وأخص بالذكر من بين السجينات السياسيات كل من المرحومة السيدة (نصري) زوجة السيد (مرتضى نبوي)، والسيدة (منظر خير)، والسيدة (زري موسوي گرمارودي) زوجة السيد علي موسوي گرمارودي، والسيدة (سوسن حداد عادل)، والسيدة (زهراء ميهن دوست) زوجة السيد علي ميهن دوست، وأكثرهن كن يدرسن في مدرسة (رفاه)^(١).

(١) للإطلاع أكثر على حال مدرسة (رفاه) وكيفية اعتقال بعض الأشخاص، انظروا

الملحق رقم ١ القسم (ألف).

أما ذوات الاتجاه اليساري، فيمكن الإشارة إلى: السيدة (سيمين نهاوندي)، والسيدة (ويدا حاجبي)، والسيدة (شهين توكلي)، والسيدة (صديقة صيرفي)، وزوجة السيد (خسرو گل سرخي)، وشخصيات سياسية أخرى أيضاً.

كنا ملزمات في أن تتعايش كل واحدة منا مع الأخرى، لتكون لنا أجواء هادئة وسليمة، نعم، كانت هناك حدود وضوابط للتعامل.

لم أر المرحومة السيدة نصري أكثر من خمسة عشر يوماً، جاءوا بها من سجن (أيفين) إلى سجن (قصر)، ويحتمل أنهم أخذوها مرة أخرى إلى سجن (إيفين)... كانت امرأة مؤدبة ومهذبة جداً، وقورة ومتدينة، كانت مهتمة جداً بصلاتها، وتناقش كثيراً.

ألقي القبض أيضاً على السيدة (زري) والسيدة (زهراء) بسبب النشاط السياسي لأزواجهن.

كانت اليساريات ناشطات جداً، حيث كن يفكرن دائماً في استقطاب أنصار ومؤيدات لهن، فيخترن البنات من صغار السن أو حديثات العهد بالسجن، ويطرحن مواضيع شيوعية ماركسية مختلفة، ويجذبونهن نحوهن، كان أكثر المواضيع التي تطرح جديدة وجذابة بل مؤثرة بالنسبة للبنات التي تتراوح أعمارهن بين الأربعة عشر والخمسة عشر عاماً اللواتي تم اعتقالهن في مدارسهن، ولقلة معلوماتهن ومستواهن العلمي والبحثي ملن وراء اليساريات، حاولنا مراراً أن نقف بوجه اليساريات، وننقذ البنات حديثات العهد من مصيدتهن، لكن النجاح الذي حالفهن كان بسبب الخداع والكذب والوعود التي يعطونها أو يقطعونها على أنفسهن.

لم نكن نرغب الاستفادة من أي وسيلة كانت، فهن يعتقدن أن الغاية تبرر الوسيلة، لهذا لم يأبين استخدام الكذب والغش في دعوتهن، لكن مع كل ذلك استطاعت زميلاتنا المتدينات الملتزمات أن يحافظن على الكثيرات من خطر التهاوي والسقوط في أحضان اليسار.

كانت اليساريات بقيادة السيدة (ويدا حاجبي)^(١)، يتحركن دائماً في داخل الزنانة والباحة والغرف الأخرى، ويناقشن في كل شيء، قد تخرج تلك النقاشات أحياناً عن المواضيع السياسية وتكون لا أخلاقية.

السيدة (ويدا حاجبي) امرأة مخادعة جداً، كانت تلقي مواضيع منحرفة على مسامع البنات الشابات، لتخرجهن من الاعتقاد بالدين، وتزرع في أنفسهن البغض والكراهية للصلاة والصيام.

في ليلة من الليالي فقدت أموال النسوة السجينات، حيث كن يضعنها في صندوق صغير، ليصرف على الجميع، دلت القرائن على من قام بهذا العمل الجبان والشنيع، كنت منزعة وغاضبة، وبطريقة ما جئت بإناء فيه قليل من النفط، وهددت إن لم يعثر على هذا المال فسأحرق الزنانة، أرحنا الفرش جانباً، وعثرنا على المال، كان قد وضع تحت فراش واحدة من صديقات السيدة (حاجبي).

أما شهر رمضان، فقد كان له في تلك السنوات طعماً خاصاً ونكهة وحلاوة، ولا تزال تلك الذكريات حية متقدة في أذهاننا، لا يمكن أن ننساها، كنا عدة أشخاص نصوم، فنستيقظ في ظلمة الليل الحالك ومن دون إحداث ضجيج، نتسحر، بقطعة من الخبز مع عدد من قطع التفاح

(١) للإطلاع أكثر عن (ويدا حاجبي)، انظروا الملحق رقم ١ القسم (ب).

والبرتقال، نضعها بين أسناننا ثم نأكلها على ضوء مصباح خافت، وبعد ذلك نبدأ نتهجد ونصلي ونبتهل.

كانت السيدة (صيرفي) من يساريات شيراز لم تكن تصلي ولا تصوم، إلا إنها تستيقظ في السحر، فتأتي إلينا، وتراقبنا، كنا نحيا ليالي القدر بقدر وسعنا، فنصلي ونبتهل وندعو، ونرفع المصاحف على رؤوسنا، في ليلة من الليالي انتبهت إلى السيدة (سيمين نهاوندي) - وهي من القياديات اليساريات أيضاً ولا تؤمن بالله - قد قامت، وجلست في الزاوية التي خلفنا، وأخذت تتضرع بخشوع ووجل، ثم استغرقت في تفكير عميق، وكل من لا يعرفها كان يتصور أنها تسير في عوالم وآفاق بعيدة وشاهقة جداً، وأنها تمتلك مقامات عرفانية رفيعة، وفي اعتقادي أن فطرة البحث عن الله لا تزال لها ولأمثالها حية لم تنعدم، وهي تبحث في وجدانها عن الخالق الواحد الأحد، لكنها مع الأسف لم تعتنم هذه الفرصة، ولم تستفد منها حتى...

كانت السيدة (صديقة صيرفي) تمتلك أساساً نظيفاً وطاهراً من بين البنات والنسوة الشيوعيات، حيث كانت كثيراً ما تلصق نفسها بي وتتقرب إليّ، فأتحدث لها عن الله والقرآن والقيامة، وبعبارة أوضح: عن (الدين). شاهدت فيها علامات صالحة وإيجابية، كنت أحاول قدر معلوماتي أن أذكر لها ما أعرفه بصراحة وبساطة.

دخل رجال الأمن علينا يوماً الزنزانة وطلبوا من السيدة (صيرفي) أن ترافقهم إلى غرفة التحقيق في دائرة الأمن، فأتتباها الخوف والذعر الشديد، وهي في هذه الحال، توجهت إليّ وقالت: «يا سيدة مرضية، ادع لي، ما الذي حصل لي في نظرك؟»، قلت لها: «الله هو العالم، فأنا لا

١٠٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أعلم، لعلك تعلمين أفضل مني، على كل حال توكلني على الله والجني إليه، واطمئني أنه سيساعدك» ثم ذهبت...

لم نعرف عن السيدة (صيرفي) أي خبر لفترة تقرب من خمسة وأربعين يوماً، في هذه المدة عادت إليّ أمراضي، وأصبت بالتلوث والقيح، وارتفعت درجة حرارتي، مما جعلني طريحة الفراش فأوصلوا لي مصلاً، وبينما أنا بهذا الحال، وإذا بباب الزنزانة تفتح، فرموا بالسيدة (صديقة) في داخل الزنزانة، كنت أسمعها تسأل عن حالي دائماً، وتنقل من غرفة إلى أخرى وتسأل: ألم ترَ أحدكن السيدة حديدجي؟ ألا تعرفن أين (مرضية)؟ و...» قالت لها إحدى اليساريات: «... وما تريدين من هذه المشرفة على الموت؟» ومن غرفة إلى غرفة استطاعت أن تجدني، كانت دموعها تنساب على خديها، انحنت عليّ وقبلتني، واحتضنتني بذراعيها، وانفجرت بالبكاء والعويل، وقالت: «مرضية لقد شاهدت من ذكريته، تخيلت أنها تتحدث عن إحدى المعتقلات، أو من الذين كان لهنّ ملف سوابق معي، وتكلّمت عنها من قبل مثلاً، أو سجينه كانت قد رأيتني، ولعله جاءني منها برسالة، فسألتنني: «أتعلمين من الذي رأيته؟ قلت: «لا»، فقالت: «إنه الله، إنه الله»، وضعت يديّ على رقبته وأقبلتُ جبهتها، وقلت: «أتصدقين؟ أم تريدين أن تهدئي من روعي وأنا في هذه الحال وتواسيني»، قالت: «كلا، أقسم لك بمن تعبدن، لقد رأيته، لقد رأيت الله»، سألتها: «وكيف؟» قالت: «لقد ألقى القبض على بعض الأفراد، وطلبوا مني - وبقوة - أن أعترف عليهم وأعطيتهم بعض المعلومات، وفي حال التجاوب معهم هذا يعني أن ملفي يزداد صعوبةً وتعقيداً، لذا قررت أن لا أدلي لهم بشيء من المعلومات مهما أمكن،

عذبوني كثيراً وانهالوا عليّ بالضرب، قلت: «إلهي، لو كنتَ كما تقوله مرضية، وأحتمل أنها صادقة فيما تقول، فساعدني الآن في محنتي ونجّني منهم...» فوجدت نفسي أنظر إليه، وقالت: «لن تصدقين، لقد ساعدني الله حقيقة، وبعد أن استجوبت أربعاً وعشرين مرة، اقتنعوا بأنني لا أعرف هذه المجموعة، ولا علاقة لي بهم، وأعاني الله أن هؤلاء أيضاً لم يكونوا مستعدين ليدلوا بشيء عني، رغم أننا كنا معاً على اتصال مباشر، وكانت لنا فعاليات وأنشطة مشتركة...» وعلى هذا المنوال أخذت تأنس بي كثيراً.

جاءتني السيدة (صيرفي) في يوم من الأيام، وقالت لي: «إنها تحب أن تسمع أموراً حول القرآن»، فذكرت لها بعض الأمور، فرغبت في أن تتلو القرآن، ولكن كان لها مشكلة، تقول: «لو كتبتُ اسمي للحصول على نسخة من القرآن، فستسخر مني زميلاتي (اليساريات) وسيخلقوا لي مشاكل» ولذلك كنت أخذ قرآناً باسم إحدى الأخوات، وأعطيتها إياه في آخر الليل، حيث أضع القرآن أعلى رأسي، وبما أن سريرها فوق سريري فتأخذه، وبعد القراءة تعيده إلى مكانه، جاء رجال الأمن بعد مدة وأخذوها فلم أرها بعد ذلك، وليس لي أي خبر عنها لحد الآن.

كانت زوجة السيد (گلسرخي) إنسانة ضعيفة، قيل إن عمتها من طبيبات مستوصف السجن، استدرجها رجال الأمن (السافاك) للتعاون معهم، فكانت تحاول بين آونة وأخرى أن تُسرّب أخبارنا، وعندما تكون صحتي جيدة أحياناً أذهب إلى الحمام لأجل الصلاة وقراءة القرآن والدعاء في ساعة متأخرة من الليل، كان مسؤولو السجن في ذلك الوقت يقطعون عنا ماء الحمام، ويوصدون الباب لكي لا يذهب إلى هناك أحد،

فينتحر، فوجدت أنا طريقاً فصرت أذهب إليه بين آونة وأخرى.

أخذوني في يوم من الأيام إلى رئيس السجن، اعترض عليّ قائلاً: «ماذا تفعلين الليلة الماضية في الحمام؟» وأضاف: «ماذا تفعلين عندما تبقيين ساعة ونصف هناك؟» كانت الإجابة صعبة عليّ هذا السؤال. قلت: «أنا عندما أؤدي الصلاة، وبسبب المشاكل الصحية التي عندي، أبكي وأتأوه كثيراً، فتأذى من ذلك زميلاتي المعتقلات»، قبل رئيس السجن هذه التوضيحات مني، وطلب مني أن لا أكرر ذلك، ففهمت من كلامه أن زوجة السيد (گلسرخي) هي التي أخبرتهم بذلك.

برامج وأحداث المعتقل:

في المرحلة الأولى من اعتقالي تظاهرت لهم أنني امرأة عادية لا أعرف القراءة والكتابة، فسجل هذا المطلب في الملف الخاص بي، ولهذا كنت حذرة فطنة إذ عليّ أن أواصل نفس ذلك الدور أيضاً، وأقول: «إنني أجهل القراءة والكتابة»، كان إصراري عليّ كوني امرأة لا أعرف القراءة والكتابة يؤدي رجل التحقيق معي ويغضبه، فكان يقول لي: «أنت التي لا تعرفين كتابة أربع كلمات بسيطة كيف تريدين أن تحاربي الشاه وتسقطي النظام والحكومة؟ وطلب مني أن أتعلم القراءة والكتابة لا أقل في السجن، فكان عليّ أن أختار شاهداً عليّ سير تعليمي، وأكمل دوري ومخططي، اخترت السيدة (صديقة صيرفي) كمعلمة لي، وكان هذا الأمر سبباً في تعلق السيدة (صيرفي) بي وتقربها مني، واستطعت التأثير عليها^(١).

(١) للإطلاع أكثر يرجى الرجوع إلى كلام السيدة خير ضمن الملحق رقم ١ القسم (ب).

كانت لنا برامج مسائية وصباحية معينة ومحددة في سجن (قصر)، فالمعتقلات المسلمات يستيقظن قبل أذان الصبح، وتجلس كل واحدة منهن في زاوية ليستغلن بفرائضهن الدينية وأداء المستحبات، وبعد الفراغ من إقامة صلاة الصبح، يتجهن نحو ساحة صغيرة في الواجهة الأمامية للمبنى ويمارسن الرياضة، أما المعتقلات اليساريات فكنّ يحضرن للرياضة أيضاً، أما أنا فلم أكن قادرة على المشاركة في هذه البرامج، بسبب وخامة الجراح والالتهابات والضعف العام، وبعد الرياضة الصباحية يأتي دور تناول وجبة الإفطار، وبعده تشغل كل واحدة منا بنفسها، كان أكثر وقتنا نمضيه في مطالعة الكتب، والحضور في البحوث والجلسات السياسية، وبعد تناول السجينات والمعتقلات غداءهن يذهبن إلى الاستجمام والراحة، ويخرجن عَصراً إلى الساحة ويدرن في الغرف وحول الأسرّة، ويروحن عن أنفسهن بالمشي، وقد يسمح السجّان أحياناً - تعاطفاً منه - أن تسير السجينات والمعتقلات في الشُرْفَة أمام المبنى، ثم يوزع طعام العشاء في أول الغروب أو قبله، ثم تجلس المعتقلات جنباً إلى جنب، ويبدأن الحديث والنقاش حول الكتب التي قرأنها، وفي الساعة العاشرة التي هي أفضل ساعات المطالعة يبدأ الظلام العام، وفي ظلمة هذه الساعة تبدأ الهمهمة والبسبسة التي لا انقطاع لها، فكان كل اثنتين أو ثلاث يتحدثن بصوت منخفض وهادئ في زاوية من زوايا الزنزانة عن برامجهن المستقبلية وقراراتهن، ويمارس البعض منهن أيضاً أعمالاً أخرى، وعلى كل حال، لم يكن هذا وقت النوم، ويتناول النوم إلى أعين السجينات والمعتقلات بعد منتصف الليل، وفي هذه اللحظات تبدأ العيون تعشو من ضوء مصابيح النوم، لكن الأغلب منهن يغطين أعينهن بالمقانع، لينمن.

كان وقت الزيارات يجري بشكل طبيعي، ولم يكن يسمح بالزيارات إلا للأقارب من الدرجة الأولى، جاءت أخواتي وعائلي عدة مرات لزيارتي، ومرة أو مرتين جاء لزيارتي بنات وأولاد عمومتي ويلقبون (حديجي) بدعوى أنهم أخوتي أو أخواتي، ويأتي زوجي لزيارتي أيضاً مرة واحدة في كل شهر بعد عودته من الأهواز. لم يسمح مسؤولو السجن للأطفال الذين هم أقل من سبع سنوات بزيارة ذويهم، ولكن هذا الحظر رفع مؤقتاً في عيد (النوروز) عام ١٩٧٤م.

جاء أبي وأمي وأخوتي وأخواتي لزيارتي، واصطحبوا معهم بناتي وابني الصغير، كانت الزيارات تتم من خلف القضبان والشبك، وأخذوا يرفعون الصغار من أجل أن نراهم ويرونا، ولا أدري ما السبب الذي دعا رئيس السجن أن يسمح لأولادي بزيارتي حضورياً؟ كانت تلك اللحظات جميلة جداً وممتعة، إنها لحظات لا تنسى أبداً، كنت أحتضنهم بشدة، وهم يتقافزون على رأسي ورقبتي ويلعبون ويضحكون مرحاً، وقد تفتحت جراحي الملوثة واستولى الوجع على كل جسمي، ورغم ذلك كان عليّ أن أتحمل وأطيق هذه الحالة، وانتبه لكي لا يمس أحد من الأطفال والزائرين جسدي فتصيبه عدوى المرض، وفي نفس الوقت عليّ أن لا أظهر تعبتي وإرهاقي ومرضي؛ حتى لا يعرفوا حالتي وسقمي، فيخبروا العائلة بذلك، ولعل أسرتي تقوم بالتماس بعض الأشخاص من أجل أن يسعوا لإطلاق سراحني، كنت أجلسُ أبنائي الأعزاء إلى جانبي وأجلس الصغار على ركبتي، لتصل يدي إلى رؤسهم ورقابهم، ومع أنني أعاني من وجع شديد، إلا أنني لم أكن أريد أن أفقد هذه اللحظات الحلوة الجميلة المتاخمة للعب وإيذاء الأولاد الصغار وضحكهم

ومرحهم، انتبه اثنين من رجال الأمن لهذا المرح والفرح، فتركوا أولادي إلى ما بعد انتهاء وقت الزيارة، ثم صاروا يتباكون، ويقولون: «نحن نريد أن نبقي عند أمنا»، وكأنهم يتصورون أنهم جاءوا للضيافة والتسلية.

خرج أولادي مرغمين من هنا، لكن عائلتي تقول: إنهم متى ما رأوا رجال الأمن في الشارع تنقطب وجوههم، ويقولون: «إن هؤلاء هم الذين لم يسمحوا لنا بالبقاء مع أمنا، وفرقونا عنها».

لكل معتقلة وسجينة مصروف شخصي، لشراء السجائر، الحليب، الألبان، و... أما من يعانون من أمراض حادة في الجهاز الهضمي، ويؤذيهم طعام السجن، فقد كنّ يشتري احتياجاتهن من حانوته، وكان هذا المصروف يدفع من ميزانية السجن، أو من قبل الأقارب والأهل الذين يعودون أقاربهن السجينات المعتقلات^(١).

إطلاق سراحني من السجن:

في المرة الأولى التي اعتقلت فيها أصبت بأمراض جلدية والتهابات مزمنة، عولجت منها بصعوبة، ولهذا كان من الضروري جداً أن أراقب صحتي أكثر؛ لكي لا تعود عليّ تلك الأمراض المسرية بسبب وجود البيئة المساعدة لها واستعداد جسمي لذلك.

أما في المرة الثانية التي اعتقلت بها فلعدم توفر النظافة المناسبة أيضاً، وعدم وجود الإمكانيات اللازمة للعلاج، تعفنت جروحي وقروحي القديمة والجديدة، وكانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، حتى أصبحت في

(١) للإطلاع أكثر على أحوال السجن يراجع الملحق رقم ١ الفقرة (ب).

١٠٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

غاية الوحامة، القيق والتعفن استوليا على جسمي كله، فملأت رائحتها التينة كل فضاء الزنزانة، فكان من الطبيعي أن تعاني سائر زميلاتي المعتقلات من تلك الرائحة الكريهة، فلم تكن واحدة منهن قادرة على الجلوس والتحدث معي، وبعد المداواة الطويلة والاستفادة من المضادات الحيوية القوية، وصلت الممرضات في مستوصف السجن إلى هذه النتيجة مفادها: عدم تحسن صحتي بسهولة، ولا فائدة في العلاج، وأخبروني بأني سأموت قريباً.

لم تكن المعتقلات اليساريات قدرات على التعايش في مثل هذه الأجواء، وكن قلقات أن تكون الأمراض معدية، فيسري لهن المرض، وبعد التشاور فيما بينهن حول هذا الموضوع، قررن أن يكتبن رسالة إلى رئيس السجن ومؤسسة (فرح) يشرحن فيها وضعي وحالتي الصحية، وقلن: «إن معتقلة سجين بهذه المواصفات لها عدد كبير من الأولاد مبتلاة بهذا المرض، وقد ملأت رائحتها التينة كل فضاء الزنزانة، وقد سلب أئينها النوم من أعيننا، فلا نطبق تحمل هذه الحالة، ولعلنا نصاب نحن أيضاً بالعدوى والمرض، لدى فنحن نطالب إما بتغيير مكانها أو تغيير مكاننا».

أصبت بحالة إغماء عدة أيام، ولم يكن لي علم بما حولي، كان الجميع يعدّ اللحظات ليأتيني الموت، ولكن بسبب إرسال الرسالة ومتابعة اليساريات المعتقلات، جاء لفحصي أطباء من خارج السجن، لم يجرؤ احد منهم على الدخول إلى الزنزانة، فوضعوني على (حمالة) وأخذوني إلى المستوصف، وهناك أخذوا ينظرون إلى جروحي بالمجهر، وأخذوا عينات من بعض الأماكن من جسمي، وبعد أيام أعلنوا

عن نتائج هذه الفحوصات: أنني تعرضت لمرض السرطان الذي شمل كافة الخلايا الجلدية، وليس هناك من قدرة على العلاج.

كانت محاكمتي الأولى والثانية في الأشهر الماضية صورية، كانت تعقد الجلسات برئاسة القاضي (خواجه نوري) حيث حكم عليّ بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً، أرشدني المحامي المعين من المحكمة إلى تقديم شكوى للإفراج عني، وسلّمتها إلى المحكمة، ولكن لم يعيروها اهتماماً حتى إجراء الأطباء الفحوصات اللازمة لي، وبعد إعلان إصابتي بمرض السرطان، عقدت المحكمة جلستها الثالثة فوراً برئاسة القاضي (خواجه نوري) أيضاً، فقلّل من محكوميتي وحددها بالمدة التي قضيتها في السجن وهي سنة واحدة وأربعة أشهر.

أطلقوا سراحي وأنا بهذا الحال، كنت بحالة مزرية في أوج ضعفي ونحولي البدني، وشدة مرضي وإصابتي بمرض السرطان،

كان رجال الأمن (السافاك) يأملون أن أموت خارج السجن، حتى لا يستغل الثوار موتي كمادة إعلامية ضد النظام.

أخبروا عائلتي بتاريخ إطلاق سراحي، خرجت ولم أكن قادرة على الوقوف، كنت أسحب نفسي وأزحف على الأرض، عندما وصلت إلى أعلى السلم، هرول (زوج ابنتي) بسرعة نحوي، واحتضنني، وأركبني سيارته، ثم أخذني إلى البيت.

أرقدتني عائلتي مباشرةً في مستشفى (آريا)، فكان الدكتور (كوهي) ومجموعة من الأطباء هم المشرفون على معالجاتي، ومع أن أطباء السجن وخارج السجن قد قطعوا الأمل من تحسّن حالتي وشفائي، لكن متابعة العلاج والدقة ورعاية الأصول والضوابط الصحية للمستشفى

١١٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أظهرت فيّ بعد شهرين تحسّناً نوعياً، فصرت قادرة على الوقوف على
رجليّ، وشعرت بتحسّن صحيّ، ولكن حساسية الجلد لا تزال إلى اليوم
باقية، تذكرني بتلك الأيام المريرة والمليئة بالعذاب والألم.

الفصل الثاني

الهجرة

العروب إلى إنجلترا:

في عام ١٩٧٥م، بعد الخروج من المستشفى، وبينما كنت أمرّ بفترة النقاهة، وصلني خبر عاجل بإلقاء القبض على أحد الإخوة وهو يحمل عتاد ومتفجرات في سيارة على الحدود، كنا نعرف هذا الأخ باسم (مرتضى)، قام رجال الأمن بتعذيبه في السجن ومارسوا بحقه التعذيب، ولأنه كان يتصور أنني لا أزال في المعتقل، اعترف لهم أنه جاء بالأسلحة ليسلمها لي، علماً بأنني لا أعرف عن ذلك شيء أبداً، ولم أعلم أن هذه البضاعة أتت بها إلى من؟ ومن أي جهة.

في هذه الأجواء، كنت أشعر في كل لحظة أنه سيتم اعتقالني من قبل رجال الأمن، جاءني عدد من الإخوة وقالوا: من مصلحتك ومصلحة الحركة أن تغادري البلاد فوراً، وتذهبين إلى الخارج، لقد توقع هؤلاء أن رجال الأمن لو اعتقلوني فسأعدم فوراً.

ولتنفيذ هذا المقترح، كنت بحاجة إلى إذن زوجي، فلم يعترض على ذلك؛ نظراً للحالة الصعبة التي كنت أمرّ بها.

١١٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

في مدة قصيرة، هيأت مستلزمات السفر، أو بعبارة أخرى: مقدمات الهروب من إيران، فمنحني الإخوة جواز سفر مزور، وتقرر أن أرافق شخصاً أعمى يريد الذهاب إلى إنجلترا لإجراء عملية جراحية، وقد اتخذت الإجراءات اللازمة بشأن ذلك، فأرسل المرحوم الشهيد (محمد منتظري) جواز السفر وتذكرة الطيران وسائر الوثائق الثبوتية بيد أحد الإخوة الثقة، وتوكلت على الله، فاتجهنا صوب المطار، اجتزنا الجمارك ونقطة تفتيش المطار بسلامة والحمد لله، وركبنا على متن الطائرة التي غادرت طهران متجهة إلى بريطانيا.

بعد دخولنا لندن سلّمت العنوان المدوّن إلى سائق سيارة الأجرة، فأخذنا إلى أحد الفنادق الهندية، حيث كان يقيم فيه عدد من الإيرانيين والآسيويين، بعد أن تم الاستقرار في الفندق ولو بشكل مؤقت، ونقلنا أمتعنا إلى الغرفة التي من المقرر أن نسكن فيها، راجعنا إحدى المستوصفات الطبية للعلاج، لم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، أجريت للشخص الذي رافقته في السفر عملية جراحية، ولكنها فشلت مع الأسف، وعاد ذلك الرجل بعد عدة أيام إلى إيران، وبقيت أنا لوحدي في عالم مليء بالغربة والوحشة والوحدة.

لم يبق عندي نقوداً لأصرفها على الفندق أو إعداد الطعام، فطلبت من رئيس الفندق أن يأذن لي بالعمل له في مقابل أجرة الفندق والطعام الذي أتناوله، قبل هذا العرض، ورضي أن يعطيني ٢ باوند في الأسبوع مضافاً إلى وجبة الإفطار صباحاً فإنها تقدّم لي مجاناً، كنت صائمة في أغلب الأيام، وأخذ البيضتين اللتين كان من المقرر أن أتناولهما في الصباح، فاحتفظ بهما إلى المغرب لأفطر بهما مساءً. بعد مدة أصبت

بسوء التغذية، ولم يكن أمامي خيار آخر، وأخيراً ارتبطت بأحد الإخوة في التنظيم، فكان يأخذني عصر السبت أو الأحد لأحضر اجتماع يعقد في كل أسبوع، كان يحضره الإيرانيون المتواجدون في لندن والقادمون من مدن أخرى، فيتحدث لهم الدكتور (سروش)، عن التوحيد، الأخلاق، والدين، و... ثم يجيب على أسئلتهم. كانت هذه المحاضرات جيدة جداً ومفيدة كثيراً للحاضرين.

كان التعرف على الدكتور (سروش) وعائلته فرصة ثمينة، وكانت الاستفادة من هذه الأجواء لازمة ومطلوبة جداً بالنسبة لي. تعرفت في هذا الاجتماع على كل من: الدكتور (أحمدي)، الدكتورة (شريفة جعفري)، والسيدة (كاظم زاده).

كان الدكتور (سروش) قد استأجر بناية ذات طابقين، وتعتبر هي الأكبر مع مقارنتها ببنائات سائر الإخوة في التنظيم، ولذلك كان يستفيد منها كثير من الإخوة المغتربين القادمين إلى إنجلترا والطلاب الجامعيين، واتخاذها سكناً مؤقتاً لهم.

بعد أن اطلع الدكتور (سروش) على حالتي المعيشية في لندن، قمت أنا أيضاً بنقل مكاني إلى هناك، واخترت هذا المكان مقراً وسكناً مؤقتاً لي، كان هناك أفراداً كالـدكتور (سروش) وغيره في (لندن) و(أوروبا) يسهلون عمل الشوار بتوفير وإتاحة كافة الإمكانيات المعيشية لهم، من بينهم شخص يدعي السيد (عبد الله)، كان له بيت أيضاً يضع كافة غُرفه في متناول واختيار الأشخاص القادمين لتوهم من إيران.

استمرت هذه الحالة، أي المشاركة في الاجتماعات إلى حين قدوم

١١٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الدكتور (بهشتي)^(١) إلى لندن، ومجيئه إلى بيت الدكتور (سروش).

عندما وقع بصره عليّ، خاطبني باسم (دباغ)، لم يكن الدكتور (سروش) يعلم باسمي الحقيقي إلى ذلك الوقت، فأظهر ردة فعل، وقال: «إذاً نحن أقارب» ثم سألني بجدّ: «ما الخبر؟ فقال الشهيد بهشتي: «هذه السيدة (حديدجي) زوجة السيد (دباغ)، وهي من تلميذات آية الله

(١) الشهيد الدكتور السيد محمد الحسيني البهشتي، ولد في إصفهان في ٢٤/١٠/١٩٢٨م، في أسرة من رجال الدين معروفة بالالتزام والتدين، بدأ دراسته وعمره أربع سنين في دور التدريس التقليدية، ترك دراسته الثانوية في عام ١٩٤٢م، بدأ دراسة العلوم الدينية في مدرسة (صدر) في أصفهان، ثم انتقل عام ١٩٤٦م، واشتغل في الدراسة بكلية المعقول والمنقول، كان له دور كبير في الحركة الوطنية لتأميم النفط، وكان له دور مهم أيضاً من عام ١٩٥٤ لغاية ١٩٦٤م في القيام بتأسيس ثانوية الدين والعلم في مدينة قم المقدسة، بعد اغتيال حسن علي منصور رئيس الوزراء في ذلك الوقت، وباستثمار تلك الفرصة، ودعوة الآيات العظام في قم المقدسة له لإدارة مسجد هامبورغ، سافر إلى ألمانيا، وعاد في عام ١٩٧٠م إلى إيران، إلا أن النظام البهلوي منعه من السفر مرة أخرى إلى ألمانيا، أُلقي القبض على الدكتور بهشتي عام ١٩٧٥م بسبب قيامه بأنشطة لتوعية الناس وإشاعة المفاهيم السياسية والقرآنية لأربعة أعوام، لكن أطلق سراحه بعد مدة، ولعب دوراً كبيراً في تشكيل (جمعية رجال الدين المناضلين)، ولعب دوراً كبيراً ومهماً في هداية الثورة الإسلامية الإيرانية في داخل البلاد، أُلقي عليه القبض أيضاً بعد عاشوراء عام ١٩٧٨م، سافر إلى الإمام الخميني في باريس، فقام بتشكيل النواة الأولى لمجلس قيادة الثورة بأمر الإمام الخميني وبدعم وإسناد شخصيات كبيرة أخرى مثل آية الله مطهري، وآية الله موسوي أردبيلي، وحجج الإسلام رفسنجاني وباهنر. تصدّى لوظائف عديدة بعد انتصار الثورة الإسلامية مثل: منصب الأمين العام لمجلس قيادة الثورة، نائب رئيس مجلس الخبراء، ورئيس الديوان الإداري العالي في البلاد، أول أمين عام لحزب الجمهورية الإسلامية، وأخيراً استشهد آية الله الدكتور بهشتي على أثر انفجار قنبلة وضعت في مقر الحزب الجمهوري الإسلامي في عام ١٩٨١م على أيدي المنافقين، واستشهد معه أكثر من اثنين وسبعين شخصاً من أنصاره، كان أغلبهم ممثلون في المجلس النيابي.

(سعيدى)، تركت أولادها الثمانية في إيران وجاءت إلى هنا، لم يكن من المصلحة لحد الآن أن يعرف أحد من هي؟ وما عملها» كان هذا الأمر مثيراً للاهتمام جداً بالنسبة للدكتور (سروش).

وصل خبر الاختلافات والمنازعات بين المنظمات والأحزاب المناضلة في الخارج إلى داخل البلاد أيضاً^(١)، فأخذت تُعقد اجتماعات بحضور وتواجد كافة الفصائل والحركات المعارضة الناشطة والفاعلة في خارج البلاد في لندن، يتناولون فيها عرض نظريات، ومقترحات، وبحوث حول الثورة والحركات المناهضة للإمبريالية، فيتم عرضها على طاولة البحث والنقاش بشجاعة، ويحصل نوع من التقارب فيما بينهم على هذا النحو، حتى تسعى كافة الأطراف لتحقيق هدف كبير ومشترك.

وبعبارة أخرى: الاتفاق على صيغة وجدول عمل مشترك وقرار واحد كبير وهدف جامع، هو: إسقاط (الشاه)، فلا يمكن الإطاحة به إلا من خلال توحيد استراتيجية العمل، ويلزم من هذا المعتقد: تعديل حركات المقاومة والفصائل المعارضة والأحزاب في بعض توجهاتها وأساليبها وأهدافها الخاصة، وعليهم جميعاً أن يقفوا صفاً واحداً ويتحدوا أمام العدو ما دام موجوداً، وأن ينبذوا كافة النزاعات والخلافات، وعدم

(١) وقعت الخلافات والمشاحنات داخل منظمة مجاهدي خلق في عام ١٩٧٥م، واستتبع هذه الخلافات الأيديولوجية، أن يدير كل من محمد تقي شهمزاد وزميله بهرام آرام ووحيد افراخته قسماً من هذه المنظمة، وقد حصلت في تلك الآونة استحالة فكرية وتغيير للأيديولوجية، وتحولوا إلى ماركسيين، واجه هذا الانقلاب العقائدي مقاومة شديدة من عدة أشخاص، منهم: الشهيد مجيد شريف واقفي، والشهيد مرتضى صمدية لباف، وأدى ذلك أخيراً إلى تصفية دموية لهما، والاعتراف بالمنظمة.

١١٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

هدر طاقاتهم وقواهم وصرفها باتجاه مقارعة العدو، لا مواجهة وإضعاف بعضهم البعض الآخر.

في حديقة (هايد)^(١)، في لندن، يمكن لكل شخص من أي جنسية ولغة أن يتكلم مع كل جهة أو جماعة بكامل حرية وبصراحة.

حضرت في يوم من الأيام فصائل وطوائف عديدة ومختلفة مناضلة، بدءاً من النجوم الحمراء إلى أنصار (مانو) و(كاسترو) و(لينين) ومنظمات مجاهدي خلق والأحزاب الوطنية، وانتهاءً بالمجاهدين المسلمين المتواجدين في هذه الحديقة، وكان يحاضر واحد عن كل جماعة واتجاه، فكان ذلك اليوم مشهداً مذهلاً، ارتقى شخص يدعى السيد (جواد) المعروف (جو) المنصة، وألقى محاضرة، فقال بحالة من الحماس: «البشرى، البشرى، في النتيجة توصل إخواننا وأخواتنا أو الأفضل أن أقول: توصل الرفاق في السجن إلى هذه النتيجة: إن الإسلام عاجز عن الإجابة الكاملة والتامة عن كافة احتياجات ومتطلبات المجتمعات وما يعرض من تساؤلات وقضايا، فقد عرض هؤلاء نظريات وأفكار جديدة، هؤلاء يعتقدون أن الأصل هو الكفاح والنضال، إذاً كلما يعيق تحقيق هذا الأصل: كالصلاة، الصيام، الحجاب، أو أي عمل ديني أو غير ديني، فإنه يضرب به عرض الجدار، ولا خير فيه، ويترك، و...».

تألمت كثيراً لسماع مثل هذا الكلام الهزيل والأسلوب المغرر به

(١) HYDEPARK تم تملك هذه القطعة من الأرض في عام ١٥٣٦م، لإيجاد مرعى للصيد، وبعد ذلك تحولت إلى حديقة (هايد)، كانت الحكومة البريطانية والشعب يهتمون كثيراً بهذه الأرض، وهي تعيد ذكريات العديد من الأحداث الاجتماعية والمظاهر الشعبية والتجمعات.

والمخادع للعوام والبسطاء السذج، كنت في حالة غضب ولا أقدر على إجابته وأنا على هذا الحال، لأنني لم أكن في هذا الاجتماع سوى ضيفة ومشرفة، ليس عليّ سوى الحضور والإنصات ولا وظيفة أو تكليف آخر لي هنا، لكنني قررت أن أتعامل معه بشكل آخر، عندما عدت إلى السكن، طلبت من الإخوة في التنظيم أن يعثروا على عنوانه، ويأتوني به، لأتجاوز معه، سألوا عنه، فوجدوه وجاءوا به إلى الفندق، عندما دخل السيد (جو) إلى الغرفة، وبعد السلام المتعارف، قال: «قولي لهم أن يأتوا لي بقدر من ماء الشعير» كانت هذه المسألة سبباً لأن أسأل: «أأست مسلماً؟» قال: «نعم»، قلت: «أنت مناضل معروف، الشخص الذي يناضل، الشخص المسلم، ينبغي أن لا يشرب ماء الشعير» قال: «لا يا سيدة، قد حلّ السادة الزعماء والقادة في السجن هذه المشكلة لنا والحمد لله»، قلت: «ومن تقصد بالسادة؟» قال: «مسعود (رجوي)، مهدي (ابريشمجي)، و...» قلت: «يا للعجب، أنه مثير للاهتمام، فأمثال هؤلاء ممن لا تعرف نواياهم وباطنهم كم هم قادرون على فهم الإسلام، وبأيّ حق يسحقون بأقدامهم وأرجلهم تعاليم الدين، هل بهذه السهولة، وتحت مسميات الكفاح والنضال؟ فيلقون البدع والضلالات على الناس معتبرينها حلولاً وأساليباً عملية لهؤلاء الأشخاص والشباب المغرّرين بهم، فليس لهؤلاء غرض من ذلك سوى الخدشة في الصورة الناصعة والحقيقية للإسلام، وأن النضال والكفاح في أيديهم عبارة عن وسيلة لتحقيق مآربهم ومطامعهم الباطنية الشريرة والديئة...» استغرق حوارنا ساعة واحدة، ولكنه لم يثمر عن شيء، وكأن الله طبع على سمعه وقلبه ولسانه، وأغلق بصره عن مشاهدة الحقيقة والقضايا المنطقية.

الشهيد محمد منتظري:

بعد ثلاثة أشهر أقمتها في لندن، جاء (محمد منتظري)^(١)، إلى

(١) حجة الإسلام محمد علي منتظري، ابن آية الله حسين علي منتظري، ولد عام ١٩٤٤م في مدينة (نجف آباد) من توابع مدينة (أصفهان)، قضى صغره بالعمل والدراسة معاً، دخل إلى الحوزة العلمية في قم المقدسة لدراسة العلوم الدينية عام ١٩٥٨م، تتلمذ على يد أساتذة أمثال: آية الله الداماد، الإمام الخميني، آية الله مشكيني، وآية الله منتظري، بعد حادثة (١٥ خرداد) عام ١٩٦٣م، ضاعف من نشاطه الثوري، فألقي عليه القبض في أبريل عام ١٩٦٥م، ووضع في زنزانة في سجن (قزل قلعة) وتحمل التعذيب والضرب هناك سبعة أشهر، ألقى القبض عليه ثانياً في عام ١٩٦٨م، وقضى فيها ثلاثة أعوام في السجن، ونجى من محاولة كر وفرٍ استغرقت شهرين لاعتقاله مرة أخرى من قبل أزام النظام في عام ١٩٧١م وسافر إلى خارج إيران، كانت أنشطته في خارج إيران حتى انتصار الثورة عبارة عن: الاستمرار بالدراسة في النجف الأشرف والتتلمذ عند الإمام الخميني قَدَسَ سِرُّهُ، الارتباط والتواصل مع قادة حركات التحرر الإسلامية، تشكيل نواة المقاومة والنضال في تلك البلدان، الاتصال بالطلاب الجامعيين في أوروبا، إقامة المسيرات الاحتجاجية والتظاهرات والاعتصامات ضد النظام، تعليم وتدريب الأشخاص عسكرياً في معسكرات حركة فتح، و... التحق الشهيد محمد منتظري بالإمام الخميني بعد هجرته إلى فرنسا، وكان يتردد على: أفغانستان، الباكستان، الهند، العراق، سوريا، لبنان، الكويت، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، قطر، إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، وتركيا، وكان يعرف في (لبنان) بـ (أبي أحمد).

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان من بين المؤسسين للحرس الثوري، اختير نائباً في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الأولى نائباً عن مدينة نجف آباد وبأغلبية الآراء، أسس مجلة (الشهيد) الناطقة بالعربية من أجل تصدير الثورة، وكان يقول: «لقد اقتحم شعاع هذه الثورة كافة الحدود القومية والترابية والوطنية والعنصرية، فأصبحت رسالة دماء شهداء الثورة، الحرية، وإنقاذ وتخليص المحرومين والمستضعفين في كافة أنحاء العالم». وأخيراً رجعت روحه الشريفة واطمأنت إلى جوار بارئها راضية مرضية في الانفجار المهيّب الذي أودى بحياته واستشهد في عام ١٩٨١م (انفجار مكتب الحزب الجمهوري الإسلامي).

هناك، كان هو مسؤول التنظيم في (إيران)، قدم إلى (لندن) لتنظيم المناضلين المسلمين في الخارج، ولإيجاد وتعميق الصلة والارتباط بين المجموعات المناضلة، كان (محمد) يتسم بصفات وخصائص فريدة، فقد استثمر كافة الإمكانيات المتاحة في الكفاح والنضال، وكان يسعى إلى تغيير الأوضاع وجعلها تميل إلى صالح الإسلاميين الثوريين، كان يؤمن بشكل راسخ بضرورة العمل التنظيمي، إلا أنه كان أيضاً يتمسك بالنظر والرأي الأحادي، فالعمل الذي يبدو في نظره صحيحاً يعمل على إنجازه وتحقيقه مهما كلفه الأمر. ويمنع عن القيام بأي عمل يبدو في اعتقاده أنه خطأ، يمكن أن أعبر عن الشهيد (محمد منتظري) أنه شخص يتسم بالنضج، وفي نفس الوقت شخصية ثورية متشددة، له علاقات قوية واسعة بعلماء الدين في داخل وخارج البلاد، وكذلك مع سائر الجماعات والتنظيمات المناضلة، مستثمراً هذا الارتباط والتقارب بالنحو المناسب والمطلوب.

كان الشهيد (محمد منتظري) يمتلك شخصية معقدة جداً، فلا يمكن التعرف على شخصيته وهويته بسهولة، كان أحياناً يتخذ قرارات مستعجلة جداً من باب المسؤولية ومن باب شدة القلق وعدم الرتابة، وليس - العياذ بالله - من باب عدم التفكير والتعقل أو قلة الاهتمام. كانت له خصوصيات غريبة، لا يهتم لا بالمأكل ولا الملبس، كان يبذل جهداً مضاعفاً مقارنةً بغيره، وكان لا يقضي أو يهدر وقته عبثاً، ويستفيد جيداً من الفرص، كانت حياته وخصاله فريدة جداً. من خصائصه السلبية التي لم يكن أحد يقبل بها أنانيته في الرأي، لم يكن يهتم أن يستشير أحداً في قضية أو برنامج، ليقوم شخصيته سلبياته وإيجابياته، ليري أن موقفه صحيح أم خطأ، كان ينفذ قراراته، وإذا حصلت له مشكلة جرأ ذلك

١٢٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الفعل، أو تعرض هو وأفراد مجموعته إلى ضرر، يقول: «لكل فعل شواذ» وبعبارة أفضل: «لكل شيء ثمن».

كان مثلاً راقياً في الزهد والتقوى والورع، صامداً صابراً أمام المحن والشدائد والنوائب، تحمّل الكثير من التعذيب في زنانات وسجون (الشاه)، والتي قد تطيح بكيان أيّ إنسان آخر، كانت أفكاره لا تعرف الحدود، وكان فكره ابعده من إيران، سعى لإنقاذ الشعوب من نير الظلم والارتقاء بالأمة الإسلامية، كان مستعداً لتقديم أيّ نوع من التعاون والدعم والتضحية، (العولمة الإسلامية) هو أفضل تعبير لأفكاره، وقد وفقت أن أكون تحت لوائه وقيادته لفترة طويلة في ساحات الكفاح والنضال.

كان حضوره وتواجده في لندن سبباً في إيجاد نوع من الأمان والطمأنينة لي والثقة العالية، خرجت من حالة اللامبالاة واللامسؤولية وعدم الشعور بالتكليف، كان أكثر الموجودين في (أوروبا) وخاصةً (لندن) يعرفون (محمد) كانوا مؤمنين به وبقضيته، ويحترمه الجميع، وبمجيء الشيخ (محمد) اتضح لزملائي دوري وحضوري بشكل حقيقي في خارج البلاد، وكل من رافقني صاروا يتعاملون معي باهتمام وثقة عالية. الأيام التي تواجد فيها الشهيد محمد منتظري هناك كانت أيام مليئة بالنشاط والعمل، كنت أشارك دائماً وباستمرار في الاجتماعات وعقد الندوات والأبحاث. لقد كان المقر الأصلي لأنشطته تحديداً في سوريا ولبنان، ولهذا السبب، بعد مضي ستة أشهر من مجيئه إلى لندن تحركنا واتجهنا نحو سوريا، لتتابع برامجنا المستقبلية.

تبليغ في مناسك الحج:

استأجر (محمد منتظري) في سوريا بيتاً يحتوي على غرفتين، يقع خلف مقام السيدة (زينب) (عليها السلام)، استأجرها من شخص يدعى الحاج (محمد)، أما في (لبنان)، فقد استأجر شقة في الطابق الثالث من إحدى العمارات في حي (الشيخ)، كان هذان المكانان هما مقر ومركز العمليات والقيادة، والقاعدة الرئيسية لنشاطه، وكانا أيضاً مكانين مناسبين لاستقرار من يأتي إلى الشرق الأوسط لأسباب أمنية وسياسية لمتابعة طريق الكفاح والنضال^(١).

شكل (محمد منتظري) في سوريا فريقاً للعمل يتضمن جماعة أمثال: (محمد غرضي)، (علي جنتي)، (ناصر آلاد بوش)، (سعيد تقديسيان)، (سراج)، وقسماً آخر من الشباب والرجال الشرفاء الناشطين والمتدينين، الذين ضاقت بهم ساحة الكفاح والنضال في الداخل، فاضطروا إلى اللجوء إلى الخارج باستشارة من لهم صلة بالعمل السياسي من العلماء الثوار، ليشاركوا في دورات عسكرية وتعلم أساليب القتال، والمشاركة في بعض الأنشطة السياسية، كتكثير الإعلانات والبيانات، والحضور في المسيرات الاحتجاجية، وإعداد أنفسهم لأيام مقبلة في غاية الحساسية والأهمية، وكان فريق الشهيد (محمد منتظري) في الحقيقة تحت إشراف تنظيم علماء الدين المناضلين داخل إيران، والذي

(١) نظراً للقيود والمحدودية في النجف الأشرف، وسائر البلدان، أسس الشهيد محمد منتظري قاعدة جديدة في سوريا، فاستأجر شقة في منطقة (ببلا) في الطريق بين دمشق ومقام السيدة زينب (عليها السلام)، وكان يقيم فيها عشرون شخصاً، السيد غرضي، السيدة دباغ، السيد تقديسيان، ناصر آلاد بوش، علي جنتي، و... انظر المذكرات السياسية للسيد علي أكبر محتشمي، ج ٢، طهران، نشر دار الفكر الشاب، عام ١٩٩٩م.

١٢٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

يقوده أمثال آية الله (بهشتي)، آية الله (مطهري)، وآية الله (مهدوي كني)،
وآية الله (جنتي)، و...

من جملة البرامج التي قام بالتخطيط لها وتنفيذها الشهيد (محمد
منتظري): الذهاب إلى الحج، والدعوة لحركة الإمام الخميني، وكشف
الستار عن جرائم نظام (الشاه).

بعد عقد عدة جلسات قررت أنا أيضاً أن أسافر براً إلى الحج
للعمل الدعوي والتبليغي مع كل من الإخوة السادة: (غرضي)، (جنتي)،
(تقديسيان)، (آلاد بوش)، و(سراج الدين الموسوي)، فجهّز لي على
الفور جواز سفر ليبي مع هوية جديدة.

في مكة والمدينة أجواء خاصة، قدّم عدد كبير من الناس إلى
الحج، حجاج لا يتمايزون ولا يتفاخرون، قدّموا لهدف واحد، محصوا
وغُربلوا من الشوائب والرواسب، وكان كل من تواجد هناك قد تحرر
من كل ما من شأنه أن يكون لغير الله، فكانت القلوب مصقولة صافية
والنفوس مشرقة، ولهذا كان للكلام معهم وقعٌ في القلوب، وفي هذه
المناسبة قمنا بتوزيع المنشورات وكتيبات حول ولاية الفقيه الذي كان
كلاماً واقعياً وحقيقياً بين عشاق وزوار حرم الله، هدفنا في ذلك هو
إيصال نداء الإمام الخميني وصوته الذي هو صوت الحق لإسماع العالم.

كان علينا أن نقوم بدورنا بشكل دقيق وجيد حتى تمر تلك
البيانات والإعلانات من جمارك الحدود، تذكرت أننا قد وضعناها في
حقيبتين أو ثلاث ولم يكن قد هيّأ لها مكاناً مناسباً.

على الحدود السعودية وفي الجمارك، واجهنا كثرة الزوار من

بلدان: سوريا، لبنان، العراق. فكان هذا الزحام وتراكم أعداد الحجيج أفضل فرصة لتمشية الحقائق، كان موظفو الجمارك يؤشرون عليها بعلامة × بالطباشير لتمشيته، فقمنا نحن أيضاً بوضع نفس العلامة على حقائبنا بواسطة حب الأسبرين وأصبح مثل الجص، كانوا إذا شكوا بأحد بدأوا بتفتيش حقيبته، وعندما تزداد الحقائق يختاروا منها حقيبة واحدة ويأخذوا بتفتيشها، اختاروا واحدة من حقائبنا، ولم نكن قد وضعنا ولحسن الحظ فيها من الإعلانات والبيانات أو الكتب شيئاً، بل كان فيها بعض الحاجيات والملابس الخاصة فقط، ولم يفتشوا الحقائق الأخرى.

انتهى وقت توزيع ونشر البيانات والإعلانات والكتب بسرعة، فأخذنا نشرح ونبيّن ظروف إيران في مجاميع صغيرة تتشكل من عدة أشخاص، لم نواجه أي مشكلة. بسبب التمهيدات والتخطيط المسبق. استطعنا في هذا السفر الإلهي المعنوي أن نتصل بمجموعة من الناشطين الإيرانيين المناضلين، وآخرين للتنسيق والعمل وتبادل المعلومات معهم، سألناهم عن أوضاع الداخل بدقة، وقمنا بدراسة واستطلاع وتقييم جيد لما حصلنا عليه، ولم نكن نهذاً لحظة واحدة في ذلك، بل كنا نتكلم مع الحجاج في كل زمان ومكان، حتى أصابتنا أزمة مالية، اشترينا آلة تصوير فوتوغرافي، وأخذنا نتناوب أمام بيت الله في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة إلى جوار حرم رسول الله ﷺ، وملتقط الصور للطلالين من الحجيج، فنجمع المال، ونعطيه إلى فريق العمل، انتهت هذه الأيام الربانية والذكريات الخالدة، وكان علينا أن نعود إلى سوريا.

اللقاء بالإمام الخميني في النجف الأشرف:

كان فريق العمل يعاني دائماً من نقص في الإمكانيات وقيود مالية ومشاكل وأزمات اقتصادية حادة، فأحياناً يصل إلى فريق العمل دعم ومعونات مالية من (إيران)، وقد يتطلّب الأمر أن نذهب إلى أشخاص نعرفهم، لم أكن أعرف الشيء الكثير عن المسائل والمشاكل المالية للفريق، إلا أنني كنت أعرف - بسبب طريقة العمل والمعيشة والعلاقات - أن الموجود غير كافٍ لتمشية الأمور، حتى وصلت الأوضاع بنا إلى عدم التحمل.

توصّل الإخوة بعد التشاور إلى هذه النتيجة، وهي: أن يبعثوا ممثلاً عنهم إلى النجف الأشرف ليزور الإمام الخميني، ويشرح له نشاطات ومهام الفريق، والتحديات المالية التي يعاني منها، ويطلبون منه الدعم والمساعدة، فاخترتُ أنا والسيد (جعفر دماوندي) لهذه المهمة، فحصلت على جواز سفر فيه صورة أم وابنها، وبعد تهيئة مقدمات السفر توجهنا إلى العراق، اغتنمت أنا هذه الفرصة الثمينة جداً، لأنني صرت قادرة على أن أزور مرادي ومحبوبي وقائدي عن قرب، فبعد زيارتي للإمام الخميني في قم، وكان عن بُعد، كنت آمل أن أزوره وألتقي به وأتحدث معه عن قرب، فكانت هي هذه اللحظة.

عندما دخلنا بيت الإمام الخميني كنت مضطربة جداً، كان شوقاً وتعبيراً لا يوصف يتلجلج في أعماقي، فعندما اتخذ القرار أن أدخل لوحدي على الإمام الخميني، ازدادت ضربات قلبي، وأخيراً وجدت نفسي أمام النور، لم أكن أدري من أين أبدأ الحديث؟ وكيف؟

دخلت على الإمام الخميني، سلّمت عليه، وحيّته بتحية الإسلام، قلت: «أنا السيدة دباغ» فقال: «تلك السيدة دباغ التي كان المرحوم (سعيد) يذكرها في رسائله؟» قلت: «نعم، كنت تلميذته في بعض الوقت، وأعمل معه».

قدّمتُ لسماحته تقريراً موجزاً عن أنشطتي، والوضع الحالي لفصائل المعارضة في خارج البلاد، فكان الإمام الخميني يصغي لكلامي بطمأنينة وهدوء، ثم قال: «تحدثي لي عن السجن؟» فأخبرته باختصار عن اعتقالتي والتحقيق معي وتعذيبي أنا وابنتي، وعن حالة المعتقلات المسلمات واليساريات في سجن (قصر) ثم قلت أخيراً: «... والآن أنا هنا، وأولادي الثمانية في إيران، لا أدري ماذا أفعل؟ فإن رجعت أخاف أن أقع في قبضة رجال الأمن (السافك) وأسجن مرة أخرى، وإن لم أرجع يبقى أولادي من غير أم، لا أدري ما هي مسؤوليتي ووظيفتي في الوقت الحاضر؟» لم أكن أصدق ما سمعت، قال الإمام الخميني لي: «ابق، فستغير الأمور إن شاء الله، فنذهب سوية»، أكون مثل هذا ممكناً حقاً؟ أكان هناك احتمال لتغيير مثل هذه الأوضاع في مثل هذه الظروف؟ كان قبول هذه الوعود التي تنبأ الإمام بها صعب وغامض بالنسبة لي، إذ إن تحقيق هذه الأمنية لم أتصور إمكانه، بل يرفضه كل أحد، ويعدّه أمراً مستحيلاً؟ فالإمام الخميني هو وحده الذي كان يعتقد بتحقيق مثل هذا الحلم والأمل بالمستقبل المشرق.

كانت أسئلة لا تحصى تحوم في مخيلتي حول هذا الكلام، لكن ثقتي وإيماني بالإمام الخميني، وبعد التأمل قليلاً، جعلتني أقبل كلامه، فأصبحت أعيش الأمل أيضاً، واخترت الصمت والسكوت بعد ذلك.

قبل أن أخرج من الغرفة سألت: «أسمح لي أن أذهب إلى (لبنان)، لأنضم إلى صفوف أخواتي وإخوتي من المناضلين الفلسطينيين، إلى أن تتغير الأوضاع في (إيران)؟» فقال: «كوني أينما تجددين نفسك نافعة ومفيدة للإسلام، وقادرة على الخدمة وأداء المسؤولية، فهو تكليف ووظيفة»^(١).

مكثنا في البيت الشريف للإمام الخميني ما يقارب الساعتين والنصف.

في الخمس وأربعين يوماً التي قضيناها في العراق التقيت بالكثير من العلماء والثوار ممن كانوا هناك، وبعد عقد الاجتماعات واللقاءات المتكررة والحوارات، عدتُ إلى (سوريا) مرة أخرى.

لقد بعث اللقاء بالإمام الخميني ووصاياه في نفسي روح العزيمة والإصرار في الاستمرار والثبات على المواقف، ولهذا بعد أن عدتُ إلى (سوريا)، وسلّمت الشهيد (محمد منتظري) وسائر أعضاء الفريق تقريراً حول ما تمخّضت عنه تلك الاجتماعات، ومن خلال الإذن الذي أصدره لي الإمام، قررت أن أغادر إلى (لبنان) للتدريب العسكري على حرب العصابات.

أقمت في (لبنان) في البيت الذي استأجره الشهيد (محمد منتظري)، وأخذت أتدرب على السلاح في أحد معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية. بعد إنهاء هذه الدورة، ذهبت مع إحدى الأخوات

(١) نقلت صحيفة سلام الجملة الأخيرة، في العدد ٥٨٧، بتاريخ ٣/٦/١٩٩٣م في لقاء

جرى مع السيدة دباغ.

الفلسطينيات إلى جنوب (لبنان) وهضبات ومرتفعات (النبطية) لأنضم إلى الإخوة والأخوات الثوار، قضيت هناك ستة أشهر، وشاركت في بعض العمليات ضد الإسرائيليين، وإذا لم يكن هناك أعمال عسكرية ضد القطعات الإسرائيلية، ولم تكن غارات ليلية، فإنني أمارس أعمالاً أخرى، كتدريس القرآن، والتمارين العسكرية، ...

بعد انتهاء هذه المدة عدتُ إلى (سوريا)، وأنا أحمل التجارب الكثيرة، وكنت من هذا التاريخ وما بعده أتردد كثيراً بين (سوريا) و(لبنان) للقيام بمهام عديدة.

في أغلب الليالي كنا نترشق بالنيران إما مع القوات الإسرائيلية صاحبة النيران الثقيلة أو مع المجموعات والفصائل في داخل لبنان، كالحزب الشيوعي^(١)، حركة أمل^(٢)، وحزب الكتائب^(٣).

(١) الحزب الشيوعي هو أحد الأحزاب اليسارية في لبنان، بقيادة رجل مسيحي يدعي (جورج حاوي)، وكثير من أعضاء هذا الحزب هم من الشيعة (الحزب الشيوعي في لبنان هذا يعادل حزب تودة الشيوعي في إيران).

(٢) تأسست أفواج المقاومة اللبنانية - حركة أمل - في عام ١٩٧٥م بقيادة السيد موسى الصدر، وكانت في البداية تمثل الجناح العسكري لحركة المحرومين، ولكن تحولت حركة أمل بعد ذلك إلى منظمة سياسية وعسكرية كاملاً.

(٣) حزب الكتائب هو من أكبر الأحزاب اليمينية في لبنان، يترأسه (بشير الجميل) وبعده تصدى بشير الجميل لقيادة هذا الحزب، الهدف من تأسيس هذا الحزب: الحفاظ على حكم وسيطرة المارونية المسيحية في لبنان.

الإمام (موسى الصدر) والشهيد (جمران):

من البركات التي نلتها أثناء تواجدي في (لبنان) هو تعرّفي على الإمام (موسى الصدر)^(١)، وناصره وزميله في الجهاد الشهيد (جمران)،

(١) ولد آية الله موسى الصدر في مدينة قم المقدسة في ٤ / ٦ / ١٩٢٨م، أكمل دراسته الابتدائية والثانوية في هذه المدينة، وتابع دروسه للعلوم الإسلامية في الحوزة العلمية في قم المقدسة والنجف الأشرف، وحضر دروس كل من: الإمام الخميني، البروجردي، المحقق الداماد، كوه كمره اي، السيد أحمد الخوانساري، العلامة الطباطبائي، سلطاني الطباطبائي، أنهى سطح دراساته الجامعية العليا فرع الاقتصاد في جامعة طهران، يعرف عدة لغات، كالعربية والإنجليزية والفرنسية.

درس الفقه، الأصول، المنطق، والفلسفة، وسافر إلى النجف الأشرف بعد وفاة أبيه في عام ١٩٥٥م، وحضر دروس الآيات العظام: السيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي إلى عام ١٩٥٨م، ثم عاد إلى إيران، قام بنشر أول مجلة حوزوية تحت عنوان: (الدين الإسلامي) بالتعاون مع عدد من علماء الحوزة وبعض التجار الملتزمين في طهران، صار زعيماً أعلى للشيعة في لبنان بعد وفاة آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين في عام ١٩٥٩م، وعملاً بوصية من المرحوم شرف الدين وبدعوة من قاطبة الشيعة في لبنان هاجر مع أسرته إلى هنالك، فتابع برامجه الثقافية، الاجتماعية، السياسية، والدينية في أوساط الشيعة، ودعا، - من خلال برامجه الناشطة والعميقة للمفاهيم البناءة للإسلام - إلى مواجهة إسرائيل والصهيونية، استطاع أن يقوم بنشاطات واسعة من أجل تحقيق الأهداف الإسلامية المتعالية، منها: تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، تأسيس حركة المحرومين، تشكيل حركة أمل (الجناح العسكري لحركة المحرومين لمواجهة اعتداءات الكيان الصهيوني)، المؤسسة الصناعية لجبل عامل (خاصة بالبنين)، بيت الفتاة (مدرسة خاصة بالبنات)، جمعية الأبرار، مركز التحقيقات الإسلامية،... احتل جنوب لبنان في ١٤/٣/١٩٧٨م، من قبل الكيان الصهيوني، ولهذا السبب بدأ الإمام موسى الصدر صفحة جديدة من الأسفار إلى البلدان العربية المختلفة (الأردن، سوريا، السعودية، الجزائر، وليبيا)، ليحذر الشعوب ورؤسائهم من الحالة المزرية والتمدنية التي يعيشها لبنان، دخل إلى الأراضي الليبية في ٢٥/٨/١٩٧٨م، وكان ناوياً السفر إلى إيطاليا، يرافقه اثنين من أنصاره ما: الشيخ محمد يعقوب، والصحفي عباس بدر الدين.

كان هذان الاثنان معاً صديقين حميمين جداً، وجنباً إلى جنب في كثير من الوظائف والأعمال، كان الإمام (موسى الصدر) القائد الروحي للشيعة ورئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في (لبنان)^(١)، والذي بذل جهوداً مكثفة لتوفير الرفاهية ونشر الثقافة لأهالي الجنوب اللبناني، كان الشهيد (چمران) يدرس في (أمريكا) أدار ظهره للرفاهية وما يمتلك هناك. تدرب على فنون القتال في مصر فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر، وقدم إلى (لبنان). واخذ على عاتقه القيام بمسؤوليات عديدة في المجال الثقافي، ومارس أنشطة أهلية وخيرية خدمة لشيعة (لبنان).

كان السيد (الصدر) والشهيد چمران كأخوين جنباً إلى جنب دائماً، وقد بذلا جهوداً واسعة وكبيرة خدمة للشعب اللبناني.

أسس السيد الإمام (موسى الصدر) مدرسة تقنية لليتامى وعوائل الشهداء، تصدى لإدارتها الشهيد (چمران)، وقد لاقى مصاعب كثيرة ومضنية. فقد كان مديراً ومعلماً ومربياً وإمام جماعة للمدرسة بنفس الوقت، لم يكن هناك عمل لم يقدمه الشهيد (چمران) لشباب وفتيان تلك المدرسة، بدءاً بالتدريب على السلاح الخفيف وانتهاء بالدروس والبحوث القرآنية، صلاة الجماعة، عرض المسرحيات وكتابة القصص، و...

كنا ذات ليلة في جنوب (لبنان) في بيت الشهيد (چمران)، بعد أن

(١) مؤسسة المجلس الشيعي الأعلى في لبنان تهدف إلى إيجاد مركزية للشيعة هناك، وبعد سنوات من الكفاح والنضال للإمام موسى الصدر تم التصويت على مقترح انشائه في البرلمان اللبناني عام ١٩٦٩م، ولهذه المؤسسة هيئة شرعية تتكون من تسعة من المشايخ ورجال الدين، وهيئة تنفيذية من السياسيين الشيعة.

١٣٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

غادر جميع الضيوف، قال: «لنذهب إلى الحديقة الداخلية ففيها ساقية، ذهبنا إلى هناك، كان منظرًا جميلاً وممتعاً إلى جانب الحوض أحجاراً، صفت بشكل هندسي جميل وبيديع، بحيث تعلو من اصطدام الماء بالأحجار والصخور أنغاماً وموسيقى ساحرة وعذبة، أما الشلال الذي أحدث فيها فقد كان خلّاباً وساحراً، يداعب ويناعي روح الإنسان وجسمه.

شاهد الدكتور (چمران)^(١)، شغفي بهذه المناظر الخلابة الساحرة

(١) الشهيد الدكتور مصطفى چمران ولد في قم عام ١٩٣٢ درس في المدارس: انتصارية ودار الفنون البرز وكان يحصل في كل السنوات على الرتبة الممتازة. التحق بالجامعة فرع الهندسة الكهربائية وتخرج بمعدل ممتاز أيضاً في العام ١٩٥٧ كان ومنذ سن الخامسة عشر يحضر دروس التفسير لآية الله طالقاني ثم دروس الفلسفة لآية الله مطهري. حصل على بعثة دراسية من قبل الدولة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصل على الماجستير في نفس تخصصه من جامعة تكساس وشهادة الدكتوراه في فرع الإلكترونيات والهندسة النووية عمل الشهيد چمران كثيراً وبجد اثناء تواجده في الجامعات الأمريكية على تأسيس الاتحاد الاسلامي في امريكا لمواجهة النظام الشاهنشاهي كما شارك في نشاطات اخرى من ضمنها : المشاركة في المظاهرة التي سارت ٩٠ كم باتجاه العاصمة واشنطن والمشاركة في الاضراب عن الطعام داخل أحد مباني الامم المتحدة احتجاجاً على اعتقال آية الله طالقاني رحمه الله وكذلك المشاركة في المظاهرات التي اقيمت امام مكان اقامة الشاه اعتراضاً على زيارته إلى واشنطن في العام ١٩٦٣ وبعد الانتفاضة الشعبية المعروفة (١٥ خرداد) سافر الشهيد إلى مصر ودخل دورات عسكرية مكثفة في المعسكرات التي خصصها جمال عبدالناصر للمعارضة الإيرانية وبعد سنتين من التدريب عين الشهيد مصطفى چمران مسؤولاً عن التدريب على حرب العصابات في المعسكر. بعد وفاة الزعيم عبد الناصر رجع الشهيد إلى امريكا ومكث فيها ثلاث سنوات ليكر راجعاً بعدها إلى لبنان ليتخذ له بيتاً في مدينة صور بالجنوب اللبناني ويتصدى لإدارة ثانوية جبل عامل الصناعية هناك كما لعب دوراً هاماً في تأسيس الجهاز العسكري في حركة أمل.

وفي النهاية وبعد مضي اثنين وعشرين سنة خارج إيران عاد إلى وطنه بعد انتصار الثورة الاسلامية وعلى الفور التقى الامام الخميني قده ليبادر بعد اللقاء إلى إقامة أول دورة تدريب

عسكرية لعناصر حرس الثورة الاسلامية. وقد قاد أكثر العمليات العسكرية ضد اعداء الثورة في كردستان وبدوره المميز استطاع ان يحول دون سقوط مدينة باوه بيد عملاء الغرب. بأمر من الامام الخميني عليه السلام تقلد چمران وزارة الدفاع ثم انتخب نائبا في مجلس الشورى في دورته الاولى وبعدها نصبه الامام مستشارا له للامور العسكرية. مع شن صدام حسين حربه ضد الجمهورية الاسلامية بادر الشهيد چمران الى انشاء مقر حرب العصابات في اهواز وشارك بشكل شجاع في جميع العمليات التي نفذت ضد الجيش الصدامي.

نال مصطفى چمران وسام الشهادة بتاريخ ١٩٨١/١/٢١
اثر اصابته بشظية خلف رأسه ليدفن في مقبرة جنة الزهراء بطهران
من كلماته الخالدة «لا اتمنى ان احصل على قبر في هذه الدنيا لان ذلك يعني ان امتلك شيئا منها».

وقد اصدر الامام الخميني عليه السلام البيان التالي بمناسبة استشهاده:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنا لله وإنا إليه راجعون
أعزي وأهنئ ولي العصر عليه السلام، بشهادة القائد العظيم والمجاهد المسلم الواعي، والمتمسك بطريق الباري عز وجل، السيد الدكتور مصطفى چمران.
التعزية، لأن أمتنا أمة الشهداء فقدت جندياً مخلصاً، كان يسطر الملاحم في ساحات صراع الحق والباطل، سواء في إيران أو لبنان وهدفه كان دائماً عزة الإسلام، وأنتصار الحق على الباطل.

لقد كان مجاهداً تقياً ومعلماً ملتزماً، وبلادنا الإسلامية بحاجة ماسة إليه وإلى أمثاله.
والتهنئة، لأن الإسلام العظيم ربى مثل هؤلاء الأبناء البررة والقادة الشجعان وقدمهم للشعب والمستضعفين، حقاً إن الحياة عقيدة وجهاد في سبيل هذه العقيدة.
إن چمران العزيز بدأ حياته بعقيدته الطاهرة النقية، عقيدة الجهاد في سبيل الله، ولم يتبن عقائد المجموعات والأحزاب السياسية، واختتم حياته بنفس تلك العقيدة أيضاً.
خلال حياته عرف نور المعرفة والاتصال بالله، ونهض للجهاد في سبيله، ونثر روحه الطاهرة عطراً فوق أرض بلاده، لقد عاش أبيعاً ومات أبيعاً ووصل إلى الحق كما كان يتمنى. إن العظمة هي أن ينهض المرء للجهاد في سبيل الله ويقدم روحه ثمناً لذلك، دون أن تغره

١٣٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
وسحر جمالها، قال: «لقد جئتُ بهذه الصخور والأحجار بيديّ من جوار
البحر»، فمثل هذا الإبداع والعمل العظيم والمدّهب ينبعث من هذا
الرجل العظيم ذي الروح الكبيرة والنفس اللطيفة، رجل مثقف سباق في
كافة المجالات: جهاد النفس، دراسة العلوم الكلاسيكية والأكاديمية،
اكتساب فنون القتال العسكرية النظامية وحرب العصابات، أداء كافة
الفرائض الواجبة وأكثر المستحبات... سمعت من الخادمة في بيته تقول:
«عندما تنام جفون الناس يذهب الدكتور إلى جانب تلك البركة من الماء
فيصلي ويبتهل ويتضرع إلى الله».

كان الشهيد (چمران) من العرفاء بمعنى الكلمة، درويشاً وإنساناً
ترايباً، زاهداً في الدنيا، والمال، والمنصب، والشهرة، لم يكن له تعلق
وتبعية بأي شيء، حتى الزوجة والأولاد، الله وحده فقط في حياته، أمثال
هؤلاء البشر قليلون في مجتمعنا ويعدّون بالأصابع، الإنسان الذي تعلق له
الأيادي بالهتافات وتبجّله لمنزلته وقيّمته العلمية في (أمريكا)، لا يهتم
لكل هذه المغريات والدعايات والرفاهية التي يعيشها، ويدير ظهره لكل
هذه الماديات.

الشعارات السياسية، والغرور الشيطاني، وهنا تكمن عظمة الرجال الربانيين، لقد ذهب لملاقاة الله
بوجه أبيض وروح سعيدة طاهرة.

ولكن هل نستطيع نحن أن نكون كما كان؟ إن الله سبحانه وتعالى، وحده من يستطيع أن
يأخذ بيدنا ويحررنا من ظلمات الجهل وسجن الذات. وأنا لن أقدم التعازي بهذا المصاب الجلل
للشعب الإيراني الغيور واللبناني فقط، بل لجميع الشعوب المسلمة، والمجاهدين في سبيل الحق
وأُسرة هذا الشهيد أيضاً، أسأل الحق تعالى أن يتغمده برحمته، وأن يلهم أسرته الصبر والسلوان.
روح الله الموسوي الخميني

جاء مع أسرته من (أمريكا) إلى (لبنان)، وبعد مدة لم تتحمل زوجته الوضع الجديد، فأخذت الأولاد وعادت بهم إلى (أمريكا)، أما الدكتور فلم يهزم أو يتأثر، وكأن شيئاً لم يحدث، ولم يصب بالجزع، ولم يهن ولم ينكل، بل عاش حياته ببساطة، وكانت الحياة له تعني الكفاح والنضال، فكم كان هذا له جميلاً وممتعاً.

وصل إليه خبر موت ابنه غرقاً، والذي كان يبلغ من العمر سبع أو ثمان سنوات، لم يجزع ولم يهن، بل شمخ، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، لم يتأثر بهذه الحادثة، ولم يترك ذلك أثراً على برامجهِ اليومية كالصلاة وإدارة المدرسة، وتوجيه الشباب، اللقاءات والزيارات... هذه الصلابة والصمود لا يصدران إلا من شخصية إلهية، شخصية ذابت في الله، فأَيَّ رجل هذا يصل له خبر موت عزيز له، فلا يتزلزل أو ينهار، يبقى صامداً شامخاً كالجبل الأشم؟ رجل تقي نقي، شجاع جسور، عالم محسن مضحي، عارف ومجاهد في الله... فأعزه الله وأكرمه بالشهادة.

اللقاء بزوجي:

في مدة إقامتي في (لبنان) و(سوريا)، كنت أقضي كل أوقاتي الصباحية والمسائية بالاستمتاع ببرامج مختلفة ومتنوعة، ولم تكن هناك فرصة في التفكير في أمر غير الكفاح والنضال أبداً، ولكنني كنت أعاني من الناحية الروحية والنفسية - وبسبب ابتعادي عن زوجي وأولادي - من أزمة وضيق، وكان هاجس تفكيري فيهم دائماً، وإن كنت أظهر عدم تأثري بذلك، وأستمر في نشاطي، ولكن قلقي وضيق صدري والضغط الروحية والنفسية تزداد بي أحياناً فألوذ بحرم السيدة (زينب) (عليها السلام)، وأقول لنفسي هناك: ألا تخجلين من السيدة التي رأت بأمّ عينها أبناءها

١٣٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وأخاها الحسين (عليه السلام) وهو يتعفر بدمه، وهي بتلك القوة والصلابة، وأنت في هذا الخور والضعف؟ أفقدت أنت أبنائك؟ هاهم يذهبون إلى المدارس ويدرسون؟ وهذا زوجك موجود أيضاً يحمي أطفالك، و... فكنت أسكن آلامي وهمومي وأنا إلى جوار ضريح السيدة (عليها السلام) وأفكر بتوكل أكثر بطريقي الذي اخترته بنفسني، كانت هذه المخاوف من الجهتين: العائلة وخاصة زوجي كان قلقاً جداً، ولا علم له بحالي، فلم يكن يدري أين أنا بالضبط؟ وماذا أفعل؟ وهل أنا بصحة وسلامة كاملة أم لا؟ فكانوا يبحثون عن معلومات حولي وعبر الأشخاص والمراكز المختلفة.

في إحدى الزيارات لآية الله (بهشتي)، سأله زوجي عني، فأرشدته الشهيد (بهشتي) أن يأتي إلى (لبنان) ويزور الإمام موسى (الصدر).

جمع السيد دباغ أمتعته للسفر في أول فرصة سنحت له، جاء إلى (سوريا) أولاً ثم إلى (لبنان)، سأل هناك كثيراً حتى وصل إلى مكتب الإمام (موسى الصدر)، فذهب لزيارته، وبعد اللقاء أصر عليه أن يعطيه معلومات عني، كان آية الله (الصدر) غير مطمئن وواثق به في أول الأمر فقال له: «اصبر إلى بعد غد»، سأله السيد (دباغ) عن السبب في هذا التأخير، فقال له السيد (الصدر): «عليه أن يلتقي أولاً بالشيخ (محمد منتظري)، ومن ثم يأخذ منه العنوان. وسريعاً وصل خبر هذا اللقاء إليّ من قبل شخص يعمل في مكتب الإمام (موسى الصدر)، فقال لي: «إن رجلاً يحمل هذه المواصفات وهو يتوسل ويطلب عنوانك»، فقلت لهذا الرجل: «إن هذه المواصفات تنطبق على زوجي»، خرجت مسرعة من غرفة إقامتي، وحجزت غرفة في أحد الفنادق الجيدة أولاً، ومن ثم

الفصل الثاني: الهجرة..... ١٣٥

طلبت من هذا الأخ أن يذهب إلى مكتب السيد (موسى الصدر) ويأتي
بزوجي إلى الفندق.

بعد هذا الفراق الطويل، كان لقائي بزوجي باعثاً على الفرح
والسرور، حيث إنني أراه وأسمع منه وبلا واسطة خبر سلامة أولادي
وعائلي، كنت فرحة ومسرورة جداً.

كان أولادي وأصهاري قد بعث كل منهم لي برسالة قصيرة، لقد
أصبحت جدةً، وبناتي وابني يتابعون دراستهم، وحصلت على أخبار
جيدة عن الأوضاع في إيران.

سألني زوجي: «أين كنت هذه المدة؟ وماذا كنت تفعلين؟»،
فرويت له دخولي إلى (لندن)، والمرحلة الصعبة وضئك المعيشة هناك،
ومن ثمّ حالي في (لبنان) و(سوريا)، وعندما كنت أتحدث عن لقائي
وزياري للإمام (الخميني)، كنت أرى حالة الرضا في وجه زوجي،
وارتاح باله وخاطره أن وجودي في لبنان كان برضا الإمام الخميني،
وضمنت أنه هو أيضاً يتذكر في ذهنه وتفكيره ذكريات جميلة عن
الشهيد (سعيد) الذي كان يطالب بحضوري وتواجدي في ساحة
الكفاح والنضال، ومشاركة زوجي في هذه التجارة الراحلة.

بعد ذلك الحوار المنطقي الذي دار بين زوجي والشهيد (سعيد)،
لم يكن زوجي يعترض أبداً على حضوري وتواجدي في ساحات الثورة
والنضال، بل تحمل صعوبات الحياة براحة بال.

مضت تلك الليلة، وقرّر زوجي العودة بفراغ بال وارتياح، فشايعة
إلى الحدود السورية، وتركته في أمان الله وحفظه.

لم أعرف في تلك الأيام مقر (محمد منتظري)، لكنه عندما جاء، وسمع بخبر لقائي بزوجي في (لبنان)، غضب وتألّم كثيراً، وانتقد هذا التصرف بشدة، فقد كان يعتقد أن حصول هذا اللقاء من دون إذن التنظيم مخالفاً للنظام الداخلي، وكان يقول: «إن حصول مثل هذه التصرفات من دون تنسيق مسبق يشكل خطراً على التنظيم، ويزيد من احتمال الاختراق ويضرّ بسرية العمل، كان يعتقد أن عملي هذا تصرف شخصي، ذاتي، وأنااني».

أظهر الشيخ محمد منتظري، ردود أفعال — إزاء التصرف الذي صدر مني — لذا كنت أتوقع صدور مذكرة بعقوبة شاقة وصعبة بحقي، ولعله في اليوم التالي عندما أقبل (محمد منتظري) وقال من دون مقدمة وسؤال وجواب: «استعدي لنذهب إلى (سوريا) فلديّ مهمة»، وحفاظاً على نظام: «التبعية للمراتب العليا» لم أسأل أو أعترض، سرت معه بسرعة، ولم تكن لي الفرصة أن أحضر مبلغاً من المال، لم يكن معي سوى خمس ليرات سورية، دخلنا إلى فندق يقع في شارع (مرجعيون)، أحتمل أن اسمه (فندق النصر)، قال منتظري: «ابق أنت هنا، فلديّ مهمة، علي أن أذهب، وأعود إليك عصراً»، لم يخبرني ماذا علي أن أفعل هنا، وإن عاد متأخراً أو لم يعد، ما هو تكليفي؟

عرفت من هذا أن الساعات المقبلة ستكون ساعات تجلب لي التعاسة، وهذا بحد ذاته عقوبة بسبب لقائي بزوجي.

كان جواز سفري يحمل اسم (زينت أحمد نيلي)، ألصقت عليه صورتني، وسلموه لي، بعد ذلك أصدروا لي هوية في (لبنان) من مكتب الإمام (موسى الصدر) لأسافر وأتردد بسهولة على سوريا ولبنان.

في ذلك اليوم، وبعد ساعات مضت، اشتريت فطيرة زعتر، تناولت هذا الرغيف، حلّ العصر... حلّ الظلام، جاء صباح اليوم التالي... حلّ الظهر... ولكن لم يصلني خبر عن (الشيخ محمد)، فكل صباح يأتي، وقرص الشمس يتوسط السماء، ثم تغرب الشمس، وتتجلبب بجلباب الظلام، لكن لم يصلني أيّ خبر عن (محمد) أيضاً، ازداد الحال سوءاً، فكانت اللحظات التي تمرّ ببطء هي لحظات قلق واضطراب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كنت أعرف أن (محمد منتظري) هو مسؤولي التنظيمي، ولا أريد أن أتمرد عليه وأخالفه، وحتى لو تمردت فليس لدي معرفة بالأماكن في سوريا، على الرغم من أنني كنت أتردد هناك كثيراً، ولهذا صبرت وانتظرت، كانت عيناى مرتكزة على الباب ترتقب عودة (محمد)، لكن لا فائدة من ذلك.

أخذت أصوم النهار، إذ لم يكن لديّ من المال ما أشتري به الأكل المناسب، فبهذه الخمس ليرات السورية التي أملكها، لا أقدر على شراء إلا رغيفاً واحداً من الخبز لأقتات به، وأفطر عليه، لكنه لم يكن يسدّ رمقي، ساءت حالي وتدهورت صحتي بشدة، وأصبت بالضعف والهزال.

حلّ اليوم الرابع، ولا خبر عن (محمد منتظري)، فأصبحت حالي سيئة ووخيمة جداً، ولم أكن قادرة على الوقوف، بينما كنت أصلي صلاة العصر، أصبت بدوران في رأسي لشدة ضعفي وهزالي، سحبت نفسي بصعوبة إلى السرير لأتمدد وأنام عليه، أخذت سماعة الهاتف وقبل أن أتكلم وأقول شيئاً، وقعت على الأرض مغشياً عليّ، وسقطت من أعلى السرير إلى الأرض، ولم أشعر بشيء بعد ذلك أبداً.

عندما فتحت عيني، وجدت نفسي محصورة بين جدران أربعة، وقد وضعوا المصل (المغذي) في يدي، فأخذت أسأل نفسي وأقول: «إلهي ما الذي حصل؟ وأين أنا؟» قالت الممرضة: «كنت مغمى عليك، فجاءوا بك إلى المستشفى، فهمت بعد ذلك أن صاحب الفندق أو نائبه أو صاحب البدالة قد انتبه إلى طول مدة إشغال الهاتف، فعرف بحالتي، واتصل فوراً بالشرطة، و...».

كان رقم هاتف في جيبي، وكان الشرطة عندما شاهدت جسمي نصف الميت، عثرت بعد البحث والتفتيش على هذا الرقم، وهو رقم شخص يدعى (روح الله ميرزائي) واسمه المستعار حسين، جاء إلى هنا للدخول في دورة لتعلم الحرب النظامية أو حرب الشوارع، اتصلت به الشرطة، وأخبرته عما جرى، فجاء بسرعة إلى المستشفى، وأنا راقدة على سرير المستشفى، وقال: «ماذا تفعلين هنا؟» قلت: «أنا أيضاً لا أعلم، كأن حالتي قد ساءت في الفندق، وأصبت بحالة إغماء»، قال: «لا تقلقي، سأذهب وأبحث عن الإخوة، وأجيء بهم إلى هنا».

ذهب حسين إلى (الحرم)، جلس هناك فترة ينتظر، فوقع بصره على شخص من مجموعتنا يدعى الأخ (سراج)^(١)، وبعد أن أطلعه على الأمر، أخبر زملاءنا بذلك، فرتبوا خطة لتهريبني من المستشفى.

في اليوم التالي، وبتخطيط مسبق، جاءني (سراج) و(آلاد پوش) إلى المستشفى، وبالخطة التي رُسمت مسبقاً، أخرجاني من المستشفى،

(١) السيد سراج الدين الموسوي، رفيق الشهيد محمد منتظري في النضال، عضو رجال

الدين المناضلين خارج البلاد، مسؤول الشؤون الأمنية في بيت الإمام، مؤسس جامعة الإمام الخميني في كراتشي الباكستانية، وسفير إيران السابق في باكستان.

الفصل الثاني: الهجرة..... ١٣٩

وابتعدنا من هناك باستئجار سيارة، وذهبنا إلى مقر استراحتهم، وهو المكان الذي يتردد عليه ويرتاده (محمد منتظري) في كثير من الليالي، ويبيت فيه.

كان الهروب من المستشفى لاقتضاء الضرورة، وإلا كنت أقع في ورطة وخطر وأواجه مع زملائي في الحركة مشاكل عديدة.

أما السادة: (سراج وغرضي وآلاد پوش) فكانوا غاضبين بشدة من تصرف (محمد منتظري)، وعلت أصوات احتجاج آخرين أيضاً، فوصل الأمر أن يكون هذا موضوعاً في غاية الأهمية للمجموعة، وأصبح الحال وخيماً جداً بعد ذلك، إلى درجة أن الخبر تسرب إلى داخل إيران.

كان (محمد منتظري) يبرر فعلته بمختلف العناوين، ويرى أن ذلك لازماً.

في ظلّ الأحداث والمستجدات، قدم إلى سوريا آية الله (أحمد جنتي) موفداً من جماعة علماء الدين المناضلين في زيارة تفقدية إلى (سوريا) لتدارك الموقف وإيجاد تسوية بين الأطراف، وإصلاح الأمور، ورفع سوء التفاهم الحاصل بين الإخوة، وبعد دراسة الموقف وتحليل الموضوع قال: «لا يحق لمحمد أن يتصرف بهذا الشكل، لكن (محمد منتظري) كان يختلق الأعذار والحجج لنفسه، ويشير تساؤلات مختلفة، مثل: «ماذا يحصل لو اكتُشفت السيدة دباغ؟ ومن ثم ماذا لو ماتت؟... وغيرها من الأقاويل...».

تحسنت حالي، ورفعت الحواجز السياسية عن مجموعتنا بخصوص تلك القضية، عدتُ إلى (لبنان)، واستأنفت عملي ونشاطي.

الذهاب والإياب بين سوريا ولبنان:

كانت تحضر شخصيات سياسية وثوار مناضلين إلى (سوريا) و(لبنان) بأهداف واستراتيجيات عديدة ومختلفة، فيتواصلون غالباً مع فصائلنا، حضر قسم منهم للتدريب العسكري وتعلم حرب العصابات، والقسم الآخر لتحضير وإعداد الأسلحة والعتاد أيضاً، وقسم ثالث لإيصال الرسائل والقيام بأعمال من هذا القبيل، فإن كنّ نسوة، كانت التدريبات العسكرية تقع على عاتقي، وتختلف مدة الدورة، فهي تتراوح حسب النوعية من ٢٠ إلى ٤٥ يوماً، ومكانها على الحدود بين (سوريا) و(لبنان).

كان من بين المشاركات في هذه الدورات التعليمية العسكرية، من مدينة (مشهد المقدسة) مجموعة من الطالبات الجامعيات مع سيدة ربّة بيت، تدربن على السلاح وعُدن إلى (إيران)، قبل مجيئهن إلى سوريا ذهبن أولاً إلى إحدى دول الخليج الفارسي، وبعد استلام جوازات السفر المزورة التي أعدّها فريقنا، قدمن إلى سوريا، وبعد طي نفس البرنامج عدن إلى إيران.

كنا نحتاط كثيراً في تسليم المتفجرات والأسلحة إلى الأشخاص، فكل من كان يمتلك نوعاً من الشجاعة والدهاء والفتنة، والدراية والاستقامة، أو يتميز بالحد الأدنى من ذلك، كان باستطاعته حمل الأسلحة والعتاد وإدخالها إلى داخل البلاد، كانوا يضعون هذه الأسلحة الخفيفة ومتفجرات (تي. أن. تي) أحياناً في داخل السيارات بشكل دقيق وماهر.

في إحدى المرات أخفى الشهيد (محمد منتظري) بشكل ماهر

أسلحة وعتاد ومتفجرات (تي. أن. تي) في سيارة السيد (يحيى رحيم صفوي)، ليأخذها إلى (إيران)، لكن حادث اصطدام وقع في وسط الطريق، فاحترقت سيارته، وأصيب هو أيضاً بحروق طفيفة، ذهب عدد من الأخوة لمساعدته بعد أن عرفوا بالخبر، وأرجعوه، بعد أن رقد مدة في إحدى المستشفيات في (تركيا)، ثم عاد بعد تحسُّن حاله إلى (إيران).

كانت تحصل حوادث كثيرة من هذا القبيل، جاء رجل وزوجته من مدينة مشهد المقدسة، وقضيا مدة في لبنان، عند عودتهما إلى إيران، تعرّضا إلى حادثة مشابهة أخرى. إذ إنهما أخفيا المتفجرات في مكان يقرب من ماسورة احتراق بنزين السيارة، ولهذا السبب انفجرت السيارة؛ بسبب وصول حرارة الماسورة تدريجياً إلى المتفجرات، كلفت من قبل الفريق بالذهاب إلى الحدود السورية لإرجاعهما.

المدة التي قضيتها في خارج البلاد، كنت قلقة جداً أن يتعرّف على هويتي الأشخاص الذين يأتون إلى هنا، فقد حدث مرة قبل أن ألتقي بزوجي أن عرفني أحد الأشخاص، رجوته أنه إن عاد إلى إيران أن لا يذكر لعائلي شيئاً عني، ولا يعطيهم عنواني؛ لأنني كنت قلقة أن يأتي رجال الأمن (السافك) إلى أهلي ويؤذونهم، وفي إحدى المرات أيضاً جاء زوار من (طهران) إلى (سوريا) وكان المسؤول عنهم شخص يدعى الحاج (أنواري)، فعرفته بنفسه، لآخذ منهم مساعدات مالية للفريق، فأعطاني قدراً من المال، حلّت به قسم من مشاكلنا المالية.

لم أكن في تلك المدة أتصل بعائلي، لا بالهاتف ولا عن طريق المراسلة، اشتريت مرة فقط ثياباً لأولادي وأرسلتها لهم، أرسلتها طبعاً مع

١٤٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
شخص معتمد وثقة كان قد أنهى دورته، بعد أن وصلت صرة الثياب إلى
دكان نسيبي، تعجبت عائلتي لذلك كثيراً، ولم يعطهم ذلك الشخص الثقة
أي عنوان عني كما وعدني بذلك^(١).

لقاء مع الشهيد (أندرزكو):

وفقني الله في خضم هذه الحوادث أن أتعرف على الشهيد السعيد
السيد (علي أندرزكو)^(٢)، كان قد حضر إلى هناك لهدف تقييم

(١) للاطلاع على إحدى هذه الزيارات واللقاءات: انظر الملحق رقم ٢.

(٢) ولد السيد علي (أندرزكو) في عام ١٩٣٧م، في أسرة متدينة، في جنوب طهران،
بعد أن أنهى دراسته الابتدائية، ترك الدراسة بسبب الفقر واشتغل في إحدى الاسواق، ليساعد
عائلته مادياً، ذهب إلى مسجد المحلة لتعلم الدروس الدينية والعلوم الحوزوية، التحق في تلك
الفترة أيضاً بالجناح العسكري للجان المؤتلفة، وبعد الإعدام الثوري لـ (حسن علي منصور)
رئيس الوزراء سافر إلى قم ليستمر في الدراسة، ثم ذهب إلى النجف الأشرف، وبعد عودته من
العراق التحق مباشرة بالحوزة العلمية لإكمال دراسته، فحضر دروس كبار العلماء ومراجع التقليد،
أمثال: المشكيني، ومكارم شيرازي، وكان مراقباً من قبل السافاك لهذا السبب، سمى نفسه في قم
(الشيخ عباس طهراني)، ولكن عرفت هويته الحقيقية بعد مدة بسبب أنشطته السياسية المختلفة،
فقدم إلى الحوزة العلمية في (جيدر) (محلة قريبة من شميران - طهران)، وتلمذ عند آية الله
السيد علي أصغر الهاشمي، وبعد مدة سافر إلى مشهد المقدسة، فأقام بجوار الإمام الرضا (عليه السلام)،
وأخذ يتردد على أفغانستان، تزوج السيد (أندرزكو) في السابعة والعشرين من عمره، ولكنه
ولمدة توارى عن الأنظار بسبب اغتيال (منصور) طلق زوجته، وبعد ذلك تزوج بابنة السيد عزت
الله سيل سبور، فولد له أربعة أولاد من هذا الزواج. ارتبط الشهيد (أندرزكو) بمنظمة حزب الله
عن طريق الشهيد محمد مفيدي في فترة الكفاح والنضال، ومع منظمة مجاهدين خلق عن طريق
الشهيد أحمد رضائي، وبعد الإعلان والتصريح بالمواقف الالتقاطية والماركسية للمنظمة في عام
١٩٧٥م، وبعد استشهاد (مجيد شريف واقفي) و(مرتضى صمديه لباف) وضع اسم (أندرزكو) في
قائمة تصفيات واغتيالات المنظمة؛ بسبب حفاظه على مواقفه الإسلامية، وأخيراً تم التعرف على
هوية (أندرزكو)، فاستشهد على يد السافاك في ليلة ١٩ من شهر رمضان المبارك المصادف

المجموعات المسلحة في خارج البلاد، وإيجاد الارتباط معها، وإعداد مقدار من الأسلحة والعتاد.

قال لي الشهيد (منتظري) في أحد الأيام: «جاء شيخ من إيران، فلا بأس أن تذهبي إليه الليلة وتعرفني عليه» كنت أسمع كثيراً أوصاف الشهيد (أندرزكو)، ولكنني لم أره أبداً، ولم يقل لي الشيخ (محمد منتظري) أن هذا الشيخ هو (أندرزكو). عندما ذهبت ليلاً لزيارة الشيخ، لم أتصور أبداً أنه يعرفني، لكنه بعد أن نظر لي، وبعد السلام والتحية سألني مباشرة: «ألسنت أنت السيدة (دباغ)؟»، فُجئتُ لذلك وقلت: «كلا أنا الأخت (طاهرة)»، فقال: «نعم، أنا أعلم أنك (طاهرة) هنا، ولكنني أعرفك من (إيران)...» فذكر لي كل من كنت أعمل معهم في إيران، أو كانت لي علاقة وصلة بهم، لم يكن سماع هذه المطالب مفهوماً لي، حيث إن هذا الشخص لديه كل هذه المعلومات، فسألته: «ومن أين حصلت على كل هذه المعلومات عني، وكيف عرفتني؟»، قال: «أنا أندرزجو» فتنفست الصعداء، وبدأت من جديد بالسؤال عن صحته وأخباره.

١٩٧٨/٨/٢٤م، من أسمائه المستعارة:

- ١- الشيخ عباس الطهراني.
- ٢- الدكتور السيد حسين الحسيني.
- ٣- أبو القاسم واسعي.
- ٤- عبد الكريم سبهر نيا.
- ٥- أبو الحسن النحوي.
- ٦- محمد حسين الجوهري.
- ٧- جوادي.

١٤٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

كان الشهيد (أندرزكو) على صلة وارتباط بجماعة (علماء الدين المناضلين في إيران)، وعلى معرفة تامة ببعض أعضائها، وصديق حميم لهم، ذكر لي عن الأوضاع والأحوال في داخل البلاد، ومن ثم تحدث لي عن (العراق) و(النجف)، وتحدث لي بأمل عن انتصار الثورة ونضال الشعب وكفاحه تحت لواء وقيادة الإمام (الخميني)، وأعدّ البرامج والخطط وقال: «إنه قدّم إلى (سوريا) لجمع الأسلحة». لقد أوصى أن تجمع له أنواع الأسلحة، بدءاً من المسدسات الصغيرة التي تُشد بالأحزمة على الظهر المجهزة بكواتم الصوت، وانتهاءً بالأسلحة الرشاشة (العوزي)، وكان المسؤول عن تهيئتها وإحضارها السيد (جلال الدين الفارسي)^(١)، وأما أنا فقد كنت الرابط لاستلام ونقل وتسليم الأسلحة،

(١) ولد جلال الدين الفارسي في مدينة مشهد المقدسة عام ١٩٣٣م، تعرف في الصف الأول من المرحلة الثانوية على الدكتور علي شريعتي، وقد صادفت مرحلة دراسته في الثانوية اتساع حركة وانتفاض الشعب الإيراني، شارك في الاعتصامات والتظاهرات التي شهدتها إيران فترة العامين لحكومة الدكتور مصدق، ونضال الجبهة الوطنية لتأمين النفط، سافر خفية إلى العراق بعد تعرفه في عام ١٩٦٠م على ثورة ١٤ تموز لعبد الكريم قاسم في العراق ومعرفته بالتغيرات التي قام بها جمال عبد الناصر في مصر، فألقت الشرطة القبض عليه، وبعد إطلاق سراحه سافر إلى سوريا، فألقي عليه القبض بعد عودته إلى إيران، وزجّه النظام في سجن (قرل قلعة)، ومن ثم أطلق سراحه في عام ١٩٦٢م، بذل (الفارسي) جهوداً كبيرة في الأعوام ١٩٦٥ — ١٩٧٠م بالتعاون والتنسيق مع الدكتور رجائي وياهنر وبهشتي، لتنشيط الحركة السياسية لنهضة الإمام الخميني، وقام في الأعوام ١٩٦٣ — ١٩٧٠م بنشر آثار ثورية ومن جملتها: رسالة الثورة تكامل للإسلام. قام بأنشطة ثورية كثيرة في سنوات القمع التي قام بها النظام، منها: إلقاء المحاضرات في مقر هداية وإرشاد الشباب وجامعات شيراز، فقام رجال الأمن (السافاك) بإغلاق هذا المركز بسبب محاضراته، سافر خفية عام ١٩٧٠م إلى لبنان، واستطاع إعداد المئات من الثوار هناك وإرسالهم إلى إيران للقيام بأعمال مسلحة، عينه الإمام الخميني للتعاون والتنسيق المشترك مع منظمة فتح

وبعد بذل جهد كبير استطعنا تلبية عدد كبير من الطلبات التي أوصى الشهيد (أندرزكو) بتهيئتها، وقمت بتحويلها إلى محل إقامته في أحد الملاجئ السريّة والأمنة للفريق في (سوريا).

اتسم الشهيد (أندرزكو) بالزهد والورع والتهجد، وتميز في سلوكه بالمتانة والوقار، هذا جانب صغير من الخصائص التي اتسمت بها هذه الشخصية الفذة والراقية، وأما صخب الباطن والأفكار السامية والمتعالية والكبيرة التي كان يحملها، فقد بقيت مستودعاً خفياً وسراً، لم يكشف عنه أحد بعد.

شاهدته بذلك الجسد النحيف، النشاط البارِع، بدأ وكأنه قطعة من اللحم في زاوية من زوايا الغرفة، رافعاً صوته بالتضرع والدعاء والعبادة في الليل، واضعاً جبهته على التراب، فأرتعش لمشاهدتي ذلك، وأقول: كم أنا بعيدة عن قافلة النور هذه، و...

كان الشهيد (أندرزكو) يحب أن يقدم لنا خدمة وعمل، قلت له يوماً «نحن لم نتعود على استخدام السكر بل إننا نستخدم القند في شرب الشاي» فقال: «لا صعوبة في ذلك، سأصنع لكم القند الآن» ثم قام وأتى بقليل من الماء الساخن، ووضع قليلاً من السكر داخل صحن، ثم

الفلسطينية، بعد انتصار الثورة الإسلامية دخل جلال الدين الفارسي مع ياسر عرفات إلى إيران، واختير عضواً في الحزب الجمهوري الإسلامي بعد تأسيسه، ممثلاً في مجلس إعداد الدستور، الترشح لأول دورة في انتخابات رئاسة الجمهورية، وممثلاً في مجلس الشورى الإسلامي، هذه جملة من نشاطه السياسي بعد انتصار الثورة الإسلامية، له كتب ومؤلفات كثيرة مثل: الزوايا المظلمة، أربع ثورات والمنهجين الديني والديني، فلسفة الثورة الإسلامية، قاموس مصطلحات الثورة الإسلامية، الثورة الإسلامية والقيادة والزعامة الاجتماعية.

١٤٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

بدأ يقطّر الماء الساخن على السكر، وصيرّه رطباً، فدلّكه بيده، وعمل قطع كثيرة وبحجم البندق، ثم وضعها جميعاً تحت نور الشمس لتجف، وبهذا النحو صنع لنا عدداً كبيراً من حبات القند، كان عمل الشهيد (أندرزكو) هذا رائعاً وجذاباً بالنسبة لي، شخص بهذا الحجم من المشاكل وتراكم وضغوط العمل، والبرامج الكبيرة التي كان يديرها، لم يغفل حتى عن مثل هذه الأمور الجزئية.

الشهيد (أندرزكو) وأثناء فترة إقامته في (سوريا)، كان يتحدث لنا حسب مقتضيات حاله ووقته عن كفاحه ونضاله وتجاربه، فمثلاً نقل لنا فقال: «كان لي في يوم من الأيام موعد مع أحد الأخوة في تقاطع (بهلوي) - ولي العصر - فوصل لي خبر أن قد أُلقي القبض على فلان، كنت على ثقة من صموده وصمته تحت التعذيب، قررت أن أقرب من مكان الموعد، ولكن عندما اقتربت منه شعرت بأن الوضع غير طبيعي، عندما وصلتُ إلى منحني الشارع الفرعي، حيث كان من المقرر أن يقف هذا الشخص أمام نقطة معينة، ولكنني لم أجده، وفي لحظة التفتُ إلى سيدة كانت ترافق ولدها الصغير وهو يتأوه ويتذمر، فسرتُ أمامها، وقلت لها: «أماه، اسمحي لي أن أحضنه لعله يهدأ ويسكت، انه طفل لا يفهم، فأخذت الطفل ووضعتته على كتفي، وأخذت أتكلم مع الأم، بعد أن ابتعدتُ قليلاً عن ذلك المكان، وضعت الصغير على الأرض وهربت...».

يريد الشهيد (أندرزكو) ببيان هذه الوقائع أن ينقل لنا تجاربه، ويعلمنا ماذا علينا أن نصنع في وقت الأزمة؟ كانت تجارب ومذكرات الشهيد (أندرزكو) تتميز بالقيمة العالية جداً والثمينة.

لقد كان من جملة إنجازاته مشاركة عائلته له في هذا الخط
الجهادي الخطر.

كانت المعلومات عن المهام التي تناط بنا محدودة وبمقدار الحاجة فقط؛ لأن احتمال خطر إلقاء القبض علينا والكشف عن أنشطتنا موجود في كل الأحوال، لذا لم تكن تتضح لنا كافة زوايا المهمة التي نريد القيام بها، وقد تكون الأوامر أحياناً شفوية وعلينا الاعتماد على ذاكرتنا في حفظها، ولا يذكر عن الأشخاص الذين يتعاونون معنا في المهمة سوى بعض الأوصاف الظاهرية، وعند القيام بالمهمة كانت التوصية هي أن لا نفكر بشيء سوى الوصول إلى الهدف، وعلينا أن لا نتدخل في أي شيء آخر.

في إحدى المهام اتخذ قراراً أن أذهب أنا وأحد الزملاء إلى الحدود بين (إيران) و(العراق)، وأن نسلّم حقيبة - لا نعرف ما فيها - لشخص يحمل مواصفات معينة، في مكان بين (الأهواز) و(آبادان)، قالوا لنا: «سترون شخصاً في النقطة الفلانية بيده حقيبة ذات لون كحلي أو أحمر، ولا يكون التسليم إلا من خلال قول كلمة السرّ، وبعد التسليم عودوا إلى مواقعكم وعليكم أن تسلكوا مسيراً آخر. لم يكن يسمح لنا بالدخول إلى البلاد، بل ولا حتى الاتصال بعوائلنا، المهمة كانت سرية للغاية، مضت المهمة بشكلها الطبيعي إلى حين تحويل الحقيبة والبضاعة إلى الشخص المطلوب، لكننا أثناء العودة، واجهنا مشكلة عويصة في الطريق، قال لنا صاحب القارب، الذي كان من المقرر أن يوصلنا من (الهور) إلى الحدود، في أثناء الطريق: «إن الوضع غير طبيعي ومشكوك، وطلب منا أن نزل إلى داخل (الهور)، ونبقى ننتظر، فيأتي لنا في ظلام الليل لنقلنا من هنا في هذه الظروف التي لم نكن نتوقعها، أجبرنا على

١٤٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

قبول كلام صاحب القارب، ووثقنا به، كان وضعنا صعباً ومحزناً في ذلك اليوم، حيث لا يمكننا أن نقف في مكان واحد في (الهور)؛ لأنه ممتلئ بالسرطان البحري، وإن وقفنا فسيتسلق على رؤوسنا وأظهرنا.

أنشب الجوع والتعب أظفاره ومخالبه في نفوسنا وأجسامنا، فزاد هذا من صعوبة الوضع، كنا ندعو الله أن لا ينسانا صاحب القارب، وأن يأتي أثناء الليل كما وعد، فتحقق ذلك بالفعل، وبعد طول انتظار، جاءنا ذلك الشخص، وأنقذنا من (الهور) والمهلكة، وأوصلنا إلى الحدود.

وفاة الدكتور شريعتي:

في ١٩٧٧/٦/١٩م وصل خبر وفاة الدكتور (علي شريعتي) أستاذ الجامعة والخطيب المعروف في حسينية إرشاد علي أثر نوبة قلبية في لندن^(١)، كان الخبر غامضاً ومؤلماً.

(١) ولد الدكتور علي شريعتي مزيناني في قرية (مزينان) من توابع (سبزوار) في عام ١٩٣٣م، في أسرة ملتزمة، متدينة، ومحبة للقرآن، وأهل العلم، أبوه محمد تقي شريعتي مؤسس مركز نشر حقائق القرآن، كان معلمه الأول، أنهى دراسته إلى الثانوية في مدينة مشهد المقدسة، ثم دخل الكلية التمهيدية في مشهد، وبعد أن حصل على الشهادة ارتدى كسوة المعلمين، وحصل على شهادة الليسانس من جامعة مشهد عام ١٩٥٣م، التحق بعد هذه المدة بحركة (الاشتراكيين من عباد الله)، فرشح عضواً في حركة المقاومة الوطنية، وفي عام ١٩٥٥م، قام بنشر أول أثر له تحت عنوان: (المدرسة واسطة الإسلام) رأي فيها أن النظام الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي هو الاشتراكية العلمية، تزوج بالسيدة بوران شريعت رضوي (وهي أخت الشهيد مهدي شريعت رضوي)، ألقى عليه القبض وقد كان برفقة أبيه في عام ١٩٥٧م بسبب انتمائه إلى حركة المقاومة الوطنية، ف قضى تسعة وعشرين يوماً في سجن (قزل قلعة)، سافر إلى فرنسا عام ١٩٥٧م لإكمال دراسته من خلال المنحة الدراسية المقدمة له، فالتحق هناك بجمعية (شباب الحركة الوطنية الإيرانية)، وكان له دور في تشكيل الجبهة الوطنية الثانية في أوروبا، عاد شريعتي إلى إيران

الأستاذ (شريعتي) هو أحد الناشطين السياسيين استطاع من خلال محاضراته وخطبه الحماسية والشيقة أن يستقطب عدداً كبيراً من الشباب وطلاب الجامعات إلى ساحة الكفاح والنضال والمعارضة للنظام، وإيقاظ أفكارهم الدينية، تتمتع هذه الشخصية بمواصفات عالية قابلة للإطراء والثناء، ولا يزال محله شاغراً من هذه الناحية.

تناقلت الأخبار أن زوجته كانت ناولية على السفر إلى (أوروبا)، لتلتحق به، إلا أن رجال الأمن (السافاك) حظروا عليها مغادرة (إيران)، وبعد سماعه هذا الخبر أصيب بالنوبة القلبية.

كان من المؤمل أن يُحدث خبر وفاة الدكتور (شريعتي) حركة ناشطة من قبل الثوار وخاصة طلاب الجامعات، وحصل ما كان متوقعاً، حيث انطلقت التظاهرات الاحتجاجية والاعتصامات الكثيرة في داخل وخارج البلاد، واستبدلت مراسيم التشييع إلى ساحة اعتراض ضد النظام، وبعد

عام ١٩٦٤م بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في فرعي التاريخ والاجتماع من جامعة (سوربون) ولكن أُلقي عليه القبض من قبل رجال الأمن (السافاك) في المنطقة الحدودية (بازرگان)، وأدخل السجن، ف قضى فيه شهراً. بدأ الدكتور شريعتي التدريس في كلية الآداب في مدينة مشهد المقدسة منذ عام ١٩٦٦م، وبعد تقديم دعوة له من قبل الشهيد مطهري، التحق بجماعة الخطباء في حسينية (إرشاد)، أُلقي عليه القبض في ١٩٧٣/٩/٢٧م، وأودع السجن، وأطلق سراحه ليلة أعياد السنة الشمسية في عام ١٩٧٥م، ومع إغلاق حسينية (إرشاد)، وممارسة الضغوط من قبل رجال الأمن (السافاك)، غادر الدكتور إيران وهو يحمل اسم علي مزيناني في ١٩٧٧/٥/١٦م وأخيراً أصيب الدكتور شريعتي بالنوبة القلبية في ١٩٧٧/٦/١٩م، فتوفي في مدينة (ساوت همبتون) البريطانية، ونقل جسده بوصية منه إلى سوريا حيث ووري جثمانه الثرى هناك، ترك الدكتور شريعتي له تراثاً إنسانياً قيماً وخالداً من محاضراته في مشهد، حسينية (إرشاد) وجامعات مختلفة في طهران وسائر المحافظات.

١٥٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

القيام بالمقدمات اللازمة، تم نقل جثمان الدكتور (شريعتي) لمواراته الثرى في (دمشق). أقام الأخوة تشييعاً مهيباً له، فهتفوا أثناء التشييع ضد (الشاه)، ودفن في المقبرة التي تقع خلف مقام السيدة (زينب) عليها السلام، وصار قبره بعد ذلك مقراً آمناً لعقد اجتماعات الثوار في خارج البلاد.

كنت في (سوريا) في الذكرى السنوية لوفاة الدكتور (شريعتي)، جاءت أسرته من فرنسا كما حضر بعض أعضاء حركة الحرية، وأقيمت مراسم الاحتفال في المكان الذي دفن فيه الدكتور (شريعتي)، حيث قُدم التمر والشاي إلى الضيوف القادمين إلى هناك، أما الطلاب الجامعيين المسلمين في (أوروبا)، فقد قاموا هم أيضاً بمسيرات وتظاهرات احتجاجية بتلك المناسبة في (لندن)، وكان من المقرر أن نشارك نحن في إحياء تلك الذكرى.

كان للشهيد (محمد منتظري) إمكانات في (لندن)، استأجر بيتاً وضع في دهليزه آلة طباعة وجهاز تكثير، وكانت مجموعة من الثوار يقومون في ذلك البيت بطبع البيانات والإعلانات التحريضية ضد النظام، وكانت مهمتي هي توفير الحاجيات من السوق وقضاء الأمور المتعلقة بخارج البيت، وقد أثار ذهابي وكثرة ترددي انتباه الشرطة قبل قيام تلك التظاهرات والمسيرات، فأخذوا يراقبونني لفترة معينة، غيّرت هندامي وهيئتي من الجُبَّة النسائية والبنطال إلى ارتداء معطف رجالي، ووضعت النظارة السوداء على عيني، والقبعة على رأسي، وكنت في يوم المسيرة بهذا المظهر عند توزيعي الإعلانات والمنشورات.

وقعت مناوشات بين الشرطة والمتظاهرين، واستطاعت الشرطة أخيراً أن تفرّق المتظاهرين المحتجين.

الإضراب عن الطعام في كنيسة (سان ماري):

وصلت أخبار من (إيران) تتحدث عن الاعتقالات الواسعة والضغط التي يمارسها النظام ضد الثوار، فقد تعرّض آية الله (الطالقاني) إلى وعكة صحية في السجن، ومورس أشد أنواع التعذيب والضرب، وسوء المعاملة ضد آية الله (منتظري) وآية الله رباني شيرازي، مضافاً إلى ذلك، حصلت أيضاً شكوك حول وفاة الدكتور (شريعتي) وأنها حيكت من قبل النظام، مما أثار غضب وسخط الشارع العام والثوار في خارج البلاد، فعبروا عن ذلك بمختلف الأشكال وبكافة إمكاناتهم واستطاعتهم، وذلك من خلال قيامهم بحركات اعتراضية، للتقليل من حدة الضغوط وتحسين أوضاع المعتقلات والسجون.

قام الشهيد (محمد منتظري) أيضاً بدوره في أكتوبر ١٩٧٧م ونفذ اعتصامات وإضراب عن الطعام في (باريس) ضمن خطط وبرامج منظمة ومدروسة، وفي الواقع كان هو المخطط الأصلي وواضع الحجر الأساس لتلك الاعتصامات^(١).

ونفذ أيضاً إضراب عن الطعام في كنيسة (سان ماري)^(٢)، حيث

(١) وصل خبر الحكم بإعدام السيد مهدي الهاشمي إلى الخارج، فقام المرحوم الشهيد منتظري بجولات عديدة لإنقاذ السجناء والمعتقلين عموماً وزملائه خصوصاً، فاتصل بالجمعيات الإسلامية في أمريكا، مكتب يزدي وزملائه، ومع اتحاد الجمعيات الإسلامية الأوربية في فرنسا وألمانيا، وبالسيد قطب زاده والجنّاح الآخر للسيد بني صدر، ونظموا لإقامة احتجاجات والإضراب عن الطعام في باريس. (المحتشمي، علي أكبر، المذكرات السياسية، ج ٢، طهران، منتدى الفكر للشباب، ١٩٩٩م).

(٢) تقع كنيسة (سان ماري) في المحلة الرابعة في باريس.

حضر بالإضافة إلى الشهيد منتظري كل من السيد (محمد غرضي) والسيد (علي جنتي)^(١)، ولا أزال أتذكر أن السيد (غرضي) مع أنه لم يكن عالم دين، لكنه ارتدي زيهم، ولعلّ السبب في ذلك هو عرض وإبراز الوجهة الحقيقية للحركة على أنها تتسم بالطابع الديني، إذ إن قادة هذه الحركة هم علماء الدين الثوار الأحرار، وبالتالي فمن الضروري أن يظهر العلماء في هذا الإضراب بشكل أوضح وأقوى، وقد حضر هذه

(١) حجة الإسلام (علي جنتي) ابن آية الله (أحمد جنتي)، ولد في أصفهان عام ١٩٤٩م، أنهى كافة مراحل الدراسة في مدينة قم المقدسة، بعد إنهائه الصف التاسع، إلتحق عام ١٩٦٤م بالحوزة العلمية، وتزامناً مع إنهاء دراسة العلوم الإسلامية والحوزوية، قام بإكمال دراسته الثانوية وحصل على شهادة الدبلوم، استمر في دراسته الحوزوية حتى عام ١٩٧٣م في مدرسة (حقاني) و(منتظرية)، تعرّف على الإمام الخميني وعمره لم يتجاوز الست أو السبع سنوات؛ بسبب أن أباه كان تلميذاً للإمام الخميني، وعبر تلك السنوات أخذ يشارك في محاضرات الإمام، كان عام ١٩٦٨م هو بداية أنشطته الدعوية والتبليغية في مدن مثل: خمين، البيگودرز، بروجن، و... كان في الأعوام ١٩٧١-١٩٧٢م مطارداً من قبل رجال الأمن (السافاك)، وبعد المطاردة المستمرة والتخلص استطاع الهروب إلى خارج إيران في أواخر عام ١٩٧٥م، بقي مدة قصيرة في باكستان، ثم عزم على السفر إلى سوريا ولبنان، زار كثيراً من البلدان في فترة إقامته في الخارج، مثل: بريطانيا، فرنسا، العراق، وباكستان.

استطاع (علي جنتي) أن يترجم عدة كتب عربية إلى اللغة الفارسية يدور موضوعها حول الثورة وفلسطين، وتعاون مع بعض المطبوعات العربية لترجمة الأخبار من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية. تصدى (علي جنتي) لعدة مناصب ومسؤوليات حكومية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، منها: تأسيس الحزب الجمهوري الإسلامي في كرمانشاه، (وقد كلف بتأسيسه من قبل الشهيد بهشتي)، إدارة إذاعة وتلفزيون الأهواز في عام ١٩٨٠م، اختياره عضواً في شورى إدارة الإذاعة والتلفزيون حتى عام ١٩٨٣م، عضواً في القوة القضائية، مسؤول المكتب السياسي للحرس الثوري، محافظ لخوزستان عام (١٩٨٤-١٩٨٧م)، محافظ لخراسان عام (١٩٨٩-١٩٩٢م)، المعاونة الدولية لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، وسفيراً لإيران في الكويت ووزيراً للثقافة والإرشاد الإسلامي في حكومة الشيخ حسن روحاني ٢٠١٣.

الاجتماعات رجال دين - خمسة عشر أو ستة عشر شخصية - من بلدان عديدة: كـ (العراق)، (لبنان)، (سوريا)، وشخصية واحدة أو شخصيتين أيضاً قدمتا من (إيران).

كان تصوري أن الإضراب عن الطعام هو المفهوم الكامل للإمساك عن تناول الطعام والشراب، بينما لدى أشخاص آخرين كان يكفي الحفاظ على ظاهر الموضوع.

بعد مضي أربعة أيام من الإضراب، أصبت بحالة من الضعف، فتدهورت صحتي وأصبت بالإغماء من شدة الجوع والعطش، وصلت سيارة إسعاف الصليب الأحمر فوراً، وأرادوا نقلي إلى المستشفى، فانتبه الأخوة الذين حضروا هناك إلى خطورة الموقف، وكانوا خائفين من أن تتدخل قوات الشرطة فيؤدي ذلك إلى التعرف على شخصيتي الحقيقية، ويتعرض التنظيم للضرر، ولهذا، حاولوا إقناع المسعفين ورجال الإنقاذ بعدم الحاجة إلى النقل إلى المستشفى.

بعد مغادرة فريق الإنقاذ، قال (بني صدر): «يمكننا نقلها إلى بيتي إلى أن تتحسن صحتها»، وبهذا النحو، حلت ثلاثة أيام ضيفاً على (بني صدر) وأسرتة، واسترحت هناك.

في الثلاثة أيام التي قضيتها في بيت (بني صدر)، شاهدت عن قرب كيفية حياة (بني صدر) ومعاشراته وأسرتة لم تكن عائلة (بني صدر) زوجته وابنته، تهتمان بالمبادئ والأصول والقيم الإسلامية تماماً، لم تكونا تصليان، ولا يتقيدن بالحجاب، كانتا حرتين تماماً، تسرحان وتمرحان، دون أي ضابطة أو قيد، يظهرن أمام الرجال الأجانب بلا قناع أو حجاب، لم يكن ينقص بيت (بني صدر) أي إمكانات وأسباب

للراحة والمستلزمات الأخرى، يحتوي بيتهم على غرفة ديكورها على نمط غرف العلماء ورجال الدين، وقد ألقى في زاوية من زوايا الغرفة بساطاً مبطناً بالجلد، ووضع كتاب الأدعية (مفاتيح الجنان) والقرآن الكريم على طاولة صغيرة مستديرة، كانت الحياة متواضعة تماماً وبسيطة.

عندما اعترضت أثناء الحديث مع (بني صدر) على عدم التزام ابنته وزوجته بالحجاب، فقلت: «لا يليق بشأنك وأنت ابن عالم من العلماء ورجال الدين أن تكون زوجتك وبنتك بهذا الشكل والأوصاف!» فقال: «أنا لا أفرض عليهم ولا أجبرهم أبداً على أي فعل، عليهم هم أن يعتقدوا بذلك». كان تحمل هذه الطريقة من حياة (بني صدر) صعبة عليّ للغاية، ولهذا بمجرد أن تحسنت صحتي، التحقت بالمعتصمين المتظاهرين، كانت أياماً جميلة وممتعة، وقد لاقى هذا الإضراب عن الطعام اهتماماً كبيراً من قبل الصحف ووسائل الإعلام في أوروبا، فكان يُشاهد باستمرار مراسلي وكالات الأنباء بين المعتصمين، وقد أجروا معي أيضاً عدة لقاءات، وجاءت عدة مراسلات نسوة بتوصية من الشهيد منتظري لإجراء مقابلات معي، فأريتهم في إحدى الغرف آثار تعذيب رجال الأمن (السافاك) التي على جسمي.

لاقت هذه الاعتصامات والاحتجاجات حفاوةً واستقبالاً في العالم، أدت إلى قيام حركات دعم احتجاجية أخرى في بلدان مختلفة، وعقدت ندوات واجتماعات ومؤتمرات وأنشطة إخبارية ومظاهرات لدعم حركة (الاعتصام والإضراب عن الطعام)، من

ضمنها عقد اجتماع في حرم (شاه عبد العظيم) (عليه السلام) في (طهران)^(١).

(١) يشير التقرير الذي قدمه رجال الأمن (السافاك) إلى اتساع هذا الاجتماع، جاء فيه: (نظراً لقيام بعض الطلاب الجامعيين المنحرفين المرتبطين بالمجاميع الدينية بالتحصن والإضراب عن الطعام في كنيسة (سان ماري) ومطالبتهم بعودة (آية الله) روح الله الخميني إلى إيران، وإطلاق سراح عدد من السجناء والمعتقلين المعارضين للنظام بالتعاون والتنسيق مع المجاميع الدينية للإطاحة بالنظام ورجال الدين المتشددين، وقام أنصار ومؤيدو هذه المجاميع المذكورة في إيران أيضاً بالتبعية لطلاب الجامعات المتحصنين في الخارج، والتعاون الثنائي المشترك لأنصار جمعية حركة الحرية، الجبهة الوطنية سابقاً، وقيام رجال الدين المتشددين ومن ذوي التعصب المذهبي بتحضير مقدمات لإيجاد تجمع كبير في ١٩٧٧/١٠/٧م في صحن مرقد عبد العظيم في طهران، وتوزيع المنشورات من قبل الجماعات المذكورة وخاصة رجال الدين المتشددين، ودعوة الناس للحضور والمشاركة في هذا التجمع، الذي سيقام في الساعة الرابعة عصراً يوم ١٩٧٧/١٠/٧م وقد اجتمع ما يقارب ٥٠٠ شخص من العناصر التابعة للمجاميع المذكورة، في صحن مرقد عبد العظيم الحسيني في طهران، حيث رفع فيها شعارات لصالح روح الله الخميني وعلي شريعتي، ووزعت منشورات أيضاً لدعم وتأيد ذلك (سافاك رجال الدين، ج ١، طهران، مكتب أدب الثورة الإسلامية، عام ١٩٩٢م، نشرة متناوبة، ش ٢٥٣٦/١٢/٢٣٩٥٣٥). يقول (علي جنتي) في الحوار الذي أجراه معه مركز وثائق ومستندات الثورة الإسلامية حول الإضراب عن الطعام لكنيسة (سن مري): «... كتب السيد مهدي (هاشمي) رسالة بعثها إلى الرئيس الأمريكي (كارتر) آنذاك، حيث كان يرفع دائماً شعارات تطالب بحقوق الإنسان، وقد بعث هذه الرسالة عن طريق السفارة الأمريكية في دمشق، ليلفت نظره إلى الظروف الصعبة داخل السجون والمعتقلات في إيران، واقترح المرحوم محمد منتظري أن نأتي ونقوم بإضراب عن الطعام في باريس ونيويورك، ولنجلب أنظار الرأي العام ووسائل الإعلام، بقضيتين: بمسألة السيد مهدي الخاصة، وبما يجري من أحداث في إيران» لم يوافق الإخوة الذين كانوا في سوريا على هذا الأمر، يعني أنهم كانوا يعتقدون أن السيد مهدي لم يكن بهذا الحجم لكي نأخذ له كل هذا بنظر الاعتبار، لذا غاية الأمر أنه، بعد الحديث الذي جرى، تقرر أن نذكر أربع شخصيات على أنها من الشخصيات المناضلة والتي تعاني حالياً من ضغوط يفرضها عليها النظام الحاكم بشدة مضافاً إلى السيد مهدي، وهؤلاء هم عبارة عن: آية الله منتظري، آية الله رباني شيرازي، آية الله الطالقاني، والمهندس سحابي «الذي كان في ذلك الوقت معتقلاً مع جماعة من الثوار في سجن

عادل آباد) في شيراز، وكان يعيش في ظروف صعبة جداً أيضاً، وقد أصيب بمرض السل ظاهراً وهو في السجن»، اتصلنا بزملائنا في النجف الأشرف، السيد (إملائي) والسيد (دعائي) وزملاء آخرين، كان في باكستان، أمثال: الشيخ حسن الإبراهيمي، وآخرين، حيث تقرر أن يقام الإضراب عن الطعام باسم (رجال الدين الثوار الإيرانيين في خارج البلاد)، ولكي لا يكشف عن الكثير من الإخوة الذين هم في سوريا، لتلافي هذا الأمر، ذهبنا إلى باريس، قضينا فيها شهراً إلى أربعين يوماً، وقد شارك كل الأخوة الذين كانوا معنا في سوريا ولبنان في الإضراب عن الطعام تقريباً، وقد جاء السيد (دعائي) من العراق، كنا نخطط ونضع البرامج في تلك المدة، فكان البعض ينزل في الفندق، والبعض الآخر في بيت السيد صادق قطب زاده. أتذكر أننا اتصلنا حينها بالدكتور (حسن حبيبي) لكونه مختص بالقضايا الحقوقية، واستشرناه في ما يتعلق ببعض البيانات والإعلانات التي كان من المقرر أن تصدر، اتصلنا بالسيد صادق الطباطبائي والأخوة في اتحاد الجمعيات الإسلامية في أوروبا، وطلبنا منهم أن يلتحقوا بهذا الركب، فوافقوا أخيراً بعد إجراء عدة لقاءات في هذا الخصوص، وحضر عدد كثير من أصدقائنا، الطلاب الجامعيين في أوروبا، الطلاب الجامعيين المسلمين، شاركوا في هذا الإضراب، اتصلنا نحن من هناك بالدكتور يزدي في أمريكا، وحاولنا أن نعمل إضراباً شبيهاً بهذا في أمريكا، وأنا أتذكر كم حصل من النقاش والجدل حول هذا الموضوع، وهو: أن هذا الإضراب تحت أي عنوان ينبغي أن يطرح؟ وبحسب الظاهر كان الدكتور يزدي مصرّاً على أن يكون باسم: (الجمعيات الإسلامية للطلاب الجامعيين في أمريكا وكندا)، أما نحن فكنا نعتقد أن يكون باسم (رجال الدين الثوار)، وعلى كل حال، لم يحصل توافق بشأنه، وحتى في أحد الاجتماعات التي عقدناها، اتصل المهندس غرضي وسط الاجتماع بأمريكا وبالدكتور يزدي، لعل المكالمات استغرقت أكثر من ساعة من الوقت، ولكن وصلنا في النهاية إلى طريق مسدود ولم نحقق توافقاً في هذا الشأن. اخترنا كنيسة هناك تسمى كنيسة (سان ماري) وقمنا بإضرابنا عن الطعام من هناك، وأصبحت قاعدة لتحركنا وانطلاقنا، ومن خلال الارتباط والصلة التي تمت بين هؤلاء السادة وجماعات حقوق الإنسان، فمثلاً السيد (قطب زاده) كان يعرف بعض الشخصيات من الحقوقيين الدوليين، طلب منهم أن يتناولوا هذه المسألة، فتم الاتصال ببعض منظمات حقوق الإنسان، وقدم الكل تقريباً كافة الدعم والمساعدة في هذا الشأن ولكي ينعكس خبر هذا الإضراب عن الطعام بصورة لائقة، وأنا أتذكر أن من جملة الذين قدموا الدعم والمساعدة لهذه الجماعة: السيد أحمد سلامتيان الذي كان من أنصار (بني صدر) حتى بني صدر تعاون معنا والكثير من الطلاب الجامعيين في باريس تعاونوا في أمر

استمرت هذه الإضرابات والاعتصامات عشرة أيام، أوصلنا فيها صوتنا إلى العالم، أنهينا الإضراب وأصدرنا بياناً ختامياً بهذا الشأن، طالبنا فيه بعودة الإمام (الخميني) إلى (إيران) وإطلاق سراح بعض القادة (كآية الله الطالقاني)، وآية الله (منتظري)، وسائر السجناء والمعتقلين السياسيين.

استشهاد الحاج السيد (مصطفى الخميني):

سافرنا تَوّاً من (فرنسا) إلى (بريطانيا)، فسمعنا خبر وفاة الحاج السيد (مصطفى الخميني)^(١). تفاجئنا لهذا الخبر وأصبنا بالحيرة

الطباع، الترجمة، ونشر البيانات التي نسلّمها لهم، وكانت من حيث المجموع تغطية خبرية شاملة وواسعة لهذا الحدث، استغرق الإضراب عن الطعام مدة أسبوع واحد. كانت تجري في داخل الكنيسة مقابلات واتصالات مستمرة ومختلفة، وما زال توجد حالياً بعض الصور الملتقطة آنذاك من تلك اللقاءات، ومن أكثر الذين تجري معهم اللقاءات هو المرحوم (محمد منتظري)، (المهندس غرضي)، وتجري بعض اللقاءات أيضاً مع بعض الأخوة وهم مخفيو الوجه؛ مثلاً لا يتم التعرف عليه أثناء التصوير. سعيًا كثيراً أن نذهب إلى أمريكا ونقوم بالإضراب أمام منظمة الأمم المتحدة في نيويورك، فلم يتحقق هذا، إذ لم تمنح لنا تأشيرات الدخول، فحاولنا من دمشق، فلم يتحقق، وحاولنا من باريس، فلم نمنح تأشيرات الدخول، وقررنا في بعض الأوقات أن ندخل نيويورك من دون تأشيرة، ونقيم في المطار إضراباً عن الطعام، فرأينا أيضاً أن ذلك غير ممكن؛ لأنه لا يمكن أن تصدر تذكرة الطائرة من دون تأشيرة، وعندما كان الإضراب عن الطعام قائماً، كنا نتصل هاتفياً من هناك بإيران، ونخبر بأن إضراباً عن الطعام يعقد حالياً في باريس، ليطلعوا على الأوضاع، لم تكن الصحف تعترض، ولكن اطلع الثوار أخيراً على مجريات الأحداث، فمثلاً أنا اتصلت بالمرحوم (قدوسي) وبدون أن أعرف له نفسي، ذكرت له أن هناك إضراباً عن الطعام فقط، وكان هذا سبباً في انعكاسه في إيران، وكان ينتقل بسرعة أن حركة كهذه قد أوجدت في خارج البلاد، وأنا أتصور أن الضغوط التي كانت موجهة في تلك الفترة ضد المرحوم الطالقاني، وآية الله منتظري وكثير ممن شاركوا في ذلك الإضراب قد قلّت، أو أنها كانت مؤثرة إلى حدّ ما.

(١) الشهيد آية الله السيد مصطفى الخميني، الابن الأكبر للإمام الخميني، ولد في مدينة

والدهشة، إذ لم نكن نتوقع وقوع مثل هذه الحادثة، فحزنًا كثيرًا لذلك... أعلنوا أولاً أنه أصيب بنوبة قلبية، ولكن تبين بعد ذلك أنه دس إليه السم، فاستشهد. كان وقع هذا الخبر ثقیلاً على قلوبنا ومحزنًا جداً، شعرنا بأن ضربة قوية قد وجهت لحركتنا ونضالنا، كان علينا أن نقوم بحركة احتجاجية وإظهار حالة من الغضب ضد النظام، طرحنا هذا الموضوع في اجتماعاتنا ولقاءاتنا، ودرسنا الخطوات العملية التي ينبغي علينا أن نقوم بها، وبعد جهود مكثفة خرجت تظاهرات حاشدة في شهر (آبان) في العاصمة (لندن)، حيث توافدت الحشود المعترضة والمناضلة من كافة أطراف (بريطانيا)، فوصلت إلى هناك، شاركنا نحن كذلك

قم المقدسة في ١٩٢٨/١/٥م، أنهى دروسه الابتدائية، والتحق بالحوزة العلمية في قم المقدسة لدراسة وتعلم العلوم الدينية والدروس الإسلامية والأدب العربي، فأنتهى مرحلة السطح عند أساتذة مثل: آية الله الحائري، آية الله صدوقي، آية الله سلطاني، وآية الله الشيخ محمد جواد الأصفهاني، وحضر دروس خارج الأصول عند الإمام الخميني، آية الله العظمى البروجردي، وآية الله السيد محقق داماد، وحضر دروس الأسفار عند المرحوم العلامة الطباطبائي، والمرحوم العلامة السيد أبو الحسن القزويني، صار جامعاً للمعقول والمنقول قبل بلوغه الثلاثين عاماً، وقد درّس عشر سنوات خارج الأصول في الحوزة العلمية في النجف الأشرف... تزوج بالسيدة (معصومة الحائري اليزدي) ابنة آية الله الشيخ مرتضى الحائري في عام ١٩٥٦م، ألقى عليه القبض في العام الذي أبعده فيه الإمام الخميني من إيران إلى تركيا في ١٩٦٤/١١/٤م، ونقل إلى سجن (قزل قلعة)، وبعد قضاء ٥٧ يوماً، وبأمل مغادرته لإيران، تم إطلاق سراحه، ولكنه انصرف عن السفر إلى تركيا بعد استشارة جمع من أساتذته وفضلاء الحوزة العلمية، إلى أن ألقى عليه القبض مرة أخرى بأمر من الكولونيل (بديع) - رئيس دائرة الأمن السافاك - ونقل إلى طهران، وأبعد إلى تركيا، ومن ثم رافق الإمام الخميني بعد إبعاده إلى تركيا في ١٩٦٥/١/٣م، لهذا الأستاذ الكبير مؤلفات كثيرة، مثل: القواعد الحكمية والقواعد الرجالية، والقواعد الأصولية، وكتاب الإجارة، وكتاب البيع في ثلاثة مجلدات، وكتاب في الفقه في مجلدين، ودورة كاملة من الأصول الموجزة والمفصلة، ولم تكتمل دورته المفصلة.

وبشكل جادّ في تلك التظاهرات، وهتفنا بشعارات مؤيدة للإمام (الخميني) ومعارضة للنظام، ودعمًا لعلماء الدين الشهداء، فوقفنا أمام مبنى السفارة الإيرانية، وضاعفنا من حدة الغضب والشعارات^(١).

كانت الأخبار الواصلة تحكي عن الحماس والغضب الجماهيري العالمي في استنكار هذه الحركة التي قام بها النظام -استشهاد الحاج السيد (مصطفى الخميني)-، وقد أعرب المسلمون وطلاب الجامعات الثوار في (أمريكا) و(كندا) ومختلف نقاط (أوروبا) عن حزنهم وأسفهم لفقدان هذا الرجل العظيم، وأقاموا له مجالس العزاء والمسيرات. بعد فترة عدنا إلى (سوريا)، ومارسنا أعمالنا اليومية الخاصة بنا وبالتنظيم.

(١) في قلب المدينة الكبيرة (لندن) أقيم حفل تكريمي من قبل الإخوة والأخوات المسلمين ومجلس عزاء في ٢٩/١٠/١٩٧٧م في الساعة ٣/٣٠ عصرًا، ابتداءً هذا المجلس المنعقد في (كاكستون هال كنت روم) الواقع في الجنوب الغربي من لندن، وبعد قراءة آيات من كلام الله المجيد، وسماع صوت المجاهد الشهيد (ناصر صادق) (ومن المحتمل أن الصوت مسجل على شريط؛ لأن (ناصر صادق) نفذ بحقّة حكم الإعدام في ١٩/٤/١٩٧٢م) ألقى أحد الإخوة المناضلين محاضرة مؤثرة جدًا، كشف فيها عن جرائم النظام البهلوي السفاح، والطغمة الحاكمة المتغترسة والفاشية، وأوضح كيف يقوم النظام بتصفية العناصر والرموز الثورية والمسلمة الملتزمة على يد المجرمين الجناة وعديمي الكرامة، ثم أقيمت بعد ذلك تظاهرات ومسيرات احتجاجية واسعة لمدة ساعتين، وقد وصل أعداد المتظاهرين المحتجين ما يقرب من الثلاثمائة متظاهر من الإخوة والأخوات المسلمين والطلاب الجامعيين، وكانت دوافع هذه التظاهرات هي التنديد بقتل المجاهد الكبير آية الله الحاج مصطفى الخميني على يد أعلام الشاه، ومعارضة السياسات الإرهابية للنظام.

نحو (نوفل لوشاتو):

كنا في (سوريا)، فعلمنا أن الحكومة العراقية وبعد عدم حصولها على نتيجة من محاصرة بيت الإمام (الخميني)، أجبرته على مغادرة العراق، كان الإخوة بصدد تشجيع الإمام وترغيبه بالمجيء إلى (سوريا) و(لبنان)، إلا أنه سافر أولاً إلى (الكويت)، وبعد منعه في مركز صفوان من دخول (الكويت) عاد إلى (البصرة)، ومن ثم إلى (بغداد)، ثم توجه من هناك إلى (فرنسا).

بعد التشاور والدراسة التي أجراها سماحته، قرر أن يذهب إلى (باريس)، وأقام في منطقة (نوفل لوشاتو)^(١)، والتي تقع في أطراف (باريس)، ونالت شهرة عالمية بعد ذلك.

كنا في (سوريا) نترقب الأخبار المتعلقة بالإمام (الخميني) وأنصاره لحظة بعد لحظة، وبعد وصول خبر إقامته في (نوفل لوشاتو)، عقدنا اجتماعاً تناولنا فيه أبحاثاً كثيرة ودارت فيه نقاشات عديدة ومختلفة، فتوصلنا إلى هذه النتيجة وهي أن نلتحق نحن أيضاً بركب الإمام في تلك المنطقة الواقعة في أطراف (باريس).

ولهذا سارعنا بإنجاز الأعمال المتبقية، وجمعنا أمتعنا وحقائبنا،

(١) NEAPUPHIE. ELE. CHATEAU مدينة صغيرة تقع في ضواحي مدينة

باريس، يصل عراقه تاريخ (نوفل لوشاتو) من ٢٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ عاماً، وقبل ميلاد السيد المسيح ﷺ، وكانت عائلة نوفل القوية والارستقراطية هي التي تحكم المنطقة، ومن بينهم يمكن الإشارة إلى (سيمون الأول)، (سيمون الثاني)، (سيمون الثالث)، و(سيمون الرابع). تعد هذه المنطقة ذات مناخ صيفي، وفي هذه المنطقة توجد كلية تعليمية كبيرة أيضاً.

الفصل الثاني: الهجرة..... ١٦١

وسافرنا إلى (فرنسا). سافر أولاً كل من الشهيد (محمد منتظري)، (محمد غرضي)، (ناصر الأدبوش)، و(سراج الدين الموسوي). بعد يومين سافرت أنا بجواز السفر المزور والذي يحمل اسم (زينت أحمد نيلي)، متوجهة بالطائرة إلى (فرنسا).

كان قلبي مضطرباً في تلك الساعة، وكنت أحصي الدقائق والثواني للقاء الإمام (الخميني). كانت لحظات مهيجة ومثيرة، بل كنت في دوامة وغير مستقرة نفسياً.

عندما وصلنا إلى مطار (أورلي) الدولي، توجهنا دون تأخير وعن طريق علامات المرور المنصوبة على أطراف الشوارع نحو (نوفل لوشاتو)، عندما وصلت إلى هناك، انتابني شعور عجيب، وحالاً لا يوصف، إنه شعور جيد وإلهي، وإحساس بالفخر والرفعة، كنت أتذكر دائماً ذلك المنام الذي رأيت فيه الإمام (الخميني) في عام ١٩٦٣م، تلك الرؤيا التي كان فيها الإمام يتوجع من شدة ألم الكتف، وكنت أفتش عن طريق لأقدم له خدمة، فكان هذا الحضور والظهور حالياً في (نوفل لوشاتو) تعبيراً لتلك الرؤيا في المنام.

بعد اللقاء بالإمام (الخميني)، لم أكن أعرف رأسي من قدمي لشدة الفرح، ولم يتسع جسدي لروحي، فوصل شعوري هذا إلى عنان السماء بقرار الأخوة أن أقوم أنا بالوظائف المرتبطة ببيت الإمام وشؤونه الخاصة، انتابني شوق لا يوصف، قد ملأ وجودي، فخاطبت نفسي: «مرضية ها أنت التي قد من الله عليك بلطفه وفضله هذا كله لتكوني خادمة في بيت الإمام (الخميني)...» وأي عمل هو أغلى وأثمن لي من هذا؟ أن أتففس وأشمّ الهواء في بيت يذفر بعبق وعبير أنفاس الإمام

١٦٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

القدسية، اعتقدت أن الله سبحانه وتعالى قد عوّضني عن كل ما عانيته من حرمان وهجران ومحن وآلام، عليّ إذاً أن أغتنم هذه الفرصة وأستفيد منها لحظة لحظة.

مضافاً إلى قيامي بالشؤون الداخلية توليت ما يرتبط بالشؤون الأمنية في البيت، فقد حالفني الحظ أن أنال سعادة ما أعظمها من سعادة، أن أرى الإمام (الخميني) كل يوم. في الأيام الأولى، كنت أفتح الرسائل التي تصل إلى الإمام، وأشتري الحاجات الضرورية للبيت، وكنت أغسل ملابسه، وأهيئ له طعامه على ضوء البرنامج، فوجودي في هذه الأجواء كان توفيقاً إلهياً، حيث أتعرف عن كثر على نمط وأسلوب الحياة البسيطة والزهد والقناعة للإمام (الخميني)، وأن أعيد بناء نفسي من بركات هذا الحضور، وأستفيد من مكارم أخلاقه، وسيرته العملية وسلوكه العرفاني، لتنتعش روحي وحياتي من جديد.

ملاحظات (طاهرة):

الشكر والثناء لله عز وجل أن وفقني للقيام بمهام البيت رقم ١ و ٢ بأحسن وجه ممكن^(١)، فمن خلال قربي وحضوري في بيت الإمام،

(١) وضعت ثلاث بيوت تحت تصرف الإمام الخميني في باريس، فالبيت رقم ١، الذي كان صغيراً جداً، كان يعيش فيه سماعته وزوجته والحاج أحمد ابنه، والسيد إشراقي صهره وابنته وزوجة ابنه واثنين من أحفاده. أما البيت رقم ٢، الذي يقع وجهاً لوجه مع البيت رقم ١، فهو خاص باجتماعات الطلاب الجامعيين الإيرانيين، وكان سماعته يؤم المصلين في هذا البيت. وأما البيت رقم ٣، فهو مخصص لاستراحة ونوم الطلاب الجامعيين، وسائر أتباع خط الإمام الخميني، إذ إن كل طالب جامعي، أو كل شخص يقدم إلى باريس لزيارة الإمام الخميني، كان له الحق أن يبقى ثمان وأربعين ساعة في هذا البيت، وتوزع في هذا البيت ثلاث وجبات من الطعام

شهدت مواقف وسلوكيات مثالية للإمام الخميني قصدت المشاهدة أم لم أقصد، تصرفات وأساليب وأحاديث تثير في الإنسان الدهشة والتعجب، ابتداءً من تناول الطعام والنوم، إلى العبادة والسياسة، وقد تميزت هذه كلها بنظم ودقة خاصة في الوقت، واتباع برنامج معين ومحدد خاص بالإمام فقط، فالنظم والبرمجة يعدّان جزءاً لا ينفصل من حياة هذا الرجل العظيم في التاريخ، فلا يمكن أن يسأل عن مكانه مثلاً فتقول ذهب لتجديد الوضوء، فلوضوئه وقت وزمان معين، أما الذين كانوا معه وفي بيته فهم يعرفون ذلك عنه تماماً.

قدم خمسة أشخاص من (أمريكا) لرؤية الإمام الخميني، والذي يبدو أنهم جاءوا لتقييم الحياة الخاصة للإمام، فطلبوا مني أن أجري معهم مقابلة عن ذلك، وأثناء اللقاء، اقترب وقت تجديد الإمام لوضوئه، فكان عليّ أن أذهب لأتأكد من نظافة المغاسل، لذا قلت للسادة: بما أن هذه المهمة منطوية بي، فعليّ أن أذهب، فقالوا: «هل يمكن لإنسان أن يكون قادراً على استذكار قضاياه الخاصة كما في استذكار وقت وضوئه مثلاً؟» قلت: «نعم، أنتم لا تعرفون الإمام»، ولكي أثبت لكم صحة كلامي، سأترك لكم نافذة المطبخ مفتوحة، وشاهدوا منها الإمام أنه بعد دقائق سيذهب إلى دورة المياه، فزاوت عملي، جاء هؤلاء إلى الساحة وأخذوا ينظرون من نافذة المطبخ، فشاهدوا الإمام في الدقيقة التي حددتها لهم، أنه عاد ليجدد الوضوء، وبعد إنهاء العمل، عدت لأكمل المقابلة والحوار معهم، وقد أثار استغرابي أنني لم أجدهم في غرفة المقابلة، فسألت

الغذاء والعشاء وكذلك الفواكه، كان البيت رقم ٣ في مدينة باريس. (تقرير رسول صدر العامل، من إقامة الإمام في فرنسا وحتى طهران، إطلاعات، العدد ١٥٧٧٥، ١٣/١١/١٩٧٩م).

١٦٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الإخوة: أين ذهب هؤلاء السادة الأمريكيون؟ قالوا: لقد فهموا كل ما طلبوه، وهاهم مشغولون بجمع حقائبهم وأمتعتهم للعودة.

كان الإمام الخميني يتناول طعام العشاء في الساعة التاسعة ليلاً في إحدى الليالي، قرّر الإخوة في بيت الإمام أن يشاهدوا فيلماً عبارة عن محاضرة للشهيد مفتح ألقاها في مسجد (قبا)، وكذلك مسيرات جماهيرية، فكانت ساعة عرض هذا الفيلم تتضارب مع ساعة تناول الإمام لطعام العشاء، وقد أحببت مشاهدة هذا الفيلم، حضرت عند الإمام الخميني وسألته: «هل آتي لكم سيدي بالعشاء؟» فنظر إلى الساعة، وقال: «لا، بقيت عشر دقائق»^(١).

وهناك موارد كثيرة جداً من هذا القبيل.

فالإمام مثلاً يذهب إلى النوم عادةً في الساعة ١١ ليلاً، ويستيقظ في الساعة ٣ قبل الفجر، فيبدأ بترتيل القرآن والتضرع والدعاء والصلاة، غرفته مظلة على رواق البيت، وبما أن مهمة المحافظة على داخل البيت قد أوكلت لي، فكنت حينذاك أنام خلف باب تلك الغرفة، لأطمئن أن الإمام لا يصاب بمكروه، باستيقاظ الإمام، كنت أسمع صوت تحريك الأوراق أو صوت صلاته ومناجاته، ولا أتذكر ولو مرة واحدة أن وقت استيقاظ الإمام تغير، كأن يبقى مستغرقاً في نومه، ويستيقظ بعد خمسة عشر دقيقة مثلاً، بل كان يستيقظ يومياً الساعة ٣ صباحاً بالضبط.

كان الإمام يصلي صلاة الفجر، ثم يتناول وجبة الفطور، ثم يرتل

(١) كافة بيانات ومحاضرات وأقوال الإمام الخميني تم ذكرها هنا بالمضمون.

شيئاً من القرآن، وبعدها يبدأ موعد الزيارات واللقاءات، فيستمر إلى الساعة ١١ صباحاً، ويتخللها من الساعة التاسعة إلى التاسعة والثلاث، المشي قليلاً في شرفة البيت، وفي الساعة ١١ صباحاً يذهب لمدة عشر أو خمسة عشر دقيقة إلى الغرفة التي خلف غرفة اللقاءات والزيارات، وهي مخصصة له وحده، فآتيه بالشاي وبعض الفواكه أحياناً، والمشير للاهتمام أن الإمام الخميني في هذه الدقائق التي يتناول فيها الشاي والفاكهة يقول: «ادع السيدة [زوجته] أن تأتي أيضاً»، ولعله لا يريد أن يقضي وقته المخصص له بدونها. بعد الاستراحة القصيرة، يعود ثانية إلى غرفة الاستقبال والزيارات، وعند اقتراب وقت الظهر، يجدد وضوءه، ويبدأ صلاته في الساحة الخارجية في المكان الذي نصبت فيه خيمة، وقد يحاضر بعد الصلاة، ثم يذهب لتناول وجبة الغداء، كان الغداء في أغلب الأوقات مرق اللحم وأما في الليل، فيتعشى عشاءً خفيفاً، كالخبز والخضروات والجبن والجوز.

يستريح الإمام على عادته بعد تناوله طعام الغداء، ومن ثم له برامج مختلفة كمطالعة الكتب، الصحف، والأخبار المترجمة، ... كان الإمام الخميني مهتماً جداً بسماع الأخبار الداخلية والخارجية، ومتابعاً للأحداث والوقائع، حتى لا يبقى بعيداً عنها^(١).

(١) البرنامج اليومي من حياة الإمام الخميني أثناء إقامته في باريس كان كالتالي: نومه واستراحته من أربع ساعات إلى ست ساعات، ويتابع عمله في بقية الساعات، كان الإمام الخميني بعد إقامة صلاة الصبح يبدأ بتلاوة القرآن، ومن ثم مطالعة الأخبار والتقارير، وتستمر مطالعته عادةً حتى الساعة الثامنة صباحاً، وفي الأثناء يجيب على كافة الرسائل والأسئلة التي تأتيه من كافة أنحاء العالم وبلغات مختلفة، [...] في الساعة ٨ صباحاً يستقبل كل من حضر

١٦٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الإمام الخميني ومع كل الدقة والنظم الذي تميز به وكثرة البرامج والزيارات إلى البيت ١٥١ في (نوفل لوشاتو)، كان يراعى حال الآخرين أيضاً، سواء من كان منهم في البيت، أو من جاء منهم من الخارج، أو من كان جاراً له، عندما عرف أهالي منطقة (نوفل لوشاتو) أنه يهتم بشؤونهم وأحوالهم، أخذوا يبدون له جُلّ احترامهم، وأحياناً يقفون لمشاهدة برامج الصلاة والدعاء والمحاضرات.

لقد كانوا راضين عن الإمام غاية الرضا، معتقدين أنه مصدر البركة واستقطاب الشهرة لقريتهم، فتعلقوا بالإمام غاية التعلق، إلى درجة أنه عندما أراد مغادرة المكان، جاءوا جميعاً لتوديعه، وكانوا غير مرتاحين وغير راضين لهذا الفراق.

وصل في يوم ما عدد من الضيوف من أقارب الإمام، وباتوا هناك، وبما أن الغرف كانت محدودة، نمت أنا في المطبخ، فعندما رآني الإمام في الصباح نائمة، قال: «كنت البارحة قلقاً عليك، أن تصابي بالبرد»، هذا مع أنني لم أكن جزءاً من عائلته، بل اشتغل تبرعاً كخادمة في بيته، فذكرني هذا التصرف منه بقول النبي ﷺ في حق سلمان: «سلمان

لزيارته، ويستمر هذا البرنامج إلى حوالي الظهر، وتسلم في هذا الوقت بيانات أو رسائل تصدر من سماحته إلى المراسلين، أو ترسل إلى المراكز المختصة، ويأتي الإمام إلى البيت رقم ٢ في الوقت المقترن للظهر لأداء صلاة الجماعة، وبعد أداء فرض الصلاة يعود إلى بيته، وبعد تناول الغداء يستريح حدود ساعتين، ومن ثم يعود لممارسة عمله إلى الساعة ٥/٣٠ من بعد الظهر، إذ يحين وقت صلاة المغرب والعشاء، وبعد إقامة الصلاة، يستمر في عمله إلى منتصف الليل، وكما ذكر المقربون له: يذهب إلى النوم بعد الساعة الواحدة ليلاً. (تقرير رسول صدر العالمي، من إقامة الإمام الخميني في فرنسا إلى طهران، صحيفة اطلاعات، ش ١٥٧٧٥، ١٩٩٧/٢/٢م).

منا أهل البيت» معتقداً أن سلمان جزء منه ومن أهل بيته.

لقد كنت بسبب تعامل الإمام هذا أشعر دائماً أنني واحدة من أسرته وأهل بيته، فكان الإمام يخاطبني دائماً «أختي طاهرة»، ويوكل لي الوظائف والمهام، فكنت أشعر أن له عناية خاصة بي من خلال أقواله وأفعاله.

أصبح الطقس بارداً جداً في (نوفل لوشاتو) ولم تكن لي ثياب مناسبة تقيني من برودة الهواء، فنقلت لي زوجة الإمام عنه أنه قال: «الأخت طاهرة لا ترتدي ثياباً تدفئ بها نفسها؟ يبدو أنها تحاول وبأي وسيلة أن تلف نفسها بصعوبة من البرد»، قلت: كلا، بقيت ثيابي في سوريا، فأعطاني الإمام بعض (الفرانكات) في اليوم التالي وقال: «اشتر لك ثياباً شتوية»، ذهبت فاشتريت لي (جبة نسائية) ويعلم الله أنني كنت أفكر ساعات وأيام بالثفات وتوجه الإمام لهذه المسائل والمشاكل التي حوله، وهذه الدقة والظرافة التي يتمتع بها في كافة الجوانب فهي مستوحاة تماماً من أفعال وسلوكيات الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

بقي معنا في أحد الأيام عدد كبير من الأشخاص لتناول وجبة الغداء، فامتلاً المطبخ بعدد كبير من الصحون والأطباق، كنت مشغولة بغسلها جميعاً، دخل الإمام إلى المطبخ، وقال: «ستتعيين هكذا، أنت نظفي هذه فقط واتركيها، أنا سأتي بنفسني وأرفع عنها الرغوة وأغسلها»، لم أقبل طبعاً هذا المقترح منه، لكنني أدركت دقة وعمق اهتمام الإمام الخميني، إذ لم يكن أي موضوع خافياً عن أنظاره أبداً.

كنت جالسة في أحد الأيام إلى جنب سجادة الصلاة، أفكر في ما كان وما يكون، وإذا بي أسمع صوت فنجان الشاي وصحنه قد علا من

١٦٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

داخل المطبخ، ذهبت لأتفقد ذلك بسرعة، فرأيت الإمام الخميني يصبّ لنفسه الشاي، ثم وضعه في صينية، وهو يريد أخذه إلى الغرفة، قلت له: «سيدي، ماذا تفعل هنا؟» فقال: «أردتُ مساعدة السيدة، فأخذت من يده الصينية وذهبت بها إلى الغرفة.

كان الإمام من الساعة ٩ إلى ٩/٢٠ يسير في شرفة البيت كل يوم، ومع أنه في الجهة الأخرى يقع مخفراً للشرطة المحلية، إلا أن ذلك لم يزل قلقي على الإمام وحياته، ولهذا سعيت أن أقف في أسفل الشرفة، بنحو لا يلفت نظره، وأراقب الأوضاع، لكن الإمام رأى ظليّ في إحدى المرات، وعرف عملي ومبرراته، فخاطبني قائلاً: «الأخت طاهرة»، أنا لا أرضى لك بهذا التعب والإرهاق، فالشرطة موجودة، وهذا يكفي، وما يقدره الله تعالى صائر، قلت: «إن قلبي لا يطيق ذلك، فأنا لا أطمئن للشرطة، ينبغي أن أكون أنا التي أحرسك ليهدأ خاطري».

لمحات حول الإمام:

كانت كل حركة وتصرف يقوم بها الإمام الخميني هو أنموذج ومثال راقٍ في الاقتداء، كان ولا يزال كذلك، له نظرة شمولية للأمور تفوق الخيال والتصور.

وكما قلت سابقاً، أُوكلت لي مهمة شراء احتياجات البيت، فكنت أنظم يومياً قائمة بما يلزم الإمام ويحتاجه البيت، وأذهب إلى السوق لشرائها، آخذ مبلغاً منه، وأسوِّي حساباتي السابقة، جئت إلى الإمام ذات مرة، وطلبت منه تعيين حساب للمصروفات ومن ثم تصفية ما مضى من حسابات، عندما جمعت له المبالغ، سألتني: «ألم تخطئي؟» فكررت

عملية الحساب وصرت أجمع وأطرح، ومن ثم قلت: «كلا، إنه صحيح» سكت الإمام الخميني ولم يقل شيئاً.

عندما ذهبت إلى السوق، وجدت أن المبلغ كبير، حسبت مرة أخرى، فعرفت أنني أخطأت في ٨١ فرانك، حيث حسبت ٩ فرانك على أنه ٩٠ فرانكاً خطأً، ذهبت إلى الإمام وقلت له: «سيدي، لقد أخطأت في الحساب، وأخذت أكثر»، فقال الإمام: «أنا منذ البداية عرفت ذلك، إلا أنني أردت أن تصلي أنت بنفسك إلى حقيقة الموضوع»^(١).

استبطن تعامل الإمام الخميني هذا نوعاً من الظرافة وكان درساً أخلاقياً عظيماً، فلو كان الإمام منذ البداية مصرّاً على خطأي، قد يستتبع ذلك في نفسي شعوراً بعدم الاعتماد والثقة بي في هذا البيت، ولعلي أصاب بالبرود، لكن الإمام الخميني وبنظرته الثاقبة للأمور تعامل معي بهذه الطريقة، استوحيت منها أن الإمام يثق بي كثيراً، ولأي مدى وحدّ كانت هذه الثقة والاعتماد والارتباط خالصاً وصادقاً، وبركة هذا النوع من التصرف والتعامل، وكما يدّعي الكثير من الأصدقاء، صرت أثق بنفسني إلى درجة أن أصبح ذلك حديث الأخوة.

من الأعمال الأخرى التي مارستها في الأيام الأولى لدخولي بيت الإمام الخميني هو فتح الرسائل التي كانت تصل إليه من أقصى بقاع العالم، فكان بعض وقته يصرف على قراءة هذه الرسائل، بل كان سماحته يجيب على بعضها، فمن خلال هذا الحجم الهائل من الرسائل،

(١) تؤكد السيدة دباغ أنها لا تتذكر العدد والرقم بشكل دقيق، وأما سجل المحاسبات

المذكور فهو بعنوان سند ووثيقة تاريخية بعد انتصار الثورة الإسلامية وضع في اختيار وتصرف مكتب الإمام.

١٧٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

كان من المحتمل أن يتوجه نحوه خطر ما، فكنت خائفة قلقة من أن يتعرض الإمام إلى أذى من هذا الطريق، فأخذت أفتح هذه الرسائل في المطبخ بدايةً بالمهارة المتوفرة عندي، ومن ثم أسلمها إلى الإمام؛ حتى لا يصاب بسوء لا سمح الله.

دخل الإمام الخميني في أحد الأيام إلى المطبخ، فوجدني أفتح الرسائل، فقال: «الأخت (طاهرة)، أنا لا أَرْضِي أن تتصرفي هكذا»، لم أكن أفهم قصده في البداية، تصورت أنه تأذى من تصرفي، ولا يريد أن أرى الرسائل، فقلت له: «سيدي، والله إنني لا أقرأ ما في الرسائل، إنما أفتحها فقط لقضايا أمنية، ومن ثم آتي بها إليك، فقال: «لا أقول هذا، إنما أقول: إن كانت تشكل خطراً عليّ فإنها كذلك ستشكل عليك خطراً، فلماذا تعرّضين نفسك إلى الخطر إذا؟»، قلت له: «إن الأمة والشعب كلهم بانتظارك» قال: «أنت أيضاً لك ثمانية أولاد في إيران هم بانتظارك، فوضّحت له أنني دخلت دورات تدريبية بهذا الخصوص، ولي من المهارات ما يقلل من نسبة الخطر، فقال الإمام: «تعالى ساعة وعلميني ذلك».

لقد كان تصرف الإمام معي هو نوع من المساواة، حيث لم يكن يفرّق بين نفسه وبين الآخرين، ويرى أنه مساو لهم، وليس أعلى وأسمى، فهو يعطي الآخرين ذات القيمة التي يعطيها لنفسه.

في خصوص الحديث لوكالات الأنباء أو الصحافة بل وحتى التلفزيون، فبدون أن يسأل الإمام الخميني أن المراسل رجل أو امرأة، يسمح له باللقاء، وبناءً على فتواه، أن لا حاجة أن نأمر النساء الأخريات (غير المسلمات) بالتزام الحجاب.

جاءت يوماً سيدة أفريقية إلى (نوفل لوشاتو)، وأصرّت على أن تلتقي بالإمام نفس اليوم، وأصرّت على ذلك كثيراً، وأخيراً استطاعت أن تلتقي به، سأل الإمام المترجم: من هذه المرأة؟ ومن أين قدمت؟ ولماذا تصرّ كثيراً على أن تلتقي بي هذا اليوم؟ فقالت: «أنا قادمة من أفريقيا، فبعد قراءتي لتاريخك، قمت ببيع كل ما عندي من الحلي والأسورة والأقراط الفضية والثياب الإضافية، وأعددت مبلغاً من المال لأشتري تذكرة سفر ذهاباً وإياباً، وأجىء إلى زيارتك، فإن كنت ألححت على اللقاء بك، فهذا لا يعني أنني متسولة، فأنا امرأة عندي بيت وزوج ووضعي المعاشي جيد، ولكنني اشتريت بطاقة سفر ذهاباً وإياباً، وليس لدي ثمن الإقامة هنا ليلاً، وعلى هذا، عليّ أن أعود إلى (باريس) لأرجع بالطائرة التي ستقلع إلى بلدي في هذه الليلة، كان هدفي من هذه الزيارة هو أن ألتقي بك وأراك فقط، كنت أعتقد أن زيارتك هي كزيارتي للسيد المسيح (عليه السلام)، كنت أعتقد دائماً أنني لو عاصرت السيد المسيح (عليه السلام) وشاهدته، ماذا كنت صانعة؟ فعرفت أنك تعمل للدين، وأنا فرحة ومسرورة أنني التقيت بك وشاهدتك عن قرب». فذكر لها الإمام بعض الأقوال عن السيد المسيح (عليه السلام) وعن الإسلام، ثم أمر السيد (أحمد) أن يعطي هذه السيدة عدد من الدولارات ثمن التذكرة، لكي تعود إلى بلدها فيما لو فاتتها الرحلة.

عندما خرجت هذه السيدة الزنجية من الغرفة، كانت تنهمر على وجنتيها الدموع، سألت المترجم عن سبب بكائها؟ فقالت: «إنني أشعر بخطأ كبير قد ارتكبته؛ لأنني مضافاً إلى عدم معرفتي بالسيد المسيح (عليه السلام) بصورة صحيحة، لم أعرف النبي بعده أيضاً، والآن أعطاني آية الله الأمل

١٧٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

لأبحث وأطالع حوله، أشعر أنني قد وجدت عشق هذا النبي ﷺ وسيوصلني ذلك إلى أماكن جيدة جداً»^(١).

تقسيم الوظائف:

في (نوفل لوشاتو) وفي بيت الإمام، كان كل شيء منظم، والعمل مقسّم، وكل يعمل حسب وظيفته، فواحد يتصدى لأمر الصحف الأجنبية وترجمتها، والآخر يتصل بفروع وأقسام الجمعيات الإسلامية للطلبة الجامعيين في أوروبا وأمريكا، وثالث يتصل برجال الدين الثوار الأحرار، ورابع يرتب موعد الزيارات واللقاءات، وخامس يتصل بالمؤسسات والمنظمات والمراكز العلمية والبحثية، ويبعث الرسائل، ويستلم الأخبار، ومجموعة تسجل محاضرات الإمام ولقاءاته، و...

(نوفل لوشاتو) كانت ميداناً استثنائياً للعمل والنشاط والفعاليات، لا يوجد أحد هنا من دون عمل، أو يضيع وقته عبثاً، وأنا أيضاً، مضافاً إلى قيامي بالواجبات داخل بيت الإمام الخميني والمحافظة على أمنه، كنت بسبب معرفتي العربية أحاور من يأتون إلى زيارة الإمام في ساعات معينة.

كان يعمل في قسم ترجمة الأخبار اثنان من الإخوة هما: «(فرهاد) و(حسن) ولم تكن بيني وبينهم أي معرفة فكانا يخاطباني الأخت طاهرة، وأعرفهما بالأخ حسن والأخ فرهاد، كذلك كان من بين الأخوة السيد فردوسي بور مسؤولاً عن إدارة مقر الإمام، والأخ السيد سراج الدين الموسوي» وهو من مرافقينا في (سوريا) و(لبنان)، مسؤولاً عن

(١) مجلة الصبح الصادق، الثقافية، الاجتماعية، العدد ٩ (١٤ / ١١ / ٢٠٠١).

حفظ الأمن في بيت الإمام (الخميني)، وكل شخص في هذا التنظيم وبحسب مسؤولياته ووظائفه مرتبط بالإمام، ولهذا فكل منهم له ذكريات عن الإمام، ومن بين الذكريات الجميلة والخالدة التي كانت لي مع الإمام ما أذكره عن غسل الملابس:

تختلف أجهزة غسل وتنشيف الملابس في إيران عنها في أوروبا تماماً، فالملابس إذا أوصلتها إلى محل كوي وغسل الثياب - في إيران - تستلمها بعد بضعة أيام، أما في أوروبا، فهناك مراكز تأخذ لها الملابس بنفسك، وتلقيها في أجهزة الغسل والتنشيف، وتبقى تنتظر حتى ينتهي الغسل، فتقوم بتنشيفها، ثم تأخذها إلى البيت، ونظراً إلى حالة الشك والحساسية عندي، ورعاية للاحتياط، مضافاً إلى الوظائف المنوطة بي، كنت إذا جئت بالملابس، أقوم بتطهيرها مرة أخرى بالماء، ثم أنشرها لتجف.

في يوم ما انتبه الإمام الخميني إلى هذا العمل، وقال: «أختي، طاهرة ماذا تفعلين؟» قلت: «سيدي، أخشى أن الملابس لم تطهر؛ لأن الأجناب أيضاً يستخدمون نفس هذه الأجهزة للغسل، فقد تكون الملابس نجسة»، فقال الإمام: «ليس كل رطوبة نجسة»، قلت: «أنا لست قادرة على أن أشخص النجسة من غيرها»، أخذت سلة من الملابس المغسولة إلى الإمام، فلمسها، وقال: «كلا، لا حاجة لتطهيرها وتشطيفها مرة أخرى، فلا تتعب نفسك بذلك».

عندما كنت أشاهد هذا التصرف والتعامل من الإمام، أدرك تماماً إلتفاته لكافة الأمور، بنحو لا يمكن أن يصدق الإنسان، كانت هذه الاهتمامات تمنحنا حرارة وحماساً في طريقنا الذي نسير فيه.

وفاة السيدة (محبوبة أفراز):

في باريس حصلت حادثة مقتل السيدة (محبوبة)، كنت أعرفها هي وأختها السيدة (رفعت) منذ كن طالبات في مدرسة (رفاه).

(محبوبة) امرأة نموذجية، متدينة وملتزمة، تهتم بالصلاة جداً، ولم تكن مستعدة لاستبدال صلاتها بشيء آخر، كانت سيدة عجيبة، تزوجت في خارج البلاد^(١)، وكانت ناشطة تدعم منظمة مجاهدي خلق حسب الظاهر، إلا أنها غير معتقدة بهم في الواقع، ولم تقدر أن تنسجم مع أفكارهم، وقد سمعت كثيراً أنها حيثما حضرت في جلسات المنظمة يحصل تلاسن في داخل الاجتماع.

كنت يوماً في خدمة الإمام (الخميني)، فجاء الحاج السيد (أحمد) وقال: «جاء أحد إخواننا من (إيران)، وهو بحاجة إلى مساعدة، فما يمكنكم أن تفعلوا له؟ خرجت لأراه، فشاهدت رجلاً لم أعرفه من قبل، عرف هو نفسه، وقال: أنا ابن خالة محبوبة أفراز^(٢)، وأخبرنا ب وفاة السيدة (محبوبة)، تألمت وتأثرت كثيراً، ثم قدّم شرحاً مبهماً وغامضاً عن كيفية

(١) محمد يزدانيان زوج الدكتورة (محبوبة أفراز) ابن السيد علي أكبر، ولد في مدينة (كاشان) في عام ١٩٤٨م، التحق بمنظمة مجاهدي خلق في جامعة شريف الصناعية (آريا مهر)، وبعد تغيير أيديولوجية المنظمة في عام ١٩٧٥م، عيّن مسؤولاً لفرع الشرق الأوسط في المنظمة، أُلقي القبض عليه بعد انتصار الثورة الإسلامية عندما كان يعمل لصالح منظمة (بيكار-النضال)، وحكم عليه بالإعدام فأعدم في عام ١٩٨٣م.

(٢) علي أكبر سليمي جهرمي (ابن خالة أفراز) ولد في (جهرم) ١٩٣٨م، يعد من جملة المناضلين السياسيين، كان مُبَعِّدًا ومعتقلًا مدة من الزمن، عيّن أميناً عاماً للشؤون الإدارية والاستخدامية في إيران، استشهد في انفجار مكتب الحزب الجمهوري الإسلامي في عام ١٩٨١م.

قتل السيدة (محبوبة)، ولم يكن يعلم كيف ولماذا قُتلت ابنة خالته؟ و طلب منا أن نساعدده في تسلّم جنازتها، وبما أنني لم أكن أعرف اللغة الفرنسية، فقد كان القيام بهذا العمل صعباً عليّ، تكلمت مع بعض الإخوة، ليساعدوننا في هذا، فقبل الدكتور (شمس الدين مجابي) بتقديم المساعدة، وأن يأتي معنا إلى الطب العدلي، استغرق الأمر أسبوعاً، حتى استلمنا الجثة من الطب العدلي، عندما بحثوا في أثاث وأمتعة السيدة (محبوبة)، عثروا على سجادة صلاة ونسخة من القرآن الكريم قد أخفيا داخل ثيابها، فعلم أنها أخفتهما خوفاً وهلعاً، وبعد المتابعة والتدقيق الكثير، أبدى الطب العدلي رأيه في هذه القضية وهو أن السيدة (محبوبة أفران) توفيت مسمومة على أثر تناول مواد كيميائية، وحتى الكأس الذي كان موضوعاً عند رأسها كان ملوثاً بهذه المواد الكيميائية.

يقولون: مدة من الزمن لم يُسمع أيّ خبر عن (محبوبة)، فاتصلت أختها بالشقة التي تسكنها عدة مرات، ولكن لم يرفع سماعة الهاتف أحد ويردّ عليها، فازداد قلقها، اتصلت هاتفياً بصاحب العمارة والمبنى الذي تسكن فيه أختها، فأبدى لها عدم معرفته بشيء عنها منذ مدة، وقد كانت هناك مكالمات هاتفية منظمة بين السيدة (محبوبة) وعائلتها، قلقوا جداً لهذا الأمر، فاتصلوا هاتفياً بالشرطة الفرنسية المحلية، وأخبروهم بما جرى، عندما فتحت الشرطة باب المبنى واجهت أمامها رائحة نتنة وجنازة (محبوبة).

من المحتمل قوياً أن السيدة (محبوبة) كانت ضحية مؤامرة وتصفية حسابات داخل منظمة مجاهدي خلق. ولكن من الذي ارتكب جريمة القتل هذه؟ فقد وقع لغط وكلام كثير في ذلك. قيل أن أحد أبناء

آية الله (طالقاني) قد ألقى القبض عليه بعد انتصار الثورة، فكانت له اعترافات حول هذا الموضوع^(١).

(١) قالت السيدة (جوهر الشريعة دستغيب) في مقابلة أجريت معها في خصوص الأخنتين (افراز): «أن من خصوصيات السيدة (رفعت أفراز) أكتفي بالقول: بأنها إنسانة مؤمنة، متدينة، متسعة، و متمسكة بشدة بأحكام القرآن، من عائلة متدينة، وخاصة بعد مجيئها إلى طهران، وتعرفها على محاضرات الشهيد رجائي، وخاصة في مسجد (هدايت) الذي كان السيد (الطالقاني) يؤم فيه الجماعة، فكانت دائمة الحضور، وكانت سيدة ذكية فطنة وناشطة، درست في كلية الحقوق، اشتغلت في مدرسة (رفاه)، كنا نعرفها قبل الثورة بسنوات، وعندما جاءوا من (جهرم) إلى طهران ونحن من (عبادان)، تكررت اللقاءات والزيارات، وبواسطتها، وبإصرار الشهيد رجائي وباهنر، عملت في مدرسة (رفاه). السيدة (رفعت) كانت نحيفة ضعيفة، لكن لها استيعاب فكري، إيمان، واعتقاد راسخ، يدفعها إلى التحرك والنشاط، كانت أكثر مما يتوقع، فطنة، عاقلة، وذكية، وكانت محل اعتماد وثقة الشهيد رجائي، كان لها علاقة شديدة بالقرآن، وكانت تشتغل في التفسير، وفي نهج البلاغة، كانت أمها تذكر دائماً أنها كانت تبقي الليل كله مستيقظة لا تنام، وكانت مؤثرة على المعلمين والأساتذة، وكانت تطبق دراساتها ومطالعتها عليهم، وب نظرتها الثاقبة ومعرفتها بالإسلام، عندما سمعنا أنها انتمت إلى الجماعات الماركسية، صرنا في قلق شديد؛ لأن هذا الأمر كان بعيداً كما يبدو، صرنا في حراك عندما سمعنا بهذا، [...] بعد انتصار الثورة، كانت المجموعات الماركسية تسعى وبشدة أن تنسب لها أشخاصاً ناشطين، وهكذا أصبحت ضحية لهم، وبعد أن قمت بالتحقيق، وذهب الشهيد (سليمي) لمتابعة هذا الموضوع أيضاً، ورد في كتاب [...] أن شخصاً يدعى (تراب حق شناس) كان حاضراً وقت احتضارها، قال: نطقت السيدة (رفعت) بالشهادتين، ومع معرفتنا بتاريخها، يستبعد أنها انحرفت وغيرت مواقفها، وسمعت من أشخاص كثيرين أنهم قالوا: لأنها بقيت مصرّة على مواقفها، أرسلت إلى (ظفار)، وبعد الثورة كان الشهيد (رجائي)، يدافع عنها بشدة، معتقداً بأنها مسلمة، ومصرّاً على إقامة مجلس تكريم لها، عند سماع السيد (رجائي) دفاعات المنافقين في السجن على لسان (تقي شهرام)، و [...] أعلن بجديّة وصراحة أنها ماتت مسلمة، مظلومة. أما بالنسبة لأختها السيدة (محبوبة أفراز) (فينبغي أن أقول): بأنها امرأة سليمة النفس جداً، مؤمنة، هادئة، ومطلّعة، وحازت على الرتبة العليا من الناحية العلمية، ومع أنها كانت أصغر بستين، إلا أنها

التخلف عن قافلة الثورة:

ازدادت الأخبار كازدياد عدد من صاروا يأتون من (إيران) إلى (باريس) للقاء الإمام وتحدث عن هروب أعداد كبيرة من رأسماليي و متمولي نظام الشاه وأصحاب المناصب من (إيران)، وزيادة موجة الإضرابات والقتال، واستقالة الحكومة العسكرية (لأزهاري)، وحلول دولة (بختيار) محلها، وأخيراً هروب الشاه من (إيران)، و... كلها زادت من دقات قلوبنا، وكنا ننتظر في كل لحظة الإعلان عن الهزيمة الكاملة

كانت الطالبة الأولى المتفوقة في فرعها الدراسي (جامعة الطب) في طهران، وحتى السنوات الأخيرة التي كانت تُدرّس في فرع البيئية في ثانوية (رفاه)، كنت أعلم أنها مسلمة، ومحل ثقة واعتماد مسؤولي المدرسة، معاوينها وتلامذتها، وهي سليمة من كل الجهات، ولكني الآن لا أقدر أن أقول وبكل ثقة أنها عندما أرادت أن تسافر إلى الخارج، كانت مسلمة؟ أم أنها قد غيرت من مواقفها، وكل ما أقدر أن أقول هو: أن السيد (سليمي) عندما ذهب إلى باريس لتشييع جنازتها، ألزمته أن يسأل لي عن ذلك، فإن كانت قد ماتت وهي مسلمة، فسنشترك في مراسم تغسيلها وتكفينها ودفنها، وإلا، فلا نجامل في ذلك، اتصل بي بعد ذلك هاتفياً وقال: كانت كما أنت تعتقدين، ثم بعث برسالة على أنها قد توفيت، لقد قررت السيدة محبوبة أن تعود إلى إيران، فذهبت عدة مرات إلى بيت الإمام الخميني في باريس، وقد تأثرت بذلك كثيراً، وطبعاً غيرت من مواقفها، ولا أدري أن ذلك حصل في أواخر أيام تواجدها في إيران، أم عندما ذهبت إلى الخارج، ولكن على كل حال، عادت إلى الإسلام، وأظهرت رغبتها وعنايتها بالنسبة إلى الحركة الإسلامية الشعبية وشعاراتها، وعندما عرف ماركسيو المنظمة أنها قررت العودة إلى إيران، قاموا وعن طريق زوجها بسمها». (رسالة الثورة، العدد ١٦٥، ١٩٨٦/٧/٥م، ص ٤٦ - ٤٧).

تقول السيدة (بهجت افراز) وهي رئيسة دائرة شؤون الأسرى والمفقودين لجمعية الهلال الأحمر: «اخواتي السيدة (رفعت) و(محبوبة) كن يتبعن هدفاً مقدساً وشرافاً في الكفاح والنضال، وذلك هو سقوط النظام الديكتاتوري والاستبدادي للشاه، وإقامة وتأسيس نظام إسلامي، كانت أختي (رفعت) خالصة مخلصه لله جداً، تعيش حياة بسيطة، حكيمة، ومن أهل الزهد والتهجد، استشهدت على يد العناصر الإلحادية لمنظمة المجاهدين، في ٣٠/٨/١٩٧٥م بسبب ثباتها على معتقداتها، واستشهدت أختي الأخرى (محبوبة) أيضاً في عام ١٩٧٨/١٢/٦م في باريس ظملاً».

للنظام، وكلما تمضي الساعات والدقائق يزداد أملنا أكثر فأكثر بالانتصار والعودة، ومن هنا كان أكثر الذين يقطنون في (نوفل لوشاتو) على أهبة السفر ويعدّون العدة ويحضرون مقدمات العودة إلى (إيران)، وبعد كثرة القدوم إلى هنا في الأيام الأخيرة، جاء الشهيد (عراقي)^(١)، وأتذكر أنه كان نشطاً وفعالاً، تعرّف على هذا الرجل العظيم في (نوفل لوشاتو)، وعرفت علاقة الإمام (الخميني) وحبه له كانت تعقد اجتماعات كثيرة في (نوفل لوشاتو)، يتحدث فيها الأخوة عن العودة إلى (إيران)،

(١) الشهيد الحاج مهدي عراقي، ولد في محلة (باچنار) في طهران عام ١٩٣٠م، وفي السادسة عشرة من عمره أصبح عضواً في مجلس جمعية فدائيي الإسلام، وأحد الـ ٣٥٣ شخصاً المعتصمين في سجن (قصر)، بسبب اعتقال (نواب صفوي)، شارك الشهيد عراقي وبشكل فاعل ونشط في انتفاضة (١٥ خرداد) ١٩٦٣م، وألقي عليه القبض من قبل النظام في عام ١٩٦٥م، بسبب الإعدام الثوري لرئيس الوزراء (حسن علي منصور) الذي نفذ الشهيد (محمد بخارائي)، فصدر الحكم عليه مخففاً درجة واحدة بالحبس مدى الحياة، أطلق سراحه من السجن عام ١٩٧٧م، وفي النصف الثاني من عام ١٩٧٩م التحق بالإمام الخميني وأنصاره في (نوفل لوشاتو)، وكان مرافقاً للإمام عند العودة، استلم عدة مناصب بعد انتصار الثورة، ومنها: العضوية في المجلس المركزي لحزب الجمهوري الإسلامية، إدارة سجن (قصر)، العضوية في الشورى المركزية ورئاسة الشعبة التنفيذية لمؤسسة (المستضعفين)، والإدارة المالية لصحيفة (كيهان). استشهد مع ابنه حسام على يد عصابات الغدر والجريمة من خوارج الفرقان في ٢٦/٨/١٩٧٩م. للإطلاع أكثر عن حياة هذا الشهيد، انظر:

١- خفايا الأقوال، مذكرات الشهيد الحاج مهدي العراقي، مؤسسة (رسا) للخدمات الثقافية.

٢- الشهيد مهدي العراقي، أنصار الإمام برواية مستندات ووثائق السافاك، مركز تحليل المستندات والوثائق التاريخية لوزارة الاستخبارات.

٣- مذكرات أحمد أحمد من إعداد محسن الكاظمي، مكتب أدب الثورة الإسلامية، القطاع الفني.

والكيفية والزمان والبرمجة والتخطيط للمسائل والقضايا المستجدة بعد انتصار الثورة.

قال الإمام (الخميني) في إحدى الليالي: «قولوا لكل الإخوة الذين يتواجدون في هذا المبنى أن يحضروا»... حضر الجميع في الغرفة الخاصة بمحاضرات الإمام، فألقى فيهم كلمة أعرب فيها بدايةً عن شكره لما قاموا به من خدمات، ثم قال: «أنتم في حل من بيعتي، فعودوا إلى وظائفكم من أي بلد قدمتم، وسأعود لوحدي إلى (إيران)؛ حتى لا تتضرروا لو حدثت مشكلة ما» فضج الحاضرون بالبكاء، وأخذ كل واحد يتمتم ويترنم بكلمات، وكأنما يسمعون منها: «أن لو كان لكل رجل من ألف روح لفدينك بأنفسنا، وضحيناً من أجلك، ومن أجل آمال وتطلعات الثورة»، تذكرت عندها الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، ومظلوميته في ليلة عاشوراء، حيث بقي أصحاب الإمام الحسين الخُلص الأوفياء معه، وضحووا من أجله، وأما من جاء للدنيا، فاختر الفِرار على القرار، من كان في (نوفل لوشاتو) من خلص وخواص الأصحاب، وقد اختاروا البقاء مع الإمام، وعادوا بمعيته إلى (إيران) عدا شخص واحد.

عندما علم (بختيار) أن الإمام قرر العودة أخذ يختلق بعض المشاكل والمسائل ليصرف الإمام عن عزمته لكنه عندما رأى، إصرار الإمام على ذلك، بدأ حملته الشرسة بالوعيد والتهديد، وقال أنه سيعتقل الإمام فور وصوله إلى المطار، ثم قام بعد ذلك بإغلاق المطار، وأخيراً وبعد اشتداد وتزايد حدة الضغوط الشعبية والمطالبات الجماهيرية ضد النظام المتهاوي - الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة - لم يقدر (بختيار) أن

١٨٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

يفعل شيئاً، فاضطر إلى التراجع في كل يوم خطوة، وأخيراً نفخ في الصور أن إرحل.

قبل أسبوع تقريباً من اليوم التاريخي لعودة الإمام إلى (إيران)، أعلن عن غلق (بختيار) للمطار، فتجمّع مراسلو وكالات الأنباء والصحفيون في الصباح الباكر في الشارع المقابل لبيت الإمام، ليتعرفوا على رأيه في العودة بعد إغلاق المطار، فحضر الإمام وتحدث مع المراسلين ووكالات الأنباء العالمية، وأجاب عن أسئلتهم، كان مشهداً عجبياً، قال الإمام بصلاية وعزم: «سأذهب إلى (إيران) في الأسبوع القادم، وإن أغلقت كل المطارات بوجهي»، وفي الأثناء – عندما كان الإمام يتكلم مع المراسلين – شاهدتُ أحد المراسلين يتسلق الحائط بطريقة مشكوكة، فهرولت نحوه وأنزلته إلى الأرض، وفجأة شعرت بألم شديد في القفص الصدري، ومن ثم أصيب طرف من جسمي بالخدر والشلل، عندما عرف الإخوة بذلك نقلوني إلى المستشفى فوراً.

رقدت في المستشفى عدة أيام، وعندما خرجت من قسم العناية المركزة، سمعت أن الإمام وعدد من مرافقيه وأنصاره قد عقدوا العزم في هذا اليوم أو غداً على السفر إلى (إيران)، وكنت واثقة تماماً من أن صحتي لو تحسنت فسأسافر معهم، إلا أن المرض أقلقني بشدة، زارني الحاج السيد أحمد الخميني في المستشفى، وقال: «أمرني الإمام أن آتي لزيارتك، وإخراجك من المستشفى، فقد تقرر السفر إما الليلة أو غداً صباحاً والعودة إلى إيران.

ولكن الآن، ومع الأسف قال لي الأطباء أن صحتك العامة لا تسمح لك بصعود الطائرة، ولن يسمحوا لك بالسفر».

عندما سمعت ما قاله السيد (أحمد)، تألمت كثيراً، إذ يصعب عليّ تحمل هذا الفراق والتخلف عن القافلة.

أخذت أتنهد بالبكاء والعويل من دون اختيار، فجرت الدموع من عيني السيد (أحمد) رقةً لبكائي، ووعدني أن يستشير الإمام مرةً أخرى ليرى ماذا يقول؟ لكن الإمام قال: «بما أن الطبيب هو الذي شخّص ذلك، فطاعته واجبة»، فيجب عليّ أن أبقى وأتحمل وأصبر.

في ذلك اليوم الذي وصل فيه الإمام إلى (طهران)، دخل عليّ الطبيب عصراً، وأراد أن يشغلّ جهاز التلفاز، فقلت له: «لا رغبة لي في مشاهدة برامجكم التلفزيونية، أرجوك أن لا تشغلّ التلفاز»، فتبسم وقال لي: «أريد أن أريك فيلم آية الله (الخميني)»، عندما رأيت لقطات مغادرته (باريس) إلى حين وصوله (طهران)، والاستقبال الحاشد والمهيّب للشعب الإيراني لقائده ومقتداه، تأثرت لذلك، واشتدّ حنقي وغيظي، وأخذت أجهش بالبكاء تدمراً، أن لماذا تخلفت عن قافلة النور؟ ولماذا لم تغمرني السعادة لأرافق قافلة الإمام؟ وتأخرت عن طيران الثورة؟ عندما شاهد الطبيب شدة بكائي، ندم على عمله، وقال: «لو كنت أعلم أنك تتألمين بهذا الشكل، أنك ستجهشين بالبكاء، ما شغلّ جهاز التلفاز».

رُخصتُ بعد عشرة أيام من المستشفى، ولكن حذرني الأطباء من القيام بأعمال صعبة وشاقّة، لقد بقي في باريس بعض الأخوة، من جملتهم: (فرهاد) و(حسن) وشخص ثالث له اسم مستعار يدعى (جعفر)، ليرتبوا الأمور المتبقية، فقاموا بتخلية البيت المقابل لبيت الإمام (البيت رقم ٢) وذهبوا إلى البيت رقم (٣) الواقع في (باريس)، فالتحقتُ بهم.

في أول فرصة اتّصلتُ بمحل إقامة الإمام في مدرسة (رفاه)، وطلبت من الشهيد (عراقي) أن يطلب الإذن لي من الإمام بالعودة إلى (إيران)، لكن الإمام قال: «ابقِ هناك، بحيث لو لم نوفق، أو لاقينا مشاكل، على الأقل تكون لنا هناك قناة تبليغية وقاعدة لإيصال صوتنا». كنت أنتظر صابرة محتسبة الإذن والسماح لي بالعودة إلى (طهران)، فمع أنني على فراش المرض، وكنت أقضي فترة نقاهتي، ولكنني كنت أتابع وباستمرار أخبار إذاعة (مونتيكارلو الفرنسية) باللغة العربية والأخبار باللغة الفارسية من راديو (إيران)، فكانت الأخبار تتلو الأخبار وفي كل يوم، تشتد غلياناً وهيجاناً، وكان سماعها يضاعف فينا إحساساً وأملاً بالتواجد إلى جانب الإمام والشعب في هذه الأيام الملتهبة.

كنت في ٢٢ من بهمن (يوم الانتصار) في الطابق الثاني من المبنى، عندما شغلتُ المذياع، وإذا بي أسمع هتافات التكبير ورفع الشعارات: (الله أكبر خميني رهبر - الزعيم)، تعجبت، وتصورت في البداية أن موجة المذياع قد أصابتها يد العبث، فدعوت الدكتور (فرهادي) أو الأخ (فرهاد) وسألته: هل غيّرت موجة المذياع؟ قال: «لا» أصغيت ثانية فسمعت قائلاً يقول: «هنا إيران» (صوت الثورة الإيرانية) أو (صوت الشعب الإيراني) ومن ثم بُثَّ نشيد (انتصار إيران)، الله يعلم أي صرخة علت من أعماقي وروحي وكلّ جوارحي، فتصور الإخوة أن حادثة قد وقعت لي، صعدوا مهرولين وبعجلة إلى الطابق العلوي من المبنى، فرأوني وأنا مدهوشة مخطوفة اللون، فنقلت لهم ما سمعته من المذياع بأنفاس متقطعة، وأنا لا أتمالك نفسي من العويل والبكاء، وإهراق الدموع، وكانوا هم أيضاً في غاية السرور والفرح وفي نفس الوقت البكاء.

في هذه المدة التي كنا نحن ثلاث أو أربعة أشخاص في (باريس)، كنا دائمى التواصل مع مدرسة (رفاه) ونسمع منهم آخر الأخبار والأحداث المتتالية، ونبلّغها إلى وسائل الإعلام ووكالات الأنباء الأجنبية.

أنا راح على إيران:

في ليلة الانتصار تلك، ناداني أحد الإخوة: الأخت (طاهرة)، تعالىّ رجاءً وتكلمي بالهاتف، شخص يتكلم باللغة العربية، ونحن لا نفهم ما يقول. تعالىّ وانظري. ذهبت وأخذت سماعة الهاتف، كان رجل يتكلم باللغة العربية، قال: إن أبا عمار ياسر عرفات يريد أن يتكلم معك، بعد لحظات أخذ (عرفات) سماعة الهاتف، وبعد التحية والسلام، قال ومن دون مقدمة: «إنه يريد التوجه إلى (إيران)» وأخذ يتوسل ويقول: «يا أختي، أنا مضطر، أنا راح على إيران». وكنت كلما أوضحت له أنه لا يمكن ذلك في هذه الظروف، المطارات مغلقة، وهناك خطر، لم يكن يصغي لهذه النصائح، وأصرّ عليّ أن آخذ له الرخصة بالذهاب إلى (إيران)، لم تكن هناك فائدة من كلامي، فطلبت منه آخر الأمر أن يقطع الاتصال، لأتصل أنا بإيران، وأستفسر حول الموضوع، قبل ذلك، فاتصلت بصعوبة بمدرسة (رفاه) وقلت: إن ياسر عرفات مُصرٌّ على المجيء إلى إيران، مع إنني أخبرته أن المطارات مغلقة، لكنه لا يصغي إلى كلامي، وسيهلك نفسه بكثرة التوسل»، فقال لي الإخوة: سننقل ذلك إلى الإمام، وسنخبرك بالنتيجة، بعد ساعة كاملة اتصلوا بي وقالوا: «إن الإمام قال: لن يسمح لأي طائرة أن تدخل أجواء (طهران)، فالمطار مغلق أمام الجميع»، بعد هذا الاتصال، اتصلنا نحن بمكتب (ياسر عرفات)، ونقلنا له وجهة نظر الإمام، فقال عرفات: «أنا لا أبالي لهذا

١٨٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الكلام، أنا أريد الذهاب إلى (إيران)، أنا أريد أن أكون أول من يهنئ الإمام بالانتصار، و...» تكلم كثيراً وأطال الكلام، فاضطرت أن أتصل مرة أخرى بطهران، فقلت هذه المرة: «إنه - يعني ياسر عرفات - لا يتنازل، لقد سبب لنا إزعاجاً، وهذا هو هدفه من المجيء إلى إيران»، قالوا لي: «اتصلي به وأخبريه أن يتصل غداً ليسمع الجواب النهائي»، فاتصلنا بمكتبه وأخبرناهم بذلك.

في حدود الساعة الرابعة صباحاً، رن جرس الهاتف، فقال لي الإخوة من (طهران): «قولي (لعرفات) إن استطاع فليأت عن طريق البرّ عبر (العراق) ومن ثم (خرمشهر)، اتصل (ياسر عرفات) مرة أخرى فنقلت له نفس الكلمات التي أبلغت بها، ففرح كثيراً وشكرني.

قدّم (ياسر عرفات) أخيراً إلى (إيران)، وكان في عداد السباقين وأوائل الذين باركوا وهنّؤوا بالثورة الإيرانية^(١). وعلمت بعد ذلك أن السيد (جلال الدين الفارسي) كان قد رافقه في هذه الرحلة، فجاء إلى (إيران)، ومن ثم ذهب إلى زيارة الإمام، و...

لا يزال قادماً أيضاً:

كان يسكن عدد كبير في بيت الإمام والبيت الذي يقابله في (نوفل لوشاتو)، فينبغي تهيئة الطعام والأكل والشرب لهم من خلال برنامج يومي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت الاستفادة من المحصولات

(١) توجه (ياسر عرفات) يرافقه ٥٨ شخصاً من الشخصيات السياسية اتجهوا بطائرة

خاصة أقلعت من مطار بيروت إلى إيران في ١٧ / ٢ / ١٩٧٩م، فوصلوا في الساعة ٥ مساءً إلى مطار (مهر آباد) الدولي في طهران. (الصحف).

الغذائية الفرنسية تشكّل عائقاً ومشكلة لنا من الناحية الشرعية، حيث توجد بعض المحرمات، ولرفع هذه المشكلة، كان علينا أن نطبخ بأنفسنا، أو نوظف طبّاخين.

استخدمنا رجلاً مسنّاً للطبخ له من العمر ٥٧ سنة، كان قد فرّ من إيران، وهو مطارد، وكان يقول: إنه ضائع وبلا ملجأ في ألمانيا، لكنني لم أعرف أن كلامه صحيح أم لا؟ كان يدعي أنه طبّاخ ماهر؟ فأحضروا له بعض الأغراض والاحتياجات المحدودة، وبدأ بطهو الطعام جيداً أو رديئاً، ليكون الآخرون قادرين على متابعة أعمالهم الأهم^(١).

مضافاً إلى أننا هيّأنا الطباخ، كنا بحاجة إلى وسائل نقلية للحركة، فهيّأنا حافلة صغيرة تتردد على باريس عدة مرات في اليوم^(٢).

بعد عودة الإمام وأنصاره إلى (إيران)، كان الرجل الطباخ من بين هؤلاء الذين ساعدونا، وعندما تقرر أن نجمع نحن أيضاً أثاثنا، ونعود إلى (إيران)، أخرجنا كراسي الحافلة، ووضعنا في داخلها أغراض وأمتعة، وأثاث، «أطباق وأواني، أكياس نوم، أجهزة هواتف وآلة طباعة، ومستندات مصورة، وأجهزة تسجيل»، وأودعناها عند الطباخ، بالإضافة

(١) عرف هذا الطباخ باسم (الحاج ناصر).

(٢) «كان هناك باص واحد وأربع حافلات لنقل الركاب تبدأ عملها من الساعة ٨ صباحاً وحتى ٥ مساءً، فتنتقل الركاب من المقار الثلاثة بشكل منظم، أجرة وسائل النقل هذه ٣ فرانكات لكل راكب يحب أن يدفع الأجرة، أما سائق الباص فهو سجين سياسي قديم يدعى (السيد عبد الله)، وسائقو الحافلات كانوا ثلاثة إيرانيين، أحدهم طبيب جراح، والاثنان الآخران هما طالبان جامعيان». «تقرير رسول صدر العاملي، من إقامة الإمام في فرنسا إلى طهران — صحيفة (اطلاعات)، العدد ١٤١٥٧٧٥، ١٩٧٨م».

١٨٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

إلى ذلك أعطيناه مبلغ ٤٠٠٠ فرانك للبنزين والتكاليف المحتملة للطريق والسيارة، كان من المقرر أن يأتي إلى (إيران) عبر البر، قال لنا الطباخ: «إنه سيذهب إلى ألمانيا لأخذ أغراضه وأثاثه ومن ثم يتجه نحو (إيران)، لكنه خاننا مع الأسف، وصار كمن ابتلعتة الأرض، أخذنا بعد ذلك نفتش عنه في كل مكان، سألنا عن اسمه وصفته، وأخبرنا أصدقاءنا في ألمانيا، فلم يعثر عليه أحد. ومن المسلم به أنه لو حصل له حادث، فإن صورته ستنشر في الصحف أو غيرها، وسنعرف نحن ذلك.

لكنه ذهب ليعود ثانياً، وهو لا يزال لحد الآن قادم، ولم يعد.

العودة إلى الوطن:

بعد التحضيرات والإعداد للسفر والتسهيلات المقدمة، وبعد أن حصلت الموافقة بالسفر إلى (إيران)، ولعله كان ذلك ١٩٧٩/٣/٧م، جمعنا فيه أثاثنا وشددنا أغراضنا وحقائب سفرنا وعدنا على متن طائرة (شركة الخطوط الفرنسية) إلى (إيران).

كانت تلك اللحظات، هي عد معكوس لا يمكن أن يسجل ويكتب، وكما يقول العامة: «لم يكن القلب في محله»، كان للغاية مثيراً للاهتمام إننا نعود إلى (إيران) في وقت أزيحت منه مظاهر الظلم والجور والاستبداد، يعني ذلك الشيء الذي هاجرنا إلى الخارج بسببه، وعشنا الغربة لسنوات طويلة بعيداً عن الأهل والأحبة والوطن، انتابنا فرح وسرور وغبطة لا توصف، نوع من الشعور بالكرامة والعزة والرفعة، وكان يرافق هذا الشعور حماس وهيجان طبعاً مع حالة من القلق والتشويش والاضطراب، أما القلق والاضطراب فهو بسبب المتأمرين

وثقل المسؤوليات الملقاة على عاتقنا فيما يخص مستقبل بلادنا.

كان التصور أننا نضع أقدامنا على أعتاب أرض كانت قد خيِّمت عليها ظلمة وظلام السافاك ورجال الأمن، وصارت الآن خالية من ذلك الجلال، وبالإمكان تنفس نسيم الحرية الباعث على السرور.

عندما دخلنا بحقائبنا في مطار (مهرآباد) الدولي، لم أكن أصدق أبداً ما أراه، كانت صالات المطار مملوءة بالناس، رجال ونساء لا تعد ولا تحصى، نساء محجبات، إنها ليست تلك الأجواء التي غادرت فيها إيران عام ١٩٧٥م. الوجوه بشوشة فرحة مرحة، غارقة في البهجة والسرور، الكل يبحث عن ضالته ومهاجره الذي عاد إلى الوطن، ولعل هذه الرحلة هي أول رحلة جوية بطائرة فرنسية بعد انتصار الثورة، وهي تحمل على جناحيها أنصاراً أوفياء عاشوا في المنفى لسنوات متمادية هرباً من مخالب الجلال، بعيداً عن الأهل والعيال والوطن؛ لهذا السبب اجتمع كل هؤلاء المستقبلين وقدموا للترحيب بنا في المطار، وكان من يقف أمامي، منهم من يعرفني، ومنهم من سمع باسمي فقط.

الأجمل من ذلك كله، لقائي بأحفادي، كانت دموع أسرتي وأقاربي تتقاطر شوقاً لرؤيتي، يعجز البيان والبنان عن وصف ذلك المشهد الرائع الجميل، فكانت الدموع هي التي تنطق وتتكلم.

لم أكن أصدق أنني وبعد مرور ثلاث سنوات وسبعة أشهر أضع أقدامي على أعتاب وطني الحبيب (إيران) وأرضه الطاهرة المقدسة، وتشع عيني مرة أخرى برؤية أبنائي.

عندما أخذت أجوب شوارع (طهران)، كنت أشاهد آفاقاً وأجواء لا تصدق، كانت شعلة الثورة والحماس تتفجر من كل مكان هنا، كنت

١٨٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أتصور من قبل أن العاصمة (طهران) قد أصبحت بأكملها محاطة بالمدافع والدبابات وتتزين بحلقة الحرب، لكنني الآن أرى منظراً آخر، فقد عمّ الفرح والسرور والبهجة في كل مكان، وعلى رأس البنادق والأسلحة الزهور والورود.

تعجبت من الجهد والسعي المبذول لتحسين أوضاع المجتمع والمدينة والمدرسة، وما فيها من رفاه، كان النظم في كل مكان، أما النظم العسكري فقد كان ساخناً ومليئاً بالحرارة، لم أر ظواهر شاذة تُفّر الطبع، فالكل عارفون أن الأطلال التي خلفها الشاه (محمد رضا) ينبغي إعادة بنائها مرة أخرى بقبضات أيّة قوية ومتوحدة.

إن ما أتذكره من الساعات الأولى لدخولي (إيران) - ولا يمكن أن أنساه أو يمحي من ذاكرتي - هو تعامل أحفادي الذين ولدوا أثناء غيابي، حيث كان الأمر المثير للاهتمام أن لهم (جدة) لم يكونوا قد رأوها من قبل، كانوا فرحين مسرورين جداً، يطوفون حولي كالفراشة.

قضيت الأيام الأولى من دخولي إلى إيران في محاصرة أولادي وأحفادي.

الفصل الثالث

الأمواج

المهمة الأولى:

بعد أسبوع من مجيئي إلى إيران، قررت أن أعود إلى ساحة العمل والسعي والبناء، وأن أنهض بكل عزيمة ونشاط لتقوية أركان الثورة.

مع تشكيل لجان الثورة الإسلامية التحقت بها، وانضمت إلى بعض الإخوة الثوار لإعادة الهدوء والاستقرار إلى المجتمع ومواجهة المؤامرات وتحديدًا مراكز التهديد والخطر.

قصر الشباب (مؤسسة الكشافة للشباب)^(١)، وهو مكان لتربية وتعليم الشباب بحسب الظاهر، إلا أنه في الواقع تأسس لتخريبهم وإفسادهم، وحالياً تحت تصرف مجموعة من عناصر منظمة مجاهدي خلق، الذين نهبوا كل أموال تلك المؤسسة ومحتوياتها، كُلفت من قبل (لجان الثورة الإسلامية) مع فريق من ١٢ عضواً من الشباب الثوار

(١) تقع هذه المؤسسة في حوالي طهران - بارس، وتحولت بعد الثورة الإسلامية إلى

معسكر تحت تصرف قوات الحرس الثوري ومن ثم تم تشييد جامعة الإمام الحسين هناك.

١٩٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

المسلمين أن نسيطر على المقر وأن نقوم بتطهيره من تلك العناصر وحماية ما بقي فيه من أموال.

قبل أن يقع هذا المكان بيد شباب منظمة خلق أصبح هذا (المقر) معسكراً، وتم تجهيزه للقيام بانقلاب عسكري، وبعد أن انكشفت هذه المؤامرة تركوا الدبابات والمدافع والأسلحة والعتاد والذخيرة وفرّوا من هناك^(١). في هذه المدة أيضاً نهب بعض الانتهازيين وأعضاء مجاهدي خلق قسماً من الأموال والتجهيزات.

منذ دخولنا هذا المعسكر في اليوم الأول، شاهدنا كل هذه الأجهزة والمعدات العسكرية الخفيفة والثقيلة، واكتشفنا أن هناك مؤامرة مدبرة قد أحبطت، ومع هذا كان وجود مثل هذه المعدات والأسلحة والتجهيزات العسكرية واللوجستية هناك يشكل خطراً كبيراً، ولو وقعت في قبضة جماعات مناهضة، لأحدثت بالثورة أضراراً جسيمة.

(١) طبقاً لما أفاده قائد اللواء (فضل الله ناظمي) قائد معسكر (اللواء الحديدي) ونشر في صحيفة اطلاعات في ١٧/٢/١٩٧٩م، اتخذوا قراراً بالقيام بانقلاب عسكري في الساعة ١٢ ليلاً، يبدأ هذا الانقلاب العسكري بتحريك الدبابات من ثلاث جهات باتجاه معسكر القوة الجوية الواقع على طريق (طهران نو)، يبدأ قسم من هذه القطعات والدبابات بالتحرك من معسكر (لويزان)، والقسم الآخر من (طهران بارس)، أما القسم الثالث فيتحرك من معسكر (اللواء الحديدي) باتجاه معسكر (فرح آباد). تحدث العقيد الكولونيل (كريمي) معاون معسكر (اللواء الحديدي) قائلاً: (تقرر في ليلة تنفيذ الانقلاب العسكري أن تتحرك القطعات والدبابات في الساعة ١٢ باتجاه (فرح آباد) إلا إن هذه الدبابات بدأت تحركها في الساعة ٩ صباحاً، فخرجت من المعسكر، وفي حوالي ميدان (وثوق) أعلننا أننا اصطدمنا بأحد المتاريس ولا نقدر أن نتقدم نحو الأمام، فاضطررنا إلى العودة إلى المعسكر، أما منتسبي المعسكر فإنهم منحوا رخصة في اليوم الماضي بتوصية من قيادة المعسكر للذهاب إلى بيوتهم.

وقع نظري هناك على شاب حَدَّثُ له من العمر ١٣ عاماً، كان يحمل على كتفه بندقية، وهو واقف على باب المعسكر ليحرسه، كان شكله أن لو كان أحد ينظر إلى هناك من الخارج، يفترض أن المعسكر فاعل ونشط، وفيه عدد كبير من منتسبيه، ولعله يعتقد أن هذا الحَدَثُ المراهق ليس لوحده هنا، كانت البندقية التي يحملها على كتفه تصل إلى أخمص قدميه، كان صغيراً في السنّ ونحيفاً جداً، عندما شاهدته وحيداً منفرداً سألته: «ما اسمك؟» قال: «عروج»، سألته: «ولماذا لوحذك؟» فقال: «لقد انهزم الجميع»، وذهبت أنا واختبأت في الحمام، هؤلاء (الفصائل) اعتقدوا أنني سأهرب معهم، لكنني بقيت هنا لكي لا أدع أحداً من الناس يذهب ويسلب، أو أن يقع المعسكر في قبضة المعارضين للنظام. أثرت فينا نفسية هذا الصبي الحَدَثُ كثيراً، وأعجبت به لشجاعته، وقد انتمى إلى الحرس الثوري بعد تشكيله، فكان فتىً مجهولاً يحمل روحاً سامية عالية، وبعدها لم أعرف عنه شيئاً.

بعد الحضور والتواجد في المعسكر، تم تحديد وظيفة لكل شخص، كان حال المعسكر متشرذماً وغير منظم، الصنابير والحنفيات وحتى أنابيب الماء قد انتزعت من مكانها، وأخذوها معهم، ولهذا السبب كان الماء يتقاطر من أعلى وينبع من أسفله، أما الغرف فكل الثياب والألبسة والبطانيات فيها متعفنة، وكل مكان مبلل ووحل، كان عددنا قليلاً جداً لا يكفي لتطهير وتنظيف هذا المكان، لذلك استعنا بعدد من السيدات اللواتي يقطن في شارع (نيروي هوائي) و(نارمك) تطوعن فجئنا بهنّ إلى هناك، فبدأن عملهن بإخلاص تام، وسلّمونا بعد ذلك مقرأً منظماً وجاهزاً، جمعت هذه الأخوات حتى الأسلحة والرصاص

١٩٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الذي تعرض إلى الصدا، وقمن بتنظيف ما كان منه قابلاً للتنظيف، وعملن على صقلها من جديد.

كنتُ في إحدى الليالي أتجول بالسيارة من خلال المهمة التي أقوم بها مع أحد الإخوة في أطراف المعسكر، فوق الضوء الأمامي للسيارة بصورة غير مقصودة على مرتفع من الرمل والحصى إلى جانب سور المعسكر، فشاهدت شيئاً مختبئاً، أحسست أن هناك من يتحرك، ذكرتُ ذلك للأخ الجالس إلى جنبي، ومن ثم توقفنا لنرى ما الموضوع؟ نزلنا من السيارة، وإذا بنيران ورصاص أسلحة تطلق نحونا، اختبأنا بسرعة، انقطع إطلاق الرصاص لحظة، فسمعنا أصوات أقدام عدة أشخاص يهرولون، وكأنما اعتقد هؤلاء أن عددنا هو أكثر من اثنين.

في الليلة الثانية جئت بأربع وعشرين سيدة لتنظيف المكان الذي تبادلنا فيه إطلاق النار، فعثرنا فيه على ثمانية مسدسات ورشاشات من نوع (جي ٣)، فعلمنا أن ما يقوم به هؤلاء كل ليلة، هو إخراج عدد لا بأس به من الأسلحة والعتاد من هنا.

بعد هذه الحادثة، طلبنا من الإخوة والأخوات أن يكونوا في غاية اليقظة والحذر، ويضاعفوا من مراقبتهم ورصدهم، وبهذه التدابير كنا نريد منع المتسللين من إخراج الأسلحة والعتاد، ونقف بوجههم متحدثين لهم، وعرفنا بعد ذلك أن هذه التحركات المشبوهة الليلية وسرقة العتاد كانت تدبر من قبل المنافقين عن سابق إرادة وتصميم وتخطيط.

لم يكن الوضع جيداً، يأتي الأخوة في صباح كل يوم ويقدموا تقريراً: بأن باب مخزن الأسلحة بالأمس إما بقي مفتوحاً أو أنه فُتح؟ لم يكن استبدال الأقفال والمفاتيح والرقابة مفيداً ونافعاً، إلى أن شككنا في

الفصل الثالث: الأمواج..... ١٩٣

أمانة فريقنا، فأعطينا أوامر إلى فريقنا أن لا يسمح لأي أحد أن يقترب من مخازن الأسلحة.

في هذه المدة (الخمسة أشهر)، لم أذهب إلى البيت أبداً، بل يأتي أحياناً أولادي لزيارتي.

إيجاد حرس غرب البلاد:

في الأيام الأولى للثورة الإسلامية لم تتم تصفية المعارضين للثورة من قوات الجيش، بل حتى بعض الجماعات والأحزاب المعارضة لنظام الشاه وقفت بوجه الثورة الإسلامية وأفكارها أيضاً، ولهذا كان من المحتمل أن يعلو ناقوس الخطر في كل لحظة وتحاك المؤامرات، ولذا يتوجب علينا إيجاد منظمات تحافظ على الثورة وصيانة منجزاتها، ومن هنا جاءت فكرة تأسيس حرس الثورة الإسلامية، وقد تم عقد اجتماعات تشاورية عديدة بهذا الشأن، وكان يشارك فيها مجموعة من الناشطين السياسيين المعروفين، كالشهيد (محمد منتظري)، (جواد منصوري)، (السيد عباس زماني) المعروف بأبي شريف، (دانش منفرد)، (محسن رفيق دوست)، و(عباس دوزدوزاني)، وهناك أشخاص كانوا يعارضون هذا التوجه - وكان هؤلاء يقومون ببعض الأعمال لجعل اعتراضاتهم بشكل عملي، ونظراً لأن زملائي الثوار يعلمون بأني عندما كنت خارج البلاد، تعلمتُ الفنون العسكرية والقتالية، فقد دعوني للحضور والمشاركة في بعض اجتماعاتهم وجلساتهم العسكرية، وهي اجتماعات لها ثقل وأهمية للغاية، تتضمن بحوثاً معقدة، قد تستغرق وقتاً طويلاً أحياناً يمتد إلى منتصف الليل.

تم إيجاد مجلس لتأسيس حرس الثورة، وكان أغلب أعضائه من الإخوة الذين ذكرت أسماءهم سابقاً. وأخيراً تم تشكيل الحرس الثوري الإسلامي في عام ١٩٧٩م بعد اجتماعات ولقاءات وندوات مكثفة استغرقت ساعات عديدة، فوضع النظام الداخلي بشكل مختصر، وتصدى كل واحد من الإخوة حسب اختصاصه لمسؤولية ووظيفة، واختير السيد (جواد منصورى)^(١)، أول قائد للحرس الثوري، وبعد مدة صدر أمر بأن أتعاون مع السيد (لاهورتي) ممثل الإمام في الحرس الثوري، والمرحوم (سموات) والسيد (محمد زاده) بتأسيس الحرس الثوري غرب البلاد. بعد استلام هذا المرسوم تحركنا نحن الأربعة باتجاه

(١) (جواد منصورى) ابن السيد (ما شاء الله)، ولد في كاشان عام ١٩٤٥م، أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة (أنوشيروان) في طهران، والثانوية في مدرسة (العلوي) وفي سجن (قصر)، ألقى عليه القبض بسبب أنشطته السياسية وعضويته في حزب (الشعوب الإسلامية) عام ١٩٦٥م، أطلق سراحه عام ١٩٦٩م، نال العضوية في الوحدة المركزية لحزب الله عام ١٩٧٠م، دخل في جامعة طهران في هذه السنة، فحصل على الليسانس في فرع العلوم الاقتصادية، استقال منصورى عن منصبه في حزب الله الذي أدمج في منظمة مجاهدي خلق في النصف الثاني من عام ١٩٧٢م، ألقى رجال الأمن (السافاك) عليه القبض مرة أخرى في عام ١٩٧٣م، وأخذوا يعذبونه بشدة، ومن خلال مرحلة الاعتقال تلك، تم نقله إلى سجون كرمانشاه ومشهد أيضاً، وأخيراً تم إطلاق سراحه من مدينة مشهد عام ١٩٧٩م. تصدى (منصورى) لعدة مسؤوليات ووظائف بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، مثل: قائد للحرس الثوري، المعاونة الثقافية في وزارة الخارجية، سفير إيران في باكستان، المعاونة الثقافية للجامعة الإسلامية الحرة، و... ويشغل حالياً منصب المستشار في قسم البحوث والدراسات في وزارة الخارجية، ومعاون في قسم البحوث والدراسات الثقافية والفكر الإسلامي، وعضو هيئة الإشراف والمراقبة في المجلس الأعلى للثورة الثقافية، له عدة مؤلفات مثل: الاستقلال، الثقافة والتنمية، انتفاضة (١٥ خرداد) عام ١٩٦٣م، السير التكويني للثورة الإسلامية، التربية والتعليم السياسي، وعشرات المقالات العلمية والتحقيقية، للإطلاع أكثر: انظر مذكرات جواد المنصورى، طهران، مكتب أدب الثورة الإسلامية.

(كرمانشاه)، فحجز السيد (لاهوري) لنا مكاناً في مضيف إدارة المحافظة، وبدأنا من هناك التخطيط والعمل وتنفيذ مقدمات مهمتنا.

كان لزاماً علينا أن ننتخب خمسة أشخاص لإدارة الحرس الثوري؛ نظراً للأوضاع والظروف السياسية هناك، استفدنا في عملنا - والذي جرى بطريقة سرية - من عدة مصادر مثل: أئمة الجمعة والجماعة، مسؤولي لجان الثورة أو من نعرفهم، أو من يعرفهم لنا الإخوة الثقة، ومن يتم انتخابهم من الإخوة عليهم أن يشاركوا في الجلسات العقائدية والأيدولوجية، وبعد تأييدنا وموافقتنا نحن الأربعة، يتم تعيينهم كأعضاء في المجلس المركزي للحرس الثوري في المنطقة المقصودة.

انتخبنا في (باوة) أحد الأخوة من طهران بعنوان (قائد)، وضع هو الخطة لاختيار مجموعته، وقد تكرر ذلك في (إيلام)، وبعد استقرار الحرس الثوري في عدة مناطق ومدن، كان علينا أن نتخذ قرارات حاسمة وجادة بالنسبة (لهمدان)، إذ إن الحرس الثوري في (همدان) يشكل تقريباً العصب الرئيسي في غرب (إيران)، ويتبع له سائر فروع الحرس في مدن المحافظات الأخرى ككردستان وإيلام وكرمانشاه، وهنا قدم آية الله (مدني)^(١)، اقتراحاً فقال: «تصدي أنت لمسؤولية الحرس

(١) ولد الشهيد السيد (أسد الله مدني) في (آذر شهر) من توابع (آذربايجان) عام ١٩١٤م، في أسرة من علماء الدين، توفيت أمه وله من العمر أربعة عشر عاماً، وتوفي أبوه بعد عامين من ذلك، درس السطوح والمقدمات في الحوزة العلمية في قم المقدسة، وتلمذ أربع سنوات على يد الإمام الخميني، فدرس الفلسفة والعرفان، والأخلاق، هاجر إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته في المراتب الحوزوية العليا، فنال درجة الاجتهاد من كبار مراجع التقليد مثل: آية الله (الحكيم) في النجف، وآية الله (حجت كوه كمرى)، وآية الله (الخوانساري)، وكان على علاقة وارتباط بآية الله الكاشاني.

١٩٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الثوري هنا - يعني همدان - ثم نرى ماذا يكون بعد ذلك» وقد وافق السيد (منصوري) على هذا المقترح، واستلمت تلك المسؤولية الثقيلة جداً.

بعد التصدي لمسؤولية قيادة الحرس الثوري في (همدان)، عقدنا اجتماعات كثيرة ومكثفة، وشرعنا في البرمجة والتخطيط، وبالتشاور الكثير استقطبنا (ما يقارب ٧٠ شخصاً)، وسلّمنا كل واحدة منهم مسؤولية، كان هؤلاء الأخوة الذين تم اختيارهم من (همدان) تتمثل فيهم الصفات الحميدة وهم من المجاهدين الثوريين المتحمسين النشطين المسلمين، قدّموا كل ما لديهم على طبق الإخلاص والتضحية، فجاءوا لدعم ومساندة الثورة.

أذكر أن شخصاً يدعى سماوات انتهى إلى الحرس الثوري في

قام بتعطيل دروسه في النجف دعماً لانتفاضة (١٥ خرداد) ١٣٦٣/٥ م، وبدأ محاضراته ضد نظام (الشاه)، وقد كان له دور في إنتشار الرسالة التي أرسلها آية الله الحكيم بما يخص الثورة. بدأ آية الله (مدني) حركته الدعوية والتبليغية بدءاً من (همدان) ومن قرية (دره مراد بيك) على وجه الخصوص. سافر إلى إيران كثيراً للقيام بنشاطه الدعوي والتبليغي في فترة إقامته في النجف الأشرف، عاد إلى إيران عام ١٩٧٠م وهو يحمل فكرة الكفاح والنضال وذخائر العلم والمعرفة والعرفان، سافر إلى (خرم آباد) بدعوة قدمها له علماء ورجال الدين لتدريس العلوم الدينية، وتصدى لإدارة الحوزة العلمية (كمالوند) بأمر من الإمام الخميني، ألقى عليه القبض في عام ١٩٧٥م من قبل السافاك بسبب أنشطته السياسية، وبقي يعيش في المنفى في كل من: (ممسنی)، (گنبد کاووس)، (بندر کنگان) و(مهاباد) إلى زمن انتصار الثورة الإسلامية، عاد آية الله مدني إلى همدان بدعوة من أهاليها بعد انتصار الثورة الإسلامية، واختير ممثلاً في مجلس خبراء القيادة، وبعد استشهاد آية الله قاضي الطباطبائي، انتخب ممثلاً للولي الفقيه وإمام جمعة تبريز، وأخيراً استشهد هو أيضاً على أيدي المنافقين في محراب الجمعة في هذه المدينة (تبريز) في ١١ / ٩ / ١٩٨١م.

الفصل الثالث: الأمواج..... ١٩٧

الأيام الأولى، وكان يعمل نجاراً في السوق، أوكل عمله إلى مساعديه، وانتسب للحرس الثوري بكل وجوده، وإلى حين استشهاده لم يتقاض أي راتب.

عينّا عدة أشخاص للقيام بعمليات، تحقيقات، وشؤون إدارية ومؤسسية، و... لعل البعض منهم تنقصه التجربة، ولكنهم حاولوا وبأقصى سرعة أن يطوروا أنفسهم، فأصبحوا متخصصين في مجالات مختلفة، وإذا واجه أحدهم مشكلة تعيق عمله ويعجز عن حلّها، استعان بإخوته مباشرة من دون وقفة أو تأمل، وبدون استحياء أو خجل، إذ لا قيمة هنا أبداً للمسؤولية أو المنصب أو المقام والدرجة، الكل بقلب واحد ولون واحد، وكانت الأعمال كلها تسير نحو الأمام بالاعتماد والتوكل على الله وبالروح الجهادية الثورية، فتلك الأيام كانت حقيقة أيام ملكوتية إلهية.

إحدى المناطق التي ينتشر فيها المعاندون وأعداء الثورة هي منطقة غرب إيران، حيث بدأوا تأمرهم وعداءهم وعنادهم منذ بداية الثورة، وقد ضاعف هذا الأمر من مسؤولياتنا لمواجهة الأضرار الناتجة والأخطار المحتملة جراء ذلك، فبذل الإخوة أقصى جهودهم ليلاً نهاراً لتوفير الأمن للمنطقة، وقد دفعوا لذلك ثمناً باهظاً، إلا أنهم عثروا على كنز ذي قيمة عالية، ألا وهو روح التضحية والإيثار وحب الشهادة، والعشق والوحدة، و... لقد تغلب كل واحد منهم على الصعاب والمشاكل من دون عذر أو ذريعة، ومن دون أي توقع مادي، وفي أجواء تتسم تماماً بالمودة والمحبة والصدقة، وبإمكانات محدودة، وقد أنشأت في كل نقطة من نقاط هذه المحافظة من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب، في

١٩٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

ضواحي المدينة وتوابعها، مقرات ومراكز نقاط تفتيش مؤقتة، وبعبارة أخرى: أوجدت قواعد ومقرات لمراقبة حركات السير - الذهاب والإياب - في الطرق والمعابر والمنافذ، والممرات الضيقة.

في البداية، وبسبب الحساسية وعدم استقرار المدينة، كنت في أغلب الليالي، أعين شخصياً من يقوم بحراسة المحلات والأماكن، وأتفقدهم بعد ذلك وأتابع عملهم، وقد أبقى أحياناً مستيقظة حتى أذان الفجر، وكنت أقوم شخصياً بجولات ميدانية لزيارة هذه المواقع التي يقوم بحراستها الإخوة بدءاً من النقطة الواقعة في طريق طهران - همدان، وحتى محطة همدان - كرمانشاه، وأعطي التعليمات والتوجيهات اللازمة بشأنها، فأحياناً قد أتحرك من هذه النقطة في المدينة إلى تلك النقطة ثلاث مرات، أخلد إلى النوم وأستريح عادةً بعد صلاة الفجر إلى الساعة الثامنة صباحاً، وأعاود عملي بعد الساعة الثامنة مرة أخرى وأبدأ حياتي اليومية.

حملة تطهير واسعة لمدينة (همدان):

الأجواء الملتهبة آنذاك، والمؤامرات المتصاعدة للمنافقين في تلك الأيام، كانت تحتم علينا أن نقوم بجمع المعلومات والأخبار الكثيرة، وبعد التدقيق فيها نهاجم الفلول الإرهابية والمراكز التأميرية وندمرها، وقد كان خير طريق وأسلوب للحصول على معلومات وأخبار دقيقة عن أوضاع وأنشطة هذه التجمعات والأحزاب في داخل المدينة - وكما قال الإمام (الخميني) - هي: الاستفادة من المعلومات التي تصل عن طريق جيش العشرين مليون، والاستناد على الشعب الثوري.

ما ذكره الإمام هو أفضل ملهم لنا في هذا الظرف، حيث يكون الشعب هو الوسيلة الأكثر تأثيراً للتوصل إلى الأخبار، وبناءً على هذا، فإن إيجاد العلاقة والارتباط بالشعب، وترغيب الناس في هذا الأمر، يتوقف على زيادة وعي ومعرفة الجماهير بما يدور حولهم من مجريات وأحداث؛ ليتفاعلوا معها ويكونوا في غاية التحسس ضد ما يقوم به المعارضون للثورة، ويشعروا بالتكليف والوظيفة الشرعية وعرض التقارير بشأن ما يشاهدونه ويسمعونه من حولهم. بعد عقد الاجتماعات والتشاور في هذا الخصوص توصلنا إلى هذه النتيجة وهي: أن تُشكّل صفوف دراسية لتعليم النساء في المساجد، وبذريعة تشكيل الصفوف نعرض عليهن الموضوع.

تم الإعلان عن تنظيم الصفوف، فاجتمعت مجموعة من النسوة في المسجد الجامع، تحدثتُ في الاجتماع عن الإسلام في الرعيل الأول، وقارنت بين تلك المرحلة والنقاط المشتركة مع هذه المرحلة، فعلى سبيل المثال لا الحصر ذكرت تاريخ النساء من قبيلة بني أسد، فكان هذا الموضوع شيقاً للأخوات المستمعات وممتعاً جداً، حيث كانت السيدات المجتمعات يتميزن بمواصفات عالية ومشاعر وأحاسيس طيبة وعواطف نبيلة، واستعرضت للأخوات الحاضرات قصص وثائقية تاريخية بأسلوب لطيف وممتع أثر في نفوسهن غاية التأثير، ولكون هؤلاء الأخوات متمسكات بعقائدهن الدينية بقوة تم تشجيعهن على أداء الدور المناط بهن في هذا الزمان من التعلم والتعليم.

كانت هذه النسوة الثوريات المسلمات - نظراً لما يمتلكن من شفقة ورقة قلب ومشاعر وعواطف نبيلة، وبعد أن حضرن وشاركن في

٢٠٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
تشكيل الصفوف وعرضت عليهن الموضوعات والأبحاث - منشأ خير
وبركة للثورة، حيث كنّ يوصلن لنا التقارير - ومن باب الشعور
بالمسؤولية والوظيفة الشرعية - حول التحركات المشكوكة ونشاطات
أقاربهن وأرحامهن ومعارف أزواجهن غير اللاتقة بالشأن الإسلامي،
فنجد أحياناً امرأة وهي تحمل معها أسلحة وعتاد وتقول: إن زوجها
أخفى هذه الأسلحة في البيت، هؤلاء النسوة الوفيات استبدلن إلى
مخبرات مجربات، استطعن - نحن - وعبر تقاريرهن أن نكشف الكثير
من أوكار التجسس والتخريب والفساد، ومراكز التآمر، ومن ثم القضاء
عليها نهائياً، وسمعت أن هذه الطريقة قد استخدمت في سائر المدن
والمحافظات أيضاً.

تجميع السلاح والمخدرات:

استطاع أعداء الثورة في الأيام الأولى - ومن خلال الأجواء
المتشجعة والمضطربة - أن يسرقوا وينهبوا أسلحة وعتاداً لا بأس به من
مراكز الشرطة، والثكنات العسكرية والأمنية، وإخفائها في القرى
والأرياف، بالإضافة إلى قيام عدد كبير من العشائر والساكنين في المدن
- ومن دون نوايا وأغراض سياسية - بشراء الأسلحة، بحيث كانت
تتعالى الأصوات ويسمع أن حادثة وقعت في النقطة الفلانية من المدينة،
عندها يوجه الناس بنادقهم بوجه بعضهم، وإذا وقع خلاف ونزاع بين
أهالي القرية أو الريف الفلاني حول قضايا مثل: الماء، الأرض الزراعية،
الأغنام والحيوانات يلجأ بعضهم إلى إشهار السلاح بوجه الآخرين.
إن وجود كل هذه الأسلحة والعتاد بيد الأهالي يسبب حالة من

الفصل الثالث: الأمواج..... ٢٠١

الفوضى وعدم الأمن من جهة، ومن جهة أخرى تواجد أعداء الثورة يشكل فاجعة ومأساة بل كارثة إنسانية في أي لحظة، فينبغي الإسراع في الكشف عن هذه الأسلحة وتجميعها.

قمنا - نحن - وبالتعاون مع شباب لجان الثورة الإسلامية وقوات الدرك ولعدة مرات بمحاصرة بعض القرى والأرياف بشكل مفاجئ، ومطالبتهم عبر مكبرات الصوت من المساجد أن تمكث النسوة في البيوت ويأتي الرجال إلى المساجد، وعندما يجتمعوا في المساجد نطالبهم بتسليم أسلحتهم إلى الجهات الحكومية المختصة، والتعاون معنا في هذا الخصوص، فإن لم يستجيبوا ابتداءً لدعوتنا الأخوية، نخاطبهم بلغة التهديد والوعيد، ومن لم يستجب ويتعاون معنا رغم كل هذه المحاولات، ثم يكتشف سلاح في بيته، يواجه أشد العقوبات، كان التفتيش في البيوت يتم عبر تقارير إخبارية موثوقة تصلنا من الأهالي.

قمنا في إحدى الليالي وعبر برنامج ومخطط مسبق بمراقبة مدخل قرية قريبة إلى مدينة (أسد آباد) الواقعة في محافظة (همدان)، ولكن لم تثمر عن شيء، فخطر في ذهني وجود علاقة بين الجماعات المسلحة وأعداء الثورة ومهربي الأسلحة وبين مجاميعنا من أفراد (لجان الثورة) أو (قوات الدرك)، أو أن لهم طريقاً آخر للذهاب والإياب أيضاً لا نعرفه، اتصلنا بأمر مركز (الدرك) في تلك المنطقة، وسألناه: «منذ متى تخدم في هذه المنطقة؟» ثم تكلمت بعد ذلك مع جنديين وأحد الضباط، فالتفت إلى أمر المعسكر وقلت: أنا سمعت أن هنا طريقين لتردد السيارات، اضطرب أمر المعسكر، وبعد التأني قال: نعم. قلت: لكنك وصفت لنا طريقاً واحداً؟ قد يكون هؤلاء قد خرجوا من الطريق الثاني للقرية،

٢٠٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

انزعج أمر المعسكر بشدة لسماعه هذه الكلمات، وبدأت علامات التأثر والانزعاج تظهر على وجهه، واضطرب وضعه من فوق إلى أسفل، فلم يعرف بماذا يجيب.

راقبنا الطريق الثاني، فلم تمض دقائق، حتى رأينا سيارة قادمة، فأخذ السائق يفتح ويغلق أضوية السيارة وكأنه يعطي علامة، ويخاف أن يستمر بالسير في الطريق بأضوية مشتعلة، كان لحظة ينظر إلى الطريق ثم يطفئ الضوء، فقلت لمجموعتي أن يضعوا له كميناً، وعندما أوقفنا السيارة، عثرنا فيها على ستة أعتدة من السلاح، ثم علمنا بعد ذلك أن أمر المعسكر كانت له صلة مع هذا المهرب للأسلحة.

في مدينة (بهار - همدان)، يوجد مقهى، يعد مركز المدمنين على المخدرات، وكان صاحب هذا المقهى من موزعي المخدرات، ذهبت عدة مرات قوة أمنية لإغلاق هذا المقهى لكنهم في كل مرة وبعد فترة يصل خبر أن هذا المكان قد أعيد فتحه، وبدأ فيه توزيع الأفيون و(الترياك) وممارسة القمار...

لم يكن من المصلحة الاستمرار في هذه الحالة، لذا كان ينبغي التفكير لإيجاد حل مناسب لذلك، ومن هنا وضعنا خططاً واستراتيجيات لمواجهة هذا الأمر المتفشي.

في إحدى الليالي هجمنا مع خمسة من الإخوة على ذلك المقهى، وقبل الدخول وقف أحد الإخوة في مكان معين للمراقبة، واثنين آخرين أمام الباب، وواحداً في أعلى السطح، وأما الخامس فكان يقف في خلف المقهى، وقفت أنا وببيدي السلاح وركلت برجلي بقوة باب المقهى، ثم دخلت، فشاهدت كل شيء على ما يرام، والبساط مفروش، فحطمت

الفصل الثالث: الأمواج..... ٢٠٣

بعصبية وبغضب طاولاتهم وكراسيهم، وصرخت بأعلى صوتي: «أما تستحون قد صنعتكم وكرأ للفساد»، أما لاعبوا القمار والمدمنون على المخدرات فقد استدارت أعينهم من الخوف، قلت: «اذهبوا واصطفوا إلى الحائط، ولا ينظر أحد منكم إلى الخلف»، مع أن البعض منهم قد تصور أنني لوحدي، ولكنه أصبح مخذولاً يهذر في الكلام خوفاً ورعباً، ولا يقدر أن يقول شيئاً، في هذه اللحظة دخل الإخوة من الحرس الثوري، وبدأوا يفتشونهم، فتم اعتقال كل من كان هناك وصاحب المقهى، ومن ثم عُطِّل هذا المكان وأغلق.

كان عدد من القرى والأرياف في أطراف (همدان) و(كرمانشاه) غير سليمة، فهناك قرية تسمى (بياز) مليئة بالمدمنين على المخدرات والمهربين، استطاع الإخوة بعد متابعة ومراقبة استغرقت فترة زمنية التعرف على عصابات توزيع المخدرات، ومراكز استهلاكها، والقضاء عليها نهائياً.

في قرية تدعى (جعفر آباد) في أطراف (كرمانشاه)، يباع ويشترى السلاح والمخدرات وتتم الاستفادة منها بسهولة، حيث يتواجد فيها كل شيء، وبأي مقدار وميزان، سلّمت السيد (لاهوري) ممثل الإمام في الحرس الثوري، تقريراً بذلك، لم يكن يصدق أن الحال بهذه الحدة والشدة، طلبت منه أن يغيّر ثيابه ونذهب إلى هناك ليرى بأمّ عينه هذه الفاجعة، وفي يوم ما ركبنا معاً سيارة أجرة وذهبنا إلى هناك، كان الحاج السيد (لاهوري) جالساً في المقعد الخلفي للسيارة، عندما وصلنا إلى (جعفر آباد) نزلت من السيارة وسألت شخصاً: «ممن أقدر أن أشتري قبضة سلاح (رولور)؟» فقال: «مني أنا»، سألته عن الثمن وأخذت

٢٠٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أماطله، كان هذا الشخص يعتقد أننا أشخاصاً من ذوي النفوذ والمهربين للأسلحة والمخدرات، فقال: «عندنا أيضاً أنواع المخدرات (ترياك) و(هيروئين) و(حشيشة) من النوع المرغوب، قلت: «كلا، آتني بالسلح فقط لنرى ماذا بعد ذلك...».

تعجب الحاج السيد (لاهوتي) من مشاهدة هذا المنظر، وكثرة المخدرات، ووفرة السلاح، وسهولة الوصول إلى ذلك، عندما جاء بقبضة السلاح (رولور كالبر ٤٥) مع مجموعة من عصي وأعواد الأفيون، ازداد تعجبه ودهشته، فقال للبائع: «أنا لا أقدر أن أستلمها هنا، هل يمكنك أن تسلمنيها في (همدان) بصورة مخفية ومن دون علم أحد؟ فقال: «ولم لا، اطمئن لذلك، اذهب إلى فلان واستلم منه البضاعة، فسيسلمك كل ما احتجت إليه».

عندما خرجنا من (جعفر آباد)، قلت للحاج السيد (لاهوتي): «لقد شاهدت ذلك بأم عينك، حيث يتوفر السلاح والمخدرات والأفيون وكأنها أوراق الشجر المتناثرة في فصل الخريف في هذه القرية، وجمعها ليس بالأمر السهل.

بعد الحصول على موافقة السيد (لاهوتي) وبتخطيط دقيق، انتشر الإخوة من الحرس الثوري في تلك القرية، واستطاعوا أن يجمعوا عشرات الكيلو غرامات من المخدرات بأنواعها من الترياك، الهيروئين، و...

أثر البسطال:

وقعت حادثة عجيبة ومدهشة في الليلة الأولى للأخوة الأربعة من الحرس الثوري الذين عيّنهم إلى جانب ذوي الرتب من الدرك في المركز الواقع على طريق (همدان - طهران).

في تلك الليلة، بينما كنت أتناول طعام العشاء، وإذا بالإخوة يتصلون باللاسلكي، فقالوا: «فتشنا إحدى السيارات، التي كان يسوقها شاب، فعثرنا فيها على مسدس كاليبر ٤٥ مع خمسين رصاصة، مضافاً إلى بعض المخدرات (ترياك)»، فأمرت بإيقاف هذا الشاب والسيارة والبضاعة المكتشفة إلى أن أحضر بنفسني، عندما وصلت إلى هناك، وقع بصري على شاب ظننت أنه عسكري؛ ولهذا طلبت أن يرسل إلى التحقيق للتعرف على هويته ومن ثم إلى المعتقل التابع للحرس الثوري، ثم وضعت المسدس مع طلقات الرصاص في داخل قطعة من القماش وسلمتها إلى أحد الإخوة في الحرس الثوري، وطلبت منه أن يحتفظ بها في مكان الاستراحة، ليعمل له تحقيق في الصباح، ثم خرجت من المقر.

في الساعة ٤ صباحاً كنت أقوم بدورية في داخل المدينة، فسمعت مرة أخرى صوت اللاسلكي قد علا، أخبروني الإخوة في المقر أن حادثاً قد وقع، وينبغي أن أعود حالاً، فتوجهنا بسيارتنا إلى هناك، عندما وصلت إلى المقر شاهدت أن ذلك الأخ الذي سلمته قطعة القماش التي فيها المسدس والطلقات يجهش بالبكاء، سألته: «ماذا حصل؟ ولماذا تبكي؟»، قال: «لقد فقدت قطعة القماش»، حسناً، لا مجال الآن للكلام والعتاب، هل من الممكن أن يفقد شيء في المقر؟ الأخ قال: «إن وقت عمله قد انتهى، فذهب لينام، عندما استيقظ، وجد قفل مخزن الملابس

٢٠٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

قد هُشِّم، وقطعة القماش قد سُرقت؟» قلت له: «اكفف دموعك ولا تبكي، لا يهم، لا تقلق، سنعثر عليها، أعلن حالة الطوارئ، وقل للجميع أن يصطفوا» قال: «لكنهم نائمون؟» قلت: «وهل بمزاجهم، أوقظ الجميع، ونادهم، قوات الحرس، قوات الدرك، احضر الجميع إلى هنا تكلمت بقوة ومن دون تردد ولا سابق مقدمة.

عندما اجتمعوا كلهم، قلت: «أعطيكُم جميعاً فرصة إلى الساعة ٧ صباحاً، لتعثروا على المسدس وطلقات الرصاص، وفي غير هذه الحالة، يجب أن لا يخرج أحد من هنا، إن لم يعثر على قطعة القماش هذه، وسأرسلكم جميعاً من هنا إلى طهران في سيارة واحدة إلى السيد (قدوسي) مسؤول محاكم الثورة^(١)، كنت أعلم أنهم جميعاً يخافون من السيد (قدوسي)، ومن ثم قلت: «اذهبوا الآن وناموا. لا تزال السماء مظلمة، خرجت وأنا أحمل بيدي مصباحاً أبحث في أطراف المبنى حيث كانت أرض ترابية. كان هناك ساتراً ترابياً فعثرت على موضع فيه أثر بسطال عسكري، والأثر لا يزال جديداً، عدت إلى داخل المقر

(١) ولد حجة الإسلام (علي قدوسي) في مدينة (نهاوند) عام ١٩٢٧م، بعد إكمال الصف الثالث الثانوي قرر الدخول في الحوزة العلمية عام ١٩٤٢م، حضر دروس كل من: آية العظمى البروجردي، الإمام الخميني، والعلامة الطباطبائي، و... تزوج بابنة العلامة الطباطبائي، أسس مع رفاقة في ظل عملهم الجهادي جمعية تطلق على نفسها (الجمعية السرية)، أكتشف السافاك الناشطين فيها عام ١٩٦٥م، فألقوا القبض على كافة أعضائها ومن بينهم الشهيد قدوسي، وزجوا بهم في السجن، وبعد مدة أطلقوا سراحهم، تصدى الشهيد قدوسي بعد إطلاق سراحه لإدارة مدرسة (حقاني)، ومن ذلك الوقت وما تلاه أصبحت هذه المدرسة نموذجية، استطاع على مدى إدارته للمدرسة أن يؤسس مدرسة التوحيد لتعلم الدروس الحوزوية وخاصة للأخوات. بعد إنتصار الثورة عينه الإمام مدعياً عاماً للثورة، وبعد عامين من النشاط وبذل الجهد نال شرف الشهادة إثر انفجار نفذه المنافقون في مقر الإدعاء العام في ١٩٨١م.

وأيقظت الجميع، وطلبت منهم أن ينزعوا أحذيتهم (البساطيل)، أخذتها جميعاً، وأخذت أفتش عن المطابق للأثر، كان أحد البساطيل منطبق عليها تماماً، فعرفت من صاحب هذا الأثر، أخذت أفتش أكثر في تلك الناحية، كانت الأرض قد حرثت لتوّها، فوجدت نقطة من ترابها تختلف عن بقية الأماكن، وكأنه قد عبث بها وقلبت أعلى أسفل، أزحت التراب فوجدت قطعة القماش التي فيها المسدس والرصاص، عدت دون أن أحدث ضجيجاً، ونظفت الطين عن البسطال، ووضعت في قطعة قماش أخرى، عندما أشرقت الشمس في الصباح، اتصلت بممثل الولي الفقيه، ممثل شرطة الدرك، ممثل الشرطة المحلية، وطلبت منهم أن يحضروا هنا، لكنهم طلبوا مني أن آتي أنا إلى المدينة، فرفضت ذلك، وتحدثت عن الموضوع بنحو الإجمال، عندها حضروا، فتحدثت معهم بالتفصيل عما جرى، وسمعوا ذلك، ورأوا بأدلة قوية ومستدلة المسدس والرصاص وقطعة القماش المطينة بطين أثر البسطال، طلبوا أن يعرف المقصر، فناديت مرتكب هذا الفعل، وأمرته أن ينزع البسطال عن قدمه، ظل الجميع متحيرين ومندهشين من فعلي، أخذت البسطال، ووضعت على الأثر المنتزع منه، وحينها لم يقبل ذلك أيّ شك أو ترديد، فنظمنا مسودة بما حصل، وألقي القبض على المتهم، وأرسل إلى المحكمة العسكرية في (طهران).

انتشر هذا الخبر بسرعة فائقة في المحافل الرسمية وغير الرسمية في (همدان)، فكان له صدىً وانعكاسات جيدة، بحيث أن بعض المشبوهين وغير المخلصين في عملهم، أخذوا حذرهم وراجعوا حساباتهم، فاستقاموا وتهذبوا.

دعاوي الإقطاعيين:

مع انتصار الثورة الإسلامية، وإقامة القسط والعدل، ورفع الجور والظلم وسياسة التمييز والفواصل الطبقية، لا يزال بعض الإقطاعيين والملاك في نقاط البلاد وكأنهم لم يسمعوا بصوت الثورة الإسلامية، أو لا يريدون أن يسمعوا، وبقوا مصرين على باطلهم وضلالهم وجورهم وظلمهم، واستغلال الرعية، طبقة (النبلاء) والملاك الذين يعتاشون على موائد الفقراء بقاؤهم وحياتهم مرهون بأرباحهم من الطبقات الكادحة والفقيرة والرعية، مستخدمين كافة أنواع الجور والظلم والاستغلال، ولا يزالون يحتمون ببعض قوات الدرك التي تدافع عنهم، وتوفر لهم شعوراً بالأمن، فأبقوهم في ظل أهدافهم وأساليبهم الماكرة.

اتصلوا مرة من (كرمانشاه) وأخبرونا أن ريفاً في أطراف (أسد آباد) وقعت فيه مشادة بين السكان وأحد الإقطاعيين، كان ينبغي إخماد هذه الغائلة، لكي لا تتسع دائرتها أكثر، قال إخوتنا من الحرس الثوري: «إن هناك مقر لقوات الدرك»، لكن بما أن له حماية من قبلهم، فلا نقدر أن نفعل شيئاً.

وكأن القرويين هناك كانوا متنعمين، إذ إنهم كانوا يعملون لذلك السيد وزعيم القرية ومالك أراضيها في الصيف، وفي الشتاء يكونون عاطلين عن العمل، وكانوا يمررون معاشهم بقوت لا يغني ولا يضمن من جوع، كان هذا السيد هو صاحب الأرض ويده أدوات العمل، أما هؤلاء فقد وضعوا قوة عملهم تحت تصرفه وإرادته، وكانوا عامل إنتاج فقط يستلمون أجورهم وحصتهم.

لقد ضاق القرويون ذرعاً مما لاقوه من ظلم واستبداد وغصب حقوقهم من قبل (الإقطاعي) رئيس القرية، لكن مع انتصار الثورة، وتغيّر الأوضاع، رأوا أن الأرضية ممهدة لاستيفاء حقوقهم المهدورة والمسلوبة، فقاموا بالتحرك، حرثوا عدة هكتارات من الأراضي الموات التي كانت تحت ملكية (الإقطاعي)، ليقوموا بعد ذلك بشتلها وزراعتها.

عرف الإقطاعيون بنواياهم، فادعوا ملكية هذه الأراضي، انتفض القرويون، ودار النزاع بينهم، فتدخل (رجال الدرك) الذين يدافعون بطبيعة الحال عن (الإقطاعي).

بعد معرفة الحادث، قمنا بعملية استطلاع إلى ذلك المكان يرافقنا عدد من حرس الثورة، تنقلهم أربعة سيارات نوع (زِيل)، متجهين نحو تلك القرية.

تقع القرية على هضبة، يصعب على السيارة المرور من هناك، فأوقفنا السيارات مضطرين، وسرنا بقية الطريق نحو أعلى الهضبة مشياً على الأقدام، عرف القرويون بالخبر، كان سبب ذهابنا إلى هناك لحلّ النزاع، فاجتمعوا في أعلى الهضبة، وكان بيد أحدهم شيء أبيض يلوح به، فقلت لأحد الإخوة من الحرس: أوصل نفسك إليهم فوراً، وقل لهم: «إذا أردتم أن تذبحوا حيواناً (تبركاً لمجيئنا)، فستعود السيدة (دباغ) من حيث أتت».

عندما وصلنا إلى القرويين، وبعد التحية والسلام، قال أحدهم: «أردنا أن نذبح تحت أقدامكم ديكاً، لكنكم لم تسمحوا لنا بذلك، لو كانت (أشرف بهلوي) جاءت إلينا لذبحنا لها بقرة، لم يكن هؤلاء الناس البسطاء مقصّرين، إذ كانت هذه المرأة يعني (أشرف بهلوي) تشكل لهم

٢١٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
رمزاً لم ينس لحد الآن، أو يتزلزل، فقاسوني بها، ضحكت لكلامه
وشكرته، في الأثناء شاهدت (الإقطاعي)، لابساً ربطة العنق، كان واقفاً
هناك، وقد التفّ به عدد من المتفعين، قلت له: «اذهب، فلديّ كلام مع
القرويين، أريد أن أتحدث معهم، وأهدّتهم، ومن ثم أضع لهم برنامج
ليختاروا لهم ممثلاً إن شاء الله، ويرسلوه إلى همدان، تعال أنت أيضاً
لنتشاور بعد ذلك، ونرى لمن الأرض؟ أخبرني الإخوة أن الإمام سيلقي
خطاباً اليوم يتحدث فيه عن نوع الأراضي (الموات)^(١)، على أن الأرض
لمن أحيائها، ولهذا قلت لهؤلاء الناس: إن الأرض لكم، لكن بشرط أن
تحيوها من هذه الليلة، وأنا أعطيك عهداً إن قمتم بذلك، فإن هذا
الإقطاعي لن يتمكن من فعل شيء بعد ذلك، أما إذا مضت هذه الليلة،
وقام السيد بإحيائها، فلن أعدكم بشيء، ولا أقدر أن أفعل شيئاً
لكم أيضاً، هذا هو نظر الإمام، بعد توضيح الموضوع إلى القرويين، عدنا
إلى (همدان)، وبعد أن سمع القرويون كلامي، عادوا إلى أراضيهم

(١) يحتمل أن كلام السيدة دباغ فيه إشارة إلى كلمة الإمام الخميني عام ١٩٧٩/٧/٦م،
التي ألقاها في أصحاب المصانع وتجار السوق في طهران، جاء فيها: (ليست هنا بلاد شيوعية،
وليس كل شيء هنا مشاعاً. هنا حكومة إسلامية لا تستطيع أن تتخطى الحد الذي رسمه الإسلام
للملكية فإذا حاولت أن تتخطى هذا الحد يرفضونها، وليس الأمر كما تظنون أنها تريد أن تصدر
كل المصانع، مثلما قالوا في الأراضي: إنهم يريدون أن يأخذوها، وليست هذه هي القضية، إنما
هي قضية الأرض الموات، وهي التي لم يعمرها أحد. وكانوا في ذلك العهد قد باعوها غلطاً،
فالأرض الموات لا يحق لأحد أن يبيعها. أو أنهم خططوا أرضاً، وباعوها، وهذا البيع غلط أيضاً.
ولذا يستردون تلك الأراضي الموات، ويرفقون بمن يستردونها منهم عسى أن يستطيعوا أن
يفعلوا لأنفسهم شيئاً. والأرض التي أحيائها وهي في يده من يأخذها منه؟ من يستطيع أن
يأخذها؟ هذه القضايا غير مطروحة. هذه قضايا إسلامية، ترجع لبرنامج إسلامي).

فبذروها وأحيوها، وبعد مدة، نُقل خطاب الإمام حول الأراضي عبر شاشات التلفاز.

بعد مضي عدة أيام جاء الإقطاعي مع عدد من مرافقيه، فتجمعوا أمام مقرّ الحرس الثوري وقالوا: «إن القرويين غصبوا أراضينا»، فأصدرت أوامر بإلقاء القبض عليه ومرافقيه، ومن ثم أرسلناه وابنيه إلى طهران، وعلمنا بعد ذلك، أن له ارتباطاً (بإسرائيل)، و(البهائيين) في (همدان)، فحوكم، وصدر حكم الإعدام بحقه.

عليهم أن يعودوا إلى الحياة:

في النصف الأول من عام ١٩٧٩م، ألقى الإمام (الخميني) لدى استقباله قوات الشرطة، خطاباً هاماً تحدث فيه عن ضرورة إحياء مراكز الشرطة^(١).

(١) التقى الإمام الخميني في ١٢/٢/١٩٧٩م، بمنتسبي مركز الشرطة رقم ٢١ طهران، حيث تحدث في هذا اللقاء قائلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم يجب أن أشكركم أيها الشبان الشجعان الذين التحقتم بقوى الشرطة الإسلامية، أرجو من الله - تعالى - أن يتقبل ما تقدّمونه من خدمات. وأن يوفقكم لبناء إيران بالشكل الذي يريده الإسلام.

لو كنا نحن وأنتم نعمل في عهد الطاغوت، لما أساء ما نرتكبه من أخطاء إلى الإسلام، لأنه كان شائعاً، ويعمل به في ذلك الوقت، أما اليوم ونحن في نظام إسلامي وأنتم تمثلون القوى والشرطة الإسلامية إذا صدر انحراف لا سمح الله تعالى - منا أو منكم سَجَلٌ على حساب الجمهورية الإسلامية فلا شك أن المخالفين وأعداء هذه الثورة يترصدون صدور خطأ منا أو منكم أو من شبّاننا، ليسجلوه على حساب الجمهورية الإسلامية، ويطلبوا ويزمروا؛ ليعرقلوا مسيرة الجمهورية الإسلامية. فإنّ وظيفتنا اليوم هي وظيفة إلهية ثقيلة وصعبة، وهي أن نتحد، ونتفق دون أن تكونوا مفروضين على الشعب ودون أن تستغلوا مناصبكم للتحكّم. ودون أن

يعرقل الشعب أداء وظائفكم وأعمالكم. علينا جميعاً أن ننطلق من منطق الأخوة لنكمل المسيرة إن شاء الله إلى الهدف المنشود. إنني أيتها الأخوة أبشركم أننا إذا استطعنا أن نصل إلى تلك المرحلة التي نطبق فيها جميع الأحكام الإسلامية، ستسود الطمأنينة والارتياح في البلاد وجميع أبناء الشعب ومرافق الدولة، ولا شك أن هذا الاطمئنان هو منشأ جميع الأعمال الطيبة إذ لو تمتع الإنسان بجميع وسائل الراحة، وافقد الأمان والاطمئنان لكانت حياته غير مستقرة ولتبدلت حلاوتها إلى مرارة.

افرضوا أنكم جالسون في سفينة تتوفر فيها جميع وسائل الراحة والسعادة، وفجأة تضطرب السفينة وتتقاذفها الأمواج ويقوى احتمال غرقها، عند ذلك تفقدون حلاوة جميع تلك السعادة، ولا تشعرون بحلاوتها، وكل تلك السعادة تتحول إلى مرارة. وهكذا فإن الوطن إذا اضطرب ولم تستقر أموره فإن الخوف من عودة أمريكا، والدول الاستعمارية سيعاودنا. فإذا خلت القلوب من الطمأنينة لا نستطيع أن نستقل روحياً. وإذا لم نستطع أن نستقل، ونؤدي وظائفنا بأنفسنا، فإن هذه اللذائذ لا يعود لها طعم. وإذا تأكدنا أننا مستقلون واعتقدنا أننا أسياد بلادنا، ولا أمر فوقنا، عندئذ لا نخاف من احتمال أن يهجموا علينا، أو أن يعرقلوا مسيرتنا. فهذا الاطمئنان النفسي هو أفضل قوة يتمتع بها الإنسان ويستعين بها. وإنني أبشركم أن هذا الاطمئنان سيحصل لكم عملاً قريب إن شاء الله تعالى.

لا تخافوا من عودة هؤلاء الذين خانوا هذا الشعب، وفروا من البلاد، فلا طريق لهم إلى العودة. ولا تخافوا (أيضاً) من عودة أولئك الطغاة الذين كانوا ينهون أموال الشعب الذي يعاني الآن الفقر وعدم الاستقرار، اغلقوا طريق الخوف إلى نفوسكم من عودة هؤلاء.

واكملوا المسيرة بكل اقتدار، وما يجب أن أوصيكم به هو أن تبذلوا جهدكم أن ليسعر المواطنون بالاطمئنان والأمن حينما يدخلون جميع دوائر الدولة ومراكزها بما فيها مراكز الجيش ومراكز شرطة الدرك والمراكز التي هي بأيديكم.

أنتم تعلمون جيداً أنه إذا أراد مسكين من أبناء الشعب أن يراجع دائرة الشرطة في النظام السابق، كان يتحمل عذاباً نفسياً كثيراً، وهذه المضايقات ولدت عقداً نفسية لم تزل بزوال النظام السابق ويحتاج زوالها إلى زمان طويل، لكن تعاملكم الحسن، وسلوككم الجيد مع المواطنين، وكونكم من الشعب والشعب منكم. كل هذه الأمور كفيلة بإزالة تلك العقد النفسية. وأنتم تشاهدون الآن أنكم حينما تكونون بين الناس وفي أحضانهم يعاملونكم بكل سرور وابتهاج ورأفة.

لقد كان ذلك مؤلماً بالنسبة لي؛ بسبب ما شاهدته من جرائم ومصائب سمعت ببعضها أثناء انتصار الثورة الإسلامية، ورأيت بعضها بعد الإنتصار، فمسألة تسليمهم السلاح اليوم، لم يلق ترحيباً عندي، بل إن قبوله بالنسبة لي كان صعباً للغاية، وكنت أرفض ولا أقبل أن يقوم هؤلاء الأشخاص بالمحافظة على أمن المدينة عن طريق مراكز الشرطة، ولكي أخلص نفسي من هذه الأفكار المغشوشة، قمت بزيارة لآية الله (مدني) وقلت له: «سيدي، أنتم تقولون إن الإمام قال: ندع الأسلحة بأيدي أفراد الشرطة الذين كانوا بالأمس يقتلون أبناءنا؟ فقال آية الله (مدني): «بإمكانك أن تذهبي إلى الإمام بسهولة، وتسأليه عن فلسفة هذا الأمر، ثم انظري ما هي الوظيفة والتكليف الشرعي في ذلك؟».

كنت أقوم بزيارة للإمام في كل شهر مرة أسلمه تقريراً حول نشاطي، وأخذ منه الإذن في القيام ببعض الأنشطة، وإن سنحت الفرصة أشرح له بعض ما يقع من حوادث بشكل جزئي، وأتحدث له عن المشاكل والمضايقات التي نواجهها في العمل، فكان سماحته يدلي بتوجيهاته في هذا الخصوص.

ويهتفون بحياتكم وحياة الجيش، وهذا أحسن شيء يتصف به الشعب المستقل، وهذا الاستقلال هو الذي يحفظ الأمة.

يجب أن تكون جميع القوى متحدة متألّفة، ولا تفعلوا ما يؤدّي إلى أن يجد الشعب نفسه منعزلاً عنكم، وتجذوا أنتم أنفسكم منعزلين عن الشعب، فهذا الانعزال والتباعد يسبب تزلزل البلاد وعدم استقرارها، فكلما كان اجتماعكم واتحادكم أكثر وأقوى كان حصول الاطمئنان أكثر، وكان وصول المسيرة إلى الهدف أسرع، أمل أن يعرف كل منا وظائفه وواجباته، وأن نحس بأننا (جميعاً) إخوة نعيش في بلد واحد، ودمتم (إن شاء الله) مؤيدين وموفقين وسالمين. صحيفة الإمام العربية، ج ١١، ص: ٤٢- ٤٤.

تشرفت مرةً أخرى بزيارة الإمام (الخميني)، وبعد عرض التقرير عليه، وبينما كنت أتمتم في الكلام، ذكرت له أموراً، ولكنني لم أفصح له عن مرادي الأصلي، فلم تكن لي جرأة أن أسأله عن موضوع مراكز الشرطة بشكل واضح ومفصل فانتبه الإمام بحنكته لذلك، وسأل: «الأخت (طاهرة)، هل حصل شيء؟» قلت: «الحقيقة ما أريد قوله ليس بالأمر الهين والسَّهل، إنه يختص بالأمر الذي أصدره سماحتكم حول منتسبي قوات الشرطة، كيف يهدأ لنا بال أن نسلّمهم الأسلحة، وهم أنفسهم الذين كانوا يقتلون أبناءنا بالأمس؟ وقد فقدن أمهات كثيرات أبناءهن من جراء أفعال هؤلاء، والآن نذهب إليهم ونشكرهم قائلين: سلمت أياديكم، وتفضلوا هذه الأسلحة.

نظر إليّ الإمام - بتلك الهيبة والوقار - نظرة حادة جعلتني لا أتكلم بعدها أبداً، قال سماحته: «إن دخلت أنت السجن، وإن عُدبت، وإن عشت في المنفى، وصبرت على أذى بُعدك عن أولادك، وكل ما حلّ على جسمك، إلا أنك ملكت وتملكين هذه الميزة أنك قادرة على أن تختارين أزواجاً وزوجات لبناتك وأبنائك بسهولة، ولكن هؤلاء كم بلغوا من التعاسة أنهم غير قادرين على توفير لقمة العيش لهم في حياتهم، وحتى اختيار الأزواج والعرائس لبناتهم وأولادهم، بل حتى هذا ليس بأيديهم، السافاك هو الذي يختار لهم أزواجاً لبناتهم، فلماذا أنت الآن تمنعينهم من أن يعيشوا حياة البشر، وأن يعودوا إلى الحياة، ويعودوا إلى المسؤولية، أنت قولي: كم أعطيت من وقتك لهم؟ كم قمت بتدريسهم كل هذه المدة التي منعوهم من العمل؟...».

هزّت هذه الكلمات والجواب القاطع للإمام أعماقي، وتهاوت كل

الأفكار الموهومة والسخيفة التي عشعشت في ذهني، وكأن ماءً بارداً قد سكب على وهج النار المستعرة في روحي ونفسي، تصابب العرق على جبھتي خجلاً وحياءً؛ لما تطاولت عليه من إيذاء للإمام، وجسارتي على إيراد هذا السؤال والإشكال...

عندما بيّن الإمام هذه الأمور بهذا العمق وبتلك الظرافة، كنت مطأطئة رأسي إلى الأرض، وفي هذه الحال، وفي نهاية اللقاء قال سماحته: اذهبي إذاً واعلمي بوظائفك وتكليفك.

سرحتُ بخيالي من خلال تعامل الإمام وشموليته، وساقني إلى التفكير، وعرفت أن هناك طريقاً طويلاً قد بقي لكي أصل إلى كُنه حقيقة تعامله وكلامه، وعلمت أيضاً أن الإمام الخميني لا يتفوه بشيء عار عن الصواب والحكمة، عندما رجعت إلى (همدان)، شعرت بثقل المسؤولية على عاتقي، وأنني أتعرض أكثر إلى الابتلاء والاختبار الإلهي، وبعيداً عن هذا، أرى نفسي بحاجة أكثر إلى الدراية والفتنة، عندما وصلت إلى (همدان)، وبدون إضاعة للوقت، عقدت اجتماعاً مع الإخوة في الحرس الثوري، واجتماعاً آخر مع آية الله (مدني)، واستعرضنا طرقاً لتستأنف مراكز الشرطة عملها، كان وجود آية الله (مدني) غنيمة كبرى لنا، فقد كان يحلّ الكثير من المشاكل والعراقيل.

أعلنت مراكز الشرطة فتح باب التسجيل للمتطوعين، وسلّموهم أسلحة وتم تثبيتها في السجلات الرسمية. كنا نعقد لمجموعة منهم درساً في الأسبوع لمدة ساعتين في إحدى قاعات (همدان)، ويُدرّس في هذه الصفوف تفسير القرآن والأخلاق، وعن هذا الطريق عاد منتسبوا الشرطة إلى أحضان المجتمع.

الوضع في كردستان:

محافظة كردستان، هي منطقة حساسة جداً، وذلك بسبب الانتماءات القومية والدينية، وكونها دائماً مُعرّضة إلى المؤامرات والتهديدات المستمرة من قبل أعداء الثورة الإسلامية، وزمر المنافقين وأذئابهم، ليقفوا بوجه النظام، ويطالبوا بالحكم الذاتي، أو الاستقلال والانفصال، ولكن على رغم معاناة الأكراد وهم الشعب الطيب الثوري والمسلم، إلا إنهم تحرروا من جور وظلم نظام الشاه المقبور، والتحقوا بركب الثورة والنظام، ودفعوا دماء غالية كثيرة ثمناً للحرية، متحدين بصمودهم وتلاحمهم كافة المؤامرات التي تحاك ضدهم، والتحركات المشبوهة وحالات التضليل. ومع ذلك أوجدت حالات الفقر الشديد أزمات ثقافية واقتصادية في بعض مناطق كردستان، وخلقت للمحافظة ولهم مشاكل عديدة إذ كان حزب (كوملة)^(١)، والحزب الديمقراطي

(١) المنظمة الثورية للطبقات الكادحة في كردستان إيران) والتي تسمى بـ (كوملة)، انشأت في انتفاضة كردستان عام ١٩٦٩م، وتدعي أنها نشطت في الأعوام ١٩٦٩ إلى ١٩٧٨م، ولا تظهر أي علامات تؤيد هذا الإدعاء أو تؤيد أنها ساهمت في إسقاط نظام الشاه، وبعد انتصار الثورة قامت بإصدار أول نشرة لها باسم (بيشرو - التقدم)، واصطدمت في مواجهات مع قوات الجمهورية الإسلامية في المنطقة، كانت (كوملة) منذ البداية تابع لتفكير الزعيم الصيني ماو تعاني بوضوح من ضعف في الأيديولوجية، ولعرض أيديولوجيتها على المنظمات الإيرانية غير الكردية، اعتمدت على مثل (بيكار)، ومع أن (كردستان) تعد منطقة ريفية وزراعية، اعتقدت حركة (كوملة) بأنها السبابة للبرولتاريا (الطبقة العاملة) في كردستان، أما (الحزب الديمقراطي) فإنه يعد ممثلاً للبرجوازية، اتحدت هذه المنظمة في عام ١٩٨٢م مع عدد من المنظمات والأحزاب والتشكيلات الصغيرة غير الكردية الإيرانية، ومع الحزب الشيوعي الإيراني، وأصدرت لها نشرة تحت عنوان: (الشيوعية) [...] أصبحت (كوملة) فرعاً للحزب الشيوعي في (كردستان)، هذا في الوقت الذي لا تمتلك لها أي نفوذ في خارج (كردستان)، حافظت (كوملة) على

يقوم كل يوم بتحركات مدعومة من خلف الحدود، للوصول إلى أهدافهم كما يدعون بأي أسلوب، بدءاً من الاحتيال والسرقة وقطع الطرق والتعرض للنساء والأطفال والتفخيخ وتخريب الطرق والهجوم على المقرات والمواقع العسكرية وشبه العسكرية. لقد كان هؤلاء يهاجمون بعض القرى والأرياف، ويحاصرونها، ويحاولون من خلال دعاياتهم المغرضة أن ينسبوا المشاكل الاقتصادية العارضة إلى نظام (الخميني)، وعندما يحاصر أهالي تلك المنطقة ويتعرضوا إلى مضايقات وضغوط، يحاول بعض رجال تلك النواحي أن يتقاضى أجوراً زهيدة مقابل ما يؤديه من عمل ويرضى بذلك. كنا نواجه يومياً في هذه المحافظة مشكلة، قام المدعي العام في كردستان السيد (رازيني) بوظائفه بشكل جيد جداً حقيقة، رغم وجود هذا الزخم الكبير من المشاكل والمعاناة، أما قاضي العدل، فقد كان يتواطأ أحياناً مع المتمردين والمتخلفين، فمن ممارساته: أنه ألقى القبض على أحد باعة السلاح، لكنه أطلق سراحه بعد ثلاثة أيام بطريقة مشكوكة، كانت مدينة (سنندج) مركز محافظة (كردستان) تعجّ بعناصر مناهضة للشورة، وحوصرت في فترة، فأخذ هؤلاء الأرذال يصوبون القذائف دون خجل أو وجل على أهالي وسكان هذه المدينة ومواطنيها، كان الهدف من ذلك، هو تسخير مقرّ الفرقة ٢٨ في سنندج، وبعد أن احتلوا المقرّ وقعت المدينة كاملاً في قبضتهم، وسقطت عن بكرة أبيها.

استقلالها كتنظيمات وحزب، وعلى سلسلة قياداتها، ونشرياتها أيضاً. ووجدت لنفسها الحق في أن تتخذ قراراتها بشكل مستقل عن قيادة الحزب الجديد. (انظر: مازيار بهروز، المتمرّدون المثاليون) ترجمة (مهدي برتوي)، طهران، قفّوس، ٢٠٠١م، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

٢١٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

لقد لعبت قوات الحرس الثوري وفرقة (همدان) في الجيش دوراً مهماً في فك هذا الحصار، وأنا أتذكر الموقف البطولي الذي قام به الإخوة السيد (نوروزي) و(همداني) من الحرس الثوري، ومن الجيش العقيد (بدري) قائد اللواء الثالث من فرقة (همدان) المدرعة في تحرير مدينة (سنندج) من عبث العابثين. بعد فك الحصار وهروب أعداء الثورة، استقروا في بعض النقاط الحيوية والاستراتيجية للمدينة والمناطق المشرفة والمطلّة عليها، ومن ثم قمنا بتطهير المدينة شيئاً فشيئاً من العناصر المعارضة للثورة.

الحليب المزوج بالدم:

يقع مقرنا في المنطقة المطلّة على مدينة (سنندج)، حيث كنا نراقب من هذه النقطة كافة تحركات المعارضين للثورة، وبعد التعرف على مركز تحرك هؤلاء، نقوم بتطهيرها من دنسهم. في يوم ما كان أحد الإخوة يرصد المدينة بالناظور، فدعاني فجأة وسلّمني الناظور، وأخذ يشير بإصبعه نحو جهة، وطلب مني أن أنظر نحو ميدان في داخل المحافظة والمعروف اليوم باسم ميدان (الإمام الخميني) شاهدت امرأة كردية تحتضن ابنها، وهي تتشاجر مع رجل واقف أمام بيت كان بابه مفتوحاً، استمرّ هذا التشاجر عدة ثواني، فمدّ الرجل الكردي يده نحو الطفل الذي تحتضنه المرأة وسحبه من يدها، مشى عدة خطوات عن تلك المرأة، ومن ثم أفرغ رصاص مسدسه في فم الطفل فقتله في الحال.

صعقتُ بما شاهدته من منظر، ولم نكن نقدر على فعل شيء في تلك الفترة القصيرة، هجمنا مباشرة مع الإخوة على تلك المنطقة، وطهرنا

المنطقة والمحلة من دنسهم وإجرامهم، فعثرت على ذلك البيت، ودخلته، شاهدت أمّ ذلك الرضيع المتضرج بدمه قد وضعته أمامها، وهي تنظر إليه مبهوتة ومدهوشة وقد أغمي عليها، حيث تعرّضت إلى صدمة، وقفت إلى جانبها، وحركتها بيدي، عندما استفاقت قليلاً، بدأت بالبكاء والعويل، وأخذت تلطم وجهها ورأسها، وتخمش وجهها بأظافرها، وتجرّ عقائصها، وتلطم رأسها وصدرها بقبضة يدها بقوة وتولول وتصرخ، استغرق ذلك مدة إلى أن هدأت، ثم سألتها: «ما الذي حصل؟» كانت تذرف الدموع ممزوجة بالدم، فأخذت تتكلم باللغة الكردية، قالت: «ثلاثة أيام لم نحصل على الحليب، وهذا الطفل جائع جداً، لا طاقة له، وقد نفذ صبره، اضطرني صراخه وبكاءه إلى أن أخرج لأبحث له عن حليب، جاء ذلك المجرم الذي لا يخاف الله ومنعني من الخروج، قلت له: «أريد أن أذهب إلى جيراننا فآتي له بالحليب»، فقال لي: «أعطيني الرضيع لأعطيه الحليب»، ثم سحب فلذة كبدي مني بقوة، وأفراغ الرصاص في فمه.

كانت مشاهدة هذه اللقطة وسماع بكاء وعويل أمه قد أثر فيّ بقوة، وترك على نفسي أثراً شديداً، بنحو أنني كلما تذكرت تلك اللحظات وذلك المشهد أحرّ إلى الأرض وأزداد غيظاً وحنقاً.

الفاجعة الأليمة لمقتل عائلة السيد (نمكي):

في المدينة عائلة تعرف بـ (نمكي)، تؤمن بالنظام والثورة الإسلامية إيماناً راسخاً. عندما انسحب المعارضون للثورة من (سنندج)، أخذوا معهم أربعة من أبناء هذه العائلة كرهائن، أما أب هذه العائلة، فأطلقوا رصاصهم على قدميه؛ لكي لا يتبعهم.

مضت عدة أيام على هذه الحادثة، فجاء (راعي غنم) وقال: «يوجد فوق جبل (سياكوه) ثلاثون أو أربعون جثة، قد صهرتها الشمس بحرارتها، وعلت منها رائحة نتنة»، ولأجل الوثوق بهذا الخبر، أرسلنا ثلاثة من عناصر الحرس الثوري ليقوموا بمهمة استطلاعية، ويكتشفوا الحقيقة، ذهبوا برفقة (راعي الغنم) إلى الجبل، وبعد الاستتار والتخفي بين قطع الأغنام وصلوا إلى النقطة المطلوبة، بمجرد مشاهدة ذلك المشهد الفاجع اضطربت أبدانهم.

خمنتُ أن الأبناء الأربعة لعائلة (نمكي) في عداد هؤلاء المقتولين، ذهبت مع مجموعة من الإخوة في الحرس وبمرافقة أمهم إلى المحل المزبور، وبمجرد مشاهدتنا لذلك المنظر البشع لتلك الجثث أصبنا بصدمة، كانت موتتهم مخيفة وبشكل وحشي، حيث مثلوا بكل الأجساد، قطعوا أنوفهم وآذانهم، وقرضوا أجسامهم بالمقاريض، و... وكما خمنتُ سابقاً كانت جثث أولاد (نمكي) بين الضحايا، تمكنت الأم أن تتعرف على أولادها من عدة علامات: كالشامة، والبقع على أجسامهم وثيابهم، و...

كانت مشاهدة هذا المنظر مؤلماً جداً ومفجع بالنسبة للأم وهي ترى أولادها بهذه الحالة المفجعة في هذا المسلخ، فتصوروا ما هو حالها في ذلك اليوم؟

كذلك ذهب ثلاثة من الإخوة لنصب كمين، فأعتقلتهم الكوملة، ففر أحدهم ونقل لنا: «أحد الإخوة الثلاثة الذين أمسك بهم جاء به الكوملة ونحروه تحت أقدام عريسين من رفاقهم (الكوملة) في حفلة زفاف، ثم جاءوا بنا نحن الاثنان إلى الصحراء لإعدامنا فاستطعت أنا الهرب، وقتلوا الشخص الآخر».

الجرائم البتسة في (بيجار) و(كامياران):

في إحدى الأرياف المحيطة بـ (بيجار) جاءت امرأة إلى مقر الحرس الثوري وقالت: «إن زوجها الذي هو إمام جماعة القرية، اختطفه (الكوملة) قبل أيام وأخذوه معهم، فسألناها عن الحادثة بالتفصيل، فقالت: «قبل أربع ليالي، توضاً زوجي للمغرب واستعد للذهاب إلى المسجد، فسمعنا الباب تطرق، فتحنا الباب فدخل عدة أشخاص وقالوا: حصل نزاع في الشارع، وعليك أن تأتي وتتوسط في فض النزاع، وساقوه إلى هناك بهذه الذريعة، ولا خبر عنه لحد الآن».

سألت: «من زوجك؟ وماذا يعمل؟» قالت هو عالم ديني ويؤمن الناس في المسجد، قبل عدة ليالي نصح الشباب: «أن عليهم مسؤولية الدفاع عن الثورة والإمام، وإن لا ينخدعوا أو يخضعوا للكوملة» و(الديمقراطيين)، أنا خائفة جداً أن لا يكون هؤلاء أخذوه وأوقعوا به شراً، حصل عندنا يقين بأن إحدى هاتين الجهتين المعارضتين للثورة (الكوملة) أو (الديمقراطيين) لهم دخل في هذه الحادثة، طلبت من الإخوة في الحرس الثوري أن يمشطوا المنطقة، لم يستغرق وقتاً طويلاً، حيث عثروا على جثته في أبشع الحالات، وبشكل مروع ومفجع، عندما

٢٢٢.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

يشاهد الإنسان هذه الجثة، يرتعش جسمه لهول المصيبة، لقد جدعوا أنفه وأذنيه وثقبوهما بخيط وعلقوهما في رقبة كالقلادة، ثم شدوا يديه إلى خلف رقبته، ووضعوا حجارة على رأسه، وألصقوا ورقة على صدره كتبوا عليها: «هذا جزاء من يدافع عن الثورة ونظام (الخميني)، وجزاء من يضع صورة (الخميني) في بيته».

وقعت جريمة مشابهة أخرى في مدينة (كامياران)، أقام الإخوة من الحرس الثوري مخيماً في مفترق طريق (كامياران) حيث كانت القوات المتواجدة في المنطقة هي التي تؤمن كافة احتياجات ومستلزمات الذخيرة من أسلحة وعتاد ودعم لوجستي لهم، وكانت بعض القوات المحلية تساندهم أيضاً في ذلك، كان من بينهم شاب عمره ٢٥ عاماً، كان يعمل بإخلاص وهمة عالية، واعتقاد عجيب، صار صديقاً حميماً لهم، لكن هذا النشاط والحضور والتواجد لم يستسغه أعداء الثورة، وأصبح سبباً في تزايد الأحقاد في نفوسهم، فذهبوا إليه في حركة حقد دفين، وقاموا بتقييده بالحبال أمام زوجته وأطفاله ثم أخذوه لينفذوا بحقه جريمة وحشية وانتقاماً شديداً.

قضت زوجة وأولاد هذا الشاب عدة أيام وهم يعيشون حالة من الخوف والأمل وعدم المعرفة به، حتى وصلت رسالة إلى زوجة ذلك الشاب: أنك إذا أردت أن ترين زوجك، اذهبي إلى الهضبة الفلانية، لم تتجراً هذه المرأة أن تذهب لوحدها إلى هناك، فجاءت إلى الإخوة في الحرس الثوري وذكرت لهم الواقعة، عندما ذهب إخوتنا معها إلى ذلك المكان، شاهدوا مشهداً مفعجاً ومروعاً، حيث قتلوا ذلك الشاب بأبشع صورة، وارتكبوا بحقه أبشع جريمة يندى لها الجبين، ذكرها يقشعر منه

البدن فقد شدُّوا كلا يديه مع رجله إلى الخلف، ومَثَّلُوا بأنفه وأذنيه، وأدخلوا سلكاً في جهازه التناسلي وشدوه برقبته، وهشَّموا عظامه بأبشع الطرق وأشدّها قسوة ودموية.

المخدوعون:

عندما وقعت بيد الثوار الأوفياء والمخلصين للنظام والثورة بعض المناطق والأماكن، وقاموا بتطهيرها من دنس العناصر المحاربة، غضب أولئك فقاموا بجرائم مروعة بحق الناس الأبرياء والعزل عن السلاح، وتعرضوا حتى للناس المسافرين والعابرين، فقطعوا الرؤوس، وشوهوا الجثث، وقلعوا العيون والألسن والأظفار...

عندما تقع بعض الأحيان مراكز ومقار أعداء الثورة بيد الإخوة من الحرس الثوري، يجدون فيها أنواع الأدوات والأجهزة المبتدلة التي تشير إلى أوج انحطاطهم وسقوطهم الأخلاقي.

في هجوم مباغت ضد أحد مواقعهم ومقراتهم، تم إلقاء القبض على ٢٥ شاب وشابة وهم بحالة مختلطة، ذهبت أنا إلى السجن لمشاهدتهم، كانت أعمار البنات بين ١٦ عاماً إلى ٢٤ عاماً فكانت معهم، حبوب منع الحمل، صور مستهجنة، أنواع مستلزمات القمار،...

تحدثت لدقائق مع البنات، كان حالهن مفعجاً، فقد غُرِّرَ بهنَّ وخُدعنَ بشدة، ومارسن أعمالاً شنيعة وبشعة، ذكرن أدلة كثيرة لتبرير عملهن هذا، واتفقن جميعاً على هذا الرأي وهو: أننا إن لم نُرضِ هؤلاء الشباب، فقد يصابوا بأمراض نفسية فيتراجعوا، ونحن بممارسة هذا العمل نشبع حاجتنا الطبيعية، ونمنح زملائنا الروحية للحضور والتواجد

٢٢٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

والنشاط للعمل في الساحات الأصلية وتنفيذ العمليات والمهام والواجبات المناطة بهم.

لقد صار البنات والأولاد المُغرَّر بهم والمخدوعون ضحية، ووقعن في ورطة عظيمة، حيث كنَّ يبررنَّ كل عمل بل كل شيء فصرن يعتقدن أن كل عمل مباح من أجل الوصول إلى الهدف (الغاية تبرر الوسيلة).

تحدثت مع تلك البنات وقدَّمت لهن الإرشادات والنصائح، فقبلن أكثر ما قلته تقريباً، وندمن على أفعالهن، عندما قررنا أن نطلق سراح بعضهن ممن تبين لم تتلطخ أيديهن بدماء الأبرياء، فقررنا أن نعيدهن إلى عوائلهن، إلا أن العوائل رفضت قبولهن، هؤلاء البنات كنَّ قد اجتمعن من مدن مختلفة مثل: (رشت)، (تبريز)، (طهران)، و(شيراز).

اتصلت هاتفياً بإحدى العوائل في (تبريز)، وتحدثت لهم عن ابنتهم، فقالوا: «إنَّ لنا كرامة وماء وجه هنا بين الناس، فلا تذكروا اسمها أبداً، فإن عادت إلينا، فإن كرامتنا وماء وجهنا سيدسُّ في التراب، حاولوا أنتم أن تحلُّوا القضية بشكل من الأشكال، اطمئنوا، نحن قلنا هنا: إن ابنتنا قد قتلت في منازعة حدثت.

انظروا إلى عمق الفاجعة، أن العائلة ترفض أن تنسب فلذة كبدها لها، وتعيد ابنتها إلى أحضانها.

الشابات اللواتي غُرِّرْنَ وخدعنَ بأعداء الثورة ولحسن الحظ تبينَ وندمنَ على أفعالهن وعدنَ إلى أحضان الثورة، أو أنهم قتلوا في مناوشات، فبقيت الجماعات الناشطة بمرور الزمن لوحدها في تلك المنطقة، تتجه إلى الزوال والسقوط.

فك حصار مدينة (باوه):

(باوه) من المدن التي وقعت أسيرة تماماً في قبضة مجاميع من أعداء الثورة، ولم يسفر الهجوم غير المنظم لأنصار الثورة عن شيء، فقد كانت كافة النقاط الاستراتيجية للمدينة وحواليها تحت سيطرة أعداء الثورة، كان الشهيد (چمران) ورفاقه هو أول من تقدم لتحرير هذه المدينة، وفك الحصار عنها، وقد ضحّى بأعزّ أنصاره ورفاقه.

أول مجموعة وفرقة قدمت مساعدتها هي فرقة الحرس الثوري في (همدان)، كنا نشاق في ذلك الوقت أن نقوم بعمل لتحرير كافة مدن (کردستان) من برائن أعداء الثورة، و(باوه) على وجه التحديد، ولكن الإمكانيات والمعدات بل وحتى أعدادنا كانت محدودة وضئيلة جداً، عقدنا اجتماعاً طارئاً مع الإخوة والمسؤولين لمناقشة الأوضاع المستجدة، والحصول على إمكانيات ومعدات قتالية، لكن هذا الاجتماع لم يكن مؤثراً كثيراً، كانت قيادة الجيش آنذاك تحت إمرة (بني صدر)، ولم يكن يتعاون مع الحرس الثوري، بل ويأبى حتى تقديم المعونات الجزئية والفنية أيضاً، كنا بحاجة إلى أسلحة وعتاد، لكنهم كانوا يرفضون تقديم أي نوع من الدعم، مضافاً إلى ذلك كان سماع الأخبار بسيطرة معارضي الثورة على بعض المناطق الغربية من جهة، وافتقاد أي دعم ومساعدة من جهة أخرى، قد جعلنا نمر بمرحلة عصيبة وحرجة، فاضطررنا إلى طرح هذا الموضوع في أحد اجتماعاتنا.

وهو أننا الآن بحاجة إلى الأسلحة، الجيش في يده أسلحة ومعدات، إلا أنه يمتنع عن تقديم دعمه وإسناده لنا، فمن الأفضل أن

٢٢٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

نهجم على مستودع الذخيرة والعتاد، ونأخذ مقداراً منها؛ لأننا في حربنا مع العدو تنقصنا الأسلحة والعتاد.

طُرِحَت المسألة، ولاقى هذا الاجتماع تحديات كثيرة أسفر عن توصل الجميع إلى ضرورة مثل هذا العمل وأهميته، ثم صُوِّتَ على المقترح المذكور فتمت الموافقة عليه، واتخذ قراراً أن لا يتسرب خبر هذا الاجتماع والتوافق الحاصل إلى الخارج، ولا يصل حتى إلى أسماع الإمام؛ لأننا نعلم جيداً أن الإمام يعارض ذلك وبشدة، ويعتقد بأن هذا نوعاً من التفرقة. وقد يفسره أيضاً بأنه يساعد على إضعاف الجيش، ولهذا قررنا أن ننفذ ذلك في تاريخ معين، وأن لا نصح عنه حتى ذلك الوقت.

أعددنا ٤٥ شخصاً من الإخوة في الحرس الثوري في البداية للذهاب إلى (کردستان)، علماً بأننا اتفقنا مع البعض - وقبل تحرك المجاميع والقطعات إلى المنطقة - أن نغير على مخزن وترسنة عتاد الجيش.

كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وبينما كنا مشغولين بإعداد الخطط والبرامج، وإذا بأحد الإخوة في برج المراقبة يخبرنا أن طابوراً من العسكريين قادمين باتجاهنا، قلقنا أن لا يكون هؤلاء من (كوملة) قد عرفوا بخططنا، فغافلونا لتسديد ضربة قوية لنا؛ حتى لا نصل إلى أهدافنا.

أرسلنا اثنين كفريق استطلاع إلى تلك الجهة بسرعة لمعرفة وكسب معلومات أدق، فعادا بسرعة وقالوا: لا تقلقوا إنهم من الجيش. سرنا لاستقبالهم، كانوا قد أتوا ومعهم دبابتين ومدرعة، تقدم

قائدهم وقال: «لقد أصدر الإمام الليلة البارحة أمراً «أنّ على كافة القوى والقطعات العسكرية أن تفك الحصار عن (باوه) خلال الـ ٢٤ ساعة القادمة، وأن يتعاونوا مع الحرس الثوري»^(١). فصدر الأمر الآن أن نأتي لمساعدتكم، ويكون سلاحنا تحت تصرفكم.

شكرتُ الله، أن المشاكل والقضايا قد انحلت قبل أن نقوم بأيّ عمل، وطلبنا من الأشخاص المطلعين أن ينسوا الموضوع في خصوص قرار تلك الليلة، واعتبار القرار غير نافذ المفعول وملغي، وقررنا: أن لا نتحدث بخصوصه مطلقاً.

ومع حصول الفرج، وضعت القوة الجوية هليكوبترات تحت

(١) القرار الصادر من الإمام الخميني بهذا النحو:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٤ شهر رمضان ١٣٩٩هـ

لقد وجهت إليّ رسائل من جميع أنحاء إيران، ومن مختلف فئات الجيش والحرس الثوري وأبناء الشعب الغياري، تطالب السماح لهم بالتحرك باتجاه منطقة باوة للقضاء على الفتنة هناك. وأنا أشكر الجميع على هذه المشاعر، وأوجه تحذيراً إلى الحكومة والجيش والشرطة بأنهم إذا لم يتحركوا بمدافعهم ودباباتهم وجميع قواهم المجهزة خلال ٢٤ ساعة من الآن باتجاه باوة، فسوف أعتبرهم جميعاً مسؤولين عن عواقب هذا الأمر. وإني وبصفتي القائد العام للقوات المسلحة، أمر قائد الجيش بتحريك قواته باتجاه باوة. وأمر وحدات الجيش والشرطة بالتحرك إلى هناك على وجه السرعة. ومن دون انتظار أي أمر آخر وكذلك أمر الحكومة أن تؤمن كل الوسائل اللازمة لتحرك حرس الثورة.

ومن الآن وحتى إشعار آخر، سأعتبر قوى الأمن المسؤولة عن أعمال القتل الوحشية هذه، وفي حال الامتناع عن تنفيذ الأوامر سوف أتصرف معهم بشكل ثوري. فقد أعلمنا مراراً وتكراراً بأن الحكومة والجيش لم يفعلوا أي شيء حتى الآن، وإذا لم يقوموا بأي عمل إيجابي خلال ٢٤ ساعة، فإني أعتبر قادة الجيش والشرطة هم المسؤولون والسلام». روح الله الموسوي الخميني، صحيفة الإمام العربية، ج ٩ / ص ٢٨٥.

٢٢٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

تصرفنا، واختير من قبل ذلك ١١ شخصاً ليوصلوا أنفسهم إلى هناك بأسرع وقت ممكن، والملفت للنظر أن كل واحد من هؤلاء الأشخاص كان راغباً في الذهاب مع هذه المجموعة، إلى حد أنهم تنازعوا فيما بينهم حول من يذهب مع هذه المروحيات، الكل يعلم أنه مع هذا الإرسال، وفي الوقت الذي تصلنا فيه أخباراً مريرة ومؤلمة عن الوضع المأساوي الذي تمرّ به مدينة (باوه)، فلا أمل بالعودة، ولهذا أخذوا يتسابقون على فوات الأنفس!

كان أحد الإخوة الذين لا يجيدون التكلم باللغة الفارسية ويتكلم باللغة الآذرية وهو أحد سكنة القرى الواقعة في أطراف (همدان)، قال لي بلهجة غليظة باللغة الفارسية: «الأخت (دباغ)، سأشتكي عليك غداً يوم القيامة عند السيدة الزهراء (عليها السلام)، أنك لا تدعيني أذهب معهم»، فاقترحتُ أخيراً أن يقترح للإرسال إلى هناك، فقبلوا ذلك، ولكن عندما لم يخرج في عملية الاقتراح هذه اسم هذا الرجل الآذري، استاء لذلك، وتألّم، وطأطأ رأسه إلى الأرض وخرج، وهو يبكي وينحب، جاء أحد الإخوة ويدعى (قَشَمِي)^(١)، قال: «يا سيدة دباغ، اسمحي له أن يذهب» فقلت: «لا بأس، ولكن ليأخذ مكان شخص آخر»، وأخيراً كان أحد الإخوة مستعداً ليسلمه مكانه، عندما هبطت الهليكوبتر في وسط الحلقة المحاصرة، كان هذا الرجل الآذري هو أول من خرج من المروحية، وقبل أن يضع قدمه على الأرض، أصيب برصاص الكوملة فخر على الأرض شهيداً.

(١) وقع الأخ (قشمي) من بداية الدفاع المقدس أسيراً في قبضة قوات البعث وبقي

عشر سنوات في الأسر.

عادت طائرة الهليكوبتر بجث المصابين والشهداء الذين كانوا يتسابقون للذهاب إلى (باوه)، حيث استشهدوا كلهم، فجهزنا هليكوبتر أخرى وأرسلنا معها أعداداً من المقاتلين، فأصابوا هذه الهليكوبتر وهي محلقة في السماء، وهكذا سارع إلى (باوه) هؤلاء المقاتلين بكل شجاعة وعشق تلبيةً لنداء الإمام (الخميني)، فحرروها بدمائهم الزكية، وطهروها من رجس أعداء الثورة والوطن المقدس والطاهر.

ماذا كان قرار تلك الليلة؟

بعد فك حصار (باوه)، قمت بزيارة الإمام (الخميني) وسلّمته تقريراً حول العمل، مع بيان بعض الفعاليات والأنشطة والتحركات، ثم تحدثت عن الحرس الثوري في مدينة (همدان) أثناء مشاركته تحرير (باوه)، وذكرت أنه مارس دوراً جيداً وحقق نصراً كبيراً وساحقاً، ولكن مع الأسف استشهدت كوكبة منهم ووقع مجموعة منهم أسرى في أيدي (كوملة)، وذكرت لسماحة الإمام أن (كوملة) طالبوا بمال لإطلاق سراح الأسرى؛ لم أكن أكمل كلامي، وإذا بالإمام وبتلك الطلعة البهية والساحرة قال: «الأخت (طاهرة)، لم تذكر لي شيئاً في تقريركم حول قرار تلك الليلة؟» أصبت بالذهول والدهشة لما ذكره الإمام في هذه الجملة العابرة، وذبت كذوبان الصقيع استحياءً منه وخجلاً، فطأطأت رأسي واخترت الصمت، سألتني الإمام ثانية: «ما الأمر؟» في الوقت الذي أصبت بالذهول ولم أُميّز يدي من رجلي لما أصابني، شرحت له الظروف التي ساقته إلى اتخاذ مثل هذا القرار، كان الإمام يعرف عدم وجود سوء النية في ذلك القرار، وهدفنا كان هو التسريع في تحرير (باوه)، فقال: «من الآن فصاعداً، أطلعني القائمين بالأمر على ما تتخذينه من قرارات

٢٣٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

عسكرية»، قلت: «سمعاً وطاعة»، وطلبت منه الصفح والعفو.

بعد هذه الحادثة، كنت خجلة ومتألّمة، من أن تصرفنا هذا كان سبباً في جلب الأذى إلى الإمام وتدمره، وكنت ألقى اللوم والعتب على نفسي جرّاء ما حدث.

عندما رجعت إلى (همدان) طلبت عقد اجتماع طارئ مع كافة الإخوة الذين كانوا قد حضروا في اجتماع تلك الليلة، وكانوا على علم باتخاذ القرار «بالهجوم ليلاً على أسلحة ومعدات الجيش»، وسألت: «هل من بينكم شخص أوصل كلاماً أو مطلباً للإمام»، نظر كلٌ منهم إلى الآخر وأقسموا يميناً أنهم لم يتكلموا بشيء في الخارج.

لقد غيّر هذا الموضوع حالي تماماً، وبهذا النحو، تعلّمت في حياتي درساً كبيراً وهو أن لا أتقدم على قائدي ومقتداي وإمامي أبداً.

العقرب الأصفر:

في المنطقة الغربية مضافاً إلى مسؤوليتنا في مواجهة تحركات العدو والمعارضين للثورة، وإحباط أيّ مؤامرة ضد نظام الجمهورية الإسلامية، كنا مسؤولين أيضاً عن الحفاظ على حياة وأرواح وأموال وأعراض الناس، وعلى أن نقف بوجه التحركات غير السياسية كعمليات التهريب، الإيذاء والجريمة، الظلم، السرقة، والقضايا اللاأخلاقية، ... فهي بالنتيجة قد تكون مبطّنة بأهداف سياسية.

تم الكشف عن عصابة تسمى نفسها (العقرب الأصفر) في (همدان)، والقضاء عليها، وهي عصابة فاسدة فاسقة ومنحطّة أخلاقياً، جرت إليها كثيراً من طلاب وطالبات المدارس الابتدائية والثانوية،

وساقتهم إلى وحل الفساد، وكان لتلك العناصر نشاط مشابه أيضاً في المناطق الحدودية في (إيران) مثل: (زاهدان) و(المناطق الشمالية)، وقاموا بجرائم كثيرة.

كانت أفعال عصابة (العقرب الأصفر) مروعة جداً ووقحة، وهي تحكي عن مرض نفسي وحمق وجنون، كانوا يرتكبون أعمالهم البشعة وينفذون أهدافهم الدنيئة القذرة في أطراف المدينة، وضواحي الخربات المتروكة، كانوا يقومون بختطف الأولاد والبنات، وبواسطة الحمير والبغال يحملونهم إلى هناك، فيشدّون أيديهم وأرجلهم بالحبال، ويمارسون معهم أعمالاً شنيعة وبشعة، ومن ثم يقتلونهم بشكل مقزز ومأساوي، ويدفنونهم في حفر قد أعدوها مسبقاً.

كانت عصابة (العقرب الأصفر) تعمل بمهنية عالية، ولا تترك لنفسها أي أثر أو موطأ قدم، وقد بذل الأخوة في الحرس الثوري جهداً كبيراً في كشف هذه العصابة، وبعد الكرّ والفر والمطاردة لفلولهم، تم إلقاء القبض عليهم ومعاقبتهم على ما ارتكبوه من جرائم.

يقول قائد هذه العصابة عن وجه تسمية العصابة (بالعقرب الأصفر): إذا لسع العقرب الأسود كائناً حياً يقتله في الحال، أما لسعة (العقرب الأصفر) فإنها لا تقتل في الحال، بل تقتل بالتدريج، وطريقة وأسلوب عملنا بهذا النحو.

كان أهل المدينة ساخطين وغاضبين على ما ارتكبه هذه العصابات من جرائم، فلم يطيقوا اعتقالهم وأخذوا يطالبون بأن ينالوا أشد المجازاة، وبصورة عاجلة وسريعة، ولهذا، ذهبت إلى طهران، واستلمت الحكم الصادر بحق رئيس تلك العصابة المجرمة من السيد

٢٣٢.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

(قدوسي) وعدت ليلاً إلى (همدان)، لكن سيارتي اصطدمت وبقوة قرب (همدان)، وتهشمت فقرتين من رقبتني، كانت حالتي وخيمة للغاية، ولهذا السبب نقلت إلى المستشفى من (همدان) إلى (طهران)، بالطائرة وبقيت فترة زمنية راقدة في المستشفى أعالج، وفي الوقت الذي كنت أرقد في المستشفى، نُفذ الحكم بحق قائد عصابة (العقرب الأصفر)، وبهذا تم تهدئة عواطف وقلوب أسر الضحايا وأهالي المدينة إلى حد ما.

إشعال وإخماد الاضطرابات في (همدان):

بالتضييق على أنشطة التيارات والجماعات والعناصر المحاربة للنظام في العاصمة، وبعض المدن الإيرانية، كانت المنطقة الغربية هي الملجأ الآمن ومحل اختفاء تلك العناصر الفارّة، أو المطرودة، أما في (همدان)، فقد كانت عناصر النفاق تخفي نفسها بين الناس، وتقوم بتحريكهم متى شاءت وكيفما أرادت، وتبدي سخطها وعدم ارتياحها.

في أول خطوة إصلاحية لنظام الجمهورية الإسلامية، تقرر إلغاء النظام القديم للتربية والتعليم، واستبداله بنظام جديد، ولهذا سُمحَ لمجاميع الطلاب الذين هم في الصف السادس متوسط ولم يحصلوا على درجات النجاح أن يمتحنوا كآخر فرصة لهم، لكن هذا القرار لم يدخل البهجة والسرور على طلاب المدارس المعترضين، فقاموا بتظاهرة احتشدوا فيها أمام مبنى المديرية العامة للتربية والتعليم، وهم يهتفون: (الدرجة، الدرجة)، ولكي لا تتأزم الأوضاع، وضعنا عدداً من الإخوة في

الحرس الثوري أمام مبنى إدارة التربية والتعليم، لمنع المعارضين من اقتحام المبنى.

تمت الموافقة على اختيار مجموعة بعنوان كونهم منتخبين من الطلاب أن يدخلوا المبنى، والذهاب إلى الإدارة، وعرض مشاكلهم على المسؤولين المعنيين، كان الممثلون يطالبون بالإرفاق بهم والتسهيل في منحهم درجات النجاح من دون امتحان، فكان مدير التربية والتعليم يعارض هذا الاقتراح بشدة، وقال: «إنه لن يسمح حتى بإعطاء نسبة ١٪ من درجة النجاح. ارتفعت أصوات الطلاب والطالبات مطالبة بالرفض وقد علت الأصوات بالضوضاء والصخب، ثم أخذت تتعالى قليلاً قليلاً وترتفع شعارات حادة، تخيلت أن هذا الأسلوب من الاعتراض لا يمكن أن يخلو من توجيه المنافقين، والمعارضين للثورة، ولهذا أخذنا نرصد بدقة كافة التحركات المشبوهة والمشكوك، وشككنا ببعض، فرصدناهم، ثم اندس الإخوة من الحرس الثوري في داخل تجمع الطلاب المعارضين، وألقوا القبض على عشرين شخصاً بهدوء، وبعد إلقاء القبض على هؤلاء، بالتدريج انتهت الحركة الاعتراضية، وتم تشخيص الأمر أن هناك عناصر حاولت أن تندس في وسط التلامذة لتحيكهم.

في أحد الأيام قام عمال مصنع (مينو) وعمال (المشروبات الغازية) مع عدد من المصانع الأخرى باعتصامات وإضرابات، اجتمعوا في قاعة مبنى البلدية وهم يهتفون بشعار: «نحن لا نقدر أن نحفظ الأمن لأنفسنا»، فكان واضحاً أن هناك من يتدخل لإيجاد مثل هذه التجمعات وإثارة المعارضين، عندما وصلني هذا الخبر، توجهت بسرعة نحو قاعة البلدية.

٢٣٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

عندما وصلت إلى هناك عرفت أن الأوضاع وخيمة ومتأزمة جداً، وأن هؤلاء المحتجون (المعتصمون) ليس لهم أي وجه شبه بالعمال، إذ يمكن وبسهولة التعرف على أراذل وأوباش المحلات الخاصة وبسهولة، ألقى الحرس الثوري القبض على البعض بسبب جرائمهم وإيذائهم وظلمهم للناس، وأطلق سراحهم ثانية بعد إعلانهم توبتهم ونيابهم جزائهم العادل.

دخل الإخوة من الحرس الثوري إلى القاعة، وتحصنوا بأسلحتهم واتخذوا لأنفسهم مواقع في عدة أقسام، تقدمت وتحدثت مع هؤلاء، كان اثنان من الإخوة في الحرس الثوري في غاية الاستعداد والحذر، واتخذ لوجودهم المسلح هذا، إجراءات وقائية لهجوم محتمل من قبل المعتصمين، عندما انتهى نقاشي التمهيدي، بدأ هؤلاء بالكلام أيضاً، كان من الطبيعي أن لا أفهم ما هي مطالبهم ولهذا صرخت بأعلى صوتي: «اصمتوا، هذا لا يصح، إن تكلمتم جميعاً فلن أفهم ماذا تقولون ولن تحل لكم أي مشكلة، اختاروا سبعة أو ثمانية أشخاص كممثلين ليتحدثوا نيابة عنكم، فاختاروا منهم ثلاثة ليمثلوا أمامي لشرح الموضوع وعرض مشاكلهم.

بهذا المقترح ظهرت الخلافات، وانجرّ الأمر إلى نزاع وشجار، وتبين أن كل واحد منهم لا يقبل كلام الآخر، وأخيراً - بعد مشاهدة هذا الوضع - قلت: «اجلسوا، اجلسوا كلكم، إن عجزتم فعلاً عن اختيار مرشحين عنكم، فسأختار أنا من يأتي ليتحدث معي». وفي الأثناء، وقف شخص ادعى أنه عامل في شركة (مينو) وقال: «ليست المسألة معقدة، جاءوا أمس وهجموا على المصنع، وأطلقوا صاروخاً، فنحن لا نؤمن

على أرواحنا». قلت: «حسناً، حتى لو صحَّ كلامك فإن المسؤولية المباشرة لحفظ الأمن في هذه المدينة ملقاة على عاتقي، لو وجد شخص أو جماعة وأرادوا أن يهجموا على المصنع المجاور لساحة المطار الواقع في قلب المدينة، ويطلقون صواريخ (آر. بي. جي) في المكان الذي يقرب منه مقر الحرس الثوري، وحوله الدوريات المستمرة بانتظام، فهؤلاء أيضاً سوف يسمعون دويّ هذه الانفجارات، مع أن هذا لم يحصل، ولم يصلنا تقرير بشأن ذلك، إذاً فليأت مجموعة منكم ليروني محل إصابة الصاروخ وإطلاق الرصاص، فما دمت لا أري ذلك، لن أصدق كلامكم»، قام شخص آخر من مكانه وقال: «كلا، لا تصغوا لهذا الكلام، إنها خدعة، إن هؤلاء يريدون أن يخرجونا من هنا بالتدريج، ثم يفرقوننا»، بعدها أخرج من جيبه سكيناً وقال: «كل من يريد أن يذهب من هنا سأضربه بالسكين، و...».

في أطراف (همدان) يوجد قضاء يسمى (مريانج)، اشتهر شبابه بالحماس والهيجان الثوري والغيرة، وحب الوطن، وكان أهالي مدينة (همدان) يحترمونهم ويحسبون لهم ألف حساب، الكل يعتقد أن أهالي (مريانج) لا يطأطئون رؤوسهم - ذرة واحدة - على حساب دينهم ومعتقدهم، ويعتقدون أن هؤلاء هم فدائيو وأنصار الإمام (الخميني) والثورة.

الإخوة في الحرس الثوري أوصلوا لشباب (مريانج) أنباءً حول الأوضاع المتشجّنة والمتأزّمة في المدينة، وكنا نتوقع حضورهم وتواجدهم في أيّ لحظة، كانت الساعة ٣/٣٠ من بعد الظهر، وقد كنت في الصباح قد تحدثت عدة ساعات مع المتجمعين في مبنى البلدية، ولم

٢٣٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أحصل منهم على نتيجة، وصل خبر: بأن الإخوة من (مريانج) قدموا، وهم في طريقهم إلى المدينة في ثلاثة باصات، مع ذكر هذا الخبر، ارتفع الضجيج والهمهمة بين المعتصمين المعترضين، فأقلق الجميع وجعلهم يعيشون حالة من الذعر والتشويش، فشاهدنا المعتصمين وهم يخرجون واحداً تلو الآخر، أو جماعة تلو جماعة من القاعة، وتفرق أكثر الذين كانوا يظهرون نوعاً من السماجة والتصلب، لقد شعروا بالوحدة والخوف، وغادروا المكان، وبهذا النحو، تم إنهاء الإضراب بدون وقوع خسائر أو نزاع أو إطلاق ولو رصاصة واحدة.

عندما وصل أهالي (مريانج)، كان المعتصمون قد غادروا المكان ولاذوا بالفرار.

ومن ثم تعرّفنا على العناصر والمكونات الأصلية والمحورية المنظمة لهذه الاعتصامات والاضطرابات، واعتقلناهم.

الفضيحة:

شخص يدعى (هادي روشن روان) وهو زوج (بهجت تيفتكشي) إحدى معاوني مسعود رجوي في العراق» استطاع – وبالتعاون مع مجموعة تفكر بنفس طريقته – أن يؤسس حركة تابعة لمنظمة مجاهدي خلق في (همدان).

إمام جمعة (همدان) المؤقت هو الحاج (تقي عالمي الدامغاني)، ينتمي كلا ولديه إلى حركة (روشن روان)، وبعد مدة تحول هذا التعاون إلى (عضوية) في الحركة، للأسف كان أبوهما يدعمهما ويمولهما مادياً ومعنوياً، ويضع تحت تصرفهما كافة المستلزمات من سيارة، وأجهزة

صوتية، و... وبهذا الدعم والحماية، استطاعا أن يوفرا عدداً كبيراً من الأسلحة الخفيفة والثقيلة ووسائل النقل، ويضعها تحت تصرف المنظمة.

شاهدت يوماً أحد أبناء (دامغاني) يركب سيارة (تويوتا)، كانت هذه السيارة جزء من الأموال المصادرة، من أحد متمولي وأثرياء نظام الطاغوت في (همدان)، فأصدرت أوامري بإيقاف هذه السيارة أينما وجدوها، واعتقال ركابها.

لم تطل المدة، وإذا بالسيارة وابني السيد (دامغاني) يأتي بهما الحرس الثوري إلى المقر، بعد أن علم السيد (دامغاني) جاء مسرعاً إلى مقر الحرس الثوري، كان متألماً وغاضباً، قال: «هذه السيارة تحت تصرف أولادي، لماذا أوقفتموها؟ وأي جريمة ارتكبها ولدي حتى تعتقلونهما؟ سأ اتصل اليوم بمكتب الإمام (الخميني)، وأقول له: إن الحرس الثوري أهانني وظلمني، وسأواجهك ياسيدة (دباغ) وأعزلك، فبأي حق تتعاملين مع أولادي هكذا».

كان السيد (دامغاني) إمام جمعة (همدان) المؤقت، واحترامه كان فرضاً ولازماً، ولهذا حاولت بكل طريقة أن أهدها، وتعهدت له أن أذهب بنفسني إلى بيته لحل الموضوع، وتوضيح القضية في أول فرصة.

وطبقاً للوعد والعهد الذي التزمته على نفسي، قمت بزيارة إلى بيت الحاج (تقي الدامغاني) وشرحت له كيفية أنشطة وفعاليات أعضاء منظمة المجاهدين، ثم ذكرت له سبب اعتقال ولديه، لكنني شعرت بأن هناك من يتنصت عليّ، ومع شعوري بعدم الأمان والاطمئنان، لخصت كلامي بسرعة، وقبل أن ألقى تحية الوداع، قمت بسرعة وأخذت أمشي

٢٣٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

على أطراف أصابع قدمي بكل هدوء من على السلم، فتحت باب غرفة تقع في الطابق الأول، شاهدت... نعم كانت زوجة (دامغاني) هي التي تنصت، وضعت مسجل إلى جانب سماعة الهاتف، وهي تسمع كلامنا وتسجل، عندما وقع بصرها عليّ، أخذتها الصدمة، وقالت: «السلام عليكم، عفواً، أنت هنا، تفضلي ادخلي»، اضطربت كثيراً، ولم تعرف ماذا تقول. قلت: «أيتها الخائنة»، قالت: «أتعرفين ماذا تقولين؟»، قلت لها: «وهل تعرفين أي جريمة قدرة ترتكبيها؟»، قالت: «اعرفني قدرك مع من تتكلمين؟ إنك توجّهين إهانة لزوجتي إمام الجمعة»، قلت: «وكانت زوجة الإمام الحسن (عليه السلام) هي التي سمته، لو لم يكن احتراماً لكرامة السيد (دامغاني) والثورة أيضاً، لوضعت القيد الآن في يديك، رفعت بيدي جهاز التسجيل والهاتف، وعندما أردت الخروج من الباب، نزل السيد (دامغاني) أيضاً وقال: «السيدة (دباغ)، أنت إلى الآن هنا؟» قلت: «نعم، جئت لأهدم وكر تجسس زوجتك؟» قال: «ما هذا الكلام؟» قلت: «إن هذه السيدة تسجل كلامنا بهذا المسجل والميكرفون»، قال السيد (دامغاني): «الغرفة فوق لا يوجد فيها ميكرفون»، فأجبت بسخرية: «لماذا، لعلك لا تلقي نظرة على ما تحت عباءتك، أو وسادتك وفراشك»، تأذّي من هذا الكلام، وأخذ يماطل معي في الكلام، فشعرت أن لا نتيجة من هذا البحث معه، خرجت ومعني أجهزة التجسس المكشوفة.

بعد هذا الحادث تشرفت بلقاء بالإمام (الخميني)، لأسلمه تقريراً عن نشاطي والوثائق والمستندات التي حملتها معي، بعد أن وقف الإمام على الحقيقة، قال: «اعملي بكل ما ترين فيه مصلحة، ولكن عليك أن تحافظي على الثورة»، كان الإمام في غاية الحساسية لعمل ممثليه وأئمة

الجمعة والجماعة، كان يريد أن لا يتعرض الإسلام والثورة إلى انتقاص أو ضرر.

بعد مدة قمنا بتفتيش بيت السيد (دامغاني) فعثرنا في السرداب وتحت حوض الماء على مجموعة من الأسلحة، أخبرنا بذلك الإمام (الخميني)، فأصدر مرسوماً بإعفاء السيد (دامغاني) من منصب إمامة جمعة (همدان)، ونصب مكانه الحاج (رضا فاضليان).

كان في تعامل الإمام (الخميني) هذا درساً كبيراً لنا، فقد عرفنا نحن أن الأصل هو الثورة والإسلام، وكل من وقف بوجههما سيزال من أمامهما حتماً، وإن كان ذلك الشخص رجل دين، وكانت له خدمات جليلة كثيرة في الماضي، وتحمل الكثير من المصائب والويلات من أجل الثورة.

مظاهر وأوجه النفاق:

إن الدفاع السري لبعض الوجوه والمسؤولين آنذاك عن الجماعات المعارضة للثورة خلق لنا تعقيدات في مواجهتهم، ولو لم يكن ذلك الدفاع عن هذه الجماعات، لكان القضاء عليها أمراً مريحاً وسهلاً جداً.

أحد الوجوه والقادة القديمين في الجبهة الوطنية، كان ينتمي إلى هذه المنطقة (غرب البلاد)، تسلّم أمراً من الحكومة المؤقتة بأن يدافع ومجموعته عن الحدود الغربية، فارتبط (صادق قطب زاده)^(١)، عن طريق

(١) ولد (صادق قطب زاده الأصفهاني) في عام ١٩٣٦م، أنهى دراسته الابتدائية والثانوية

٢٤٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان
هذا الشخص وهذه المجموعة مع المعارضين للثورة، وأخذ يُدافع عنهم
بأشكال مختلفة.

أراد (قطب زاده) تقوية ورفع قدراتهم العسكرية والدفاعية، من
خلال تسليمهم السلاح والعتاد، كنت أنا من جملة من عارضوا بشدة
هذا الرأي وهذا النوع من العلاقة، وكنت أعقد عدة اجتماعات مع (قطب
زاده) يومياً ما يقارب ثلاث ساعات ونصف، وكنت أعتقد أن تسليم
السلاح والعتاد إلى العناصر المعارضة للثورة وإلى هذه الجامعات التي
تدعي حمايتها للحدود وحراسة المنطقة هو خطأ استراتيجي وغير
صحيح أبداً، وأقول: «نحن لا نريد أن نجازف ووجود السلاح والعتاد

في طهران، وبعد الانقلاب العسكري ١٩٥٨م التحق بحركة المقاومة الوطنية كممثل لطلاب
المدارس، وبهذا السبب، أُلقي عليه القبض واعتقل مرتين، سافر في عام ١٩٥٨م لإكمال دراسته
إلى أمريكا، التحق بالطلاب الجامعيين السياسيين منذ دخوله إلى أمريكا، أُلقي (قطب زاده) في
عام ١٩٦٠م خطاباً كشف فيه أسراراً أثناء اعتراضه على احتفال (أردشير زاهدي) و(شهناز
بهلوي) في فندق (استد تلي) تم إبعاده من أمريكا في عام ١٩٦٢م، وبعد ثورة (١٥ خرداد) ١٣٥٠/٦
١٩٦٣م، سافر إلى منطقة الشرق الأوسط، وقام إعداد بعض المقدمات للعمل المسلح، عاد ثانية
إلى أمريكا عام ١٩٦٧م، وبعد إقامته عدة أشهر، تم طرده منها، فسافر إلى كندا، ثم سافر في عام
١٩٦٩م إلى أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط، شارك في حركة المقاومة الفلسطينية، والجمعية
الإسلامية للطلاب الجامعيين في أوروبا، وتصدى لقيادة حركة الحرية الإيرانية في خارج البلاد،
كان (صادق قطب زاده) يسافر عدة مرات للقاء الإمام الخميني في النجف، وأخيراً التحق به في
(باريس)، عاد مع الإمام الخميني إلى إيران في ١٩٧٩/٢/١م، ترأس إدارة الإذاعة والتلفزيون في
الحكومة المؤقتة، ثم عيّن مع حفظ السمة لوزارة الخارجية. غيّر (قطب زاده) منهجه في العمل
بعد سقوط الحكومة المؤقتة ومال إلى (بني صدر)، وتحول في رؤيته إلى خصم للثورة والقيادة،
إلى فترة هروب (بني صدر) من إيران، فمهد للقيام بانقلاب عسكري ضد النظام، وقد أحبط هذا
الانقلاب، فأُلقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام، وأُعدم في يوم الخميس ١٩٨٢/٩/١٤م.

بأيدي هؤلاء يمكن أن يشكل خطراً، وإن كنتم مصرّين على ذلك، وأن تسلموهم الحدود وحمايتها، أو أيّ أمر آخر، فلأجل الاحتياط ليشاركهم ويكون في وسطهم عدد من أفراد الحرس الثوري»، لم يكن (قطب زاده) يرضخ لهذا الاستدلال والمنطق، حتى وصل الأمر إلى المشاجرة الكلامية، لا أذكر بدقة ولكنني أعتقد أنني تشاجرت معه بشدة في معسكر في (سربل ذهاب)، وأخيراً قلت له: «أنت لا تملك أي مسؤولية هنا، حتى وإن كنت ممثل الحكومة المؤقتة، ورئيس الوزراء السيد (بازرگان)، لا أريد أن أتدخل بمسائلكم هذه، أما بالنسبة للقضايا العسكرية، فلا يحقّ لك اتخاذ القرارات، وإن كان لك وجهة نظر أو مقترح، اكتب هذا واعرضه، أما اتخاذ القرارات، فإنه يطرح في المجلس المركزي للحرس الثوري، ووضعنا غير مستقر، ولا نثق في شيء، لأننا يمكن أن نواجه الخطر في كل لحظة».

كانت هذه المواجهة الكلامية بالنسبة لقطب زاده ثقيلة جداً، فقد ذهب من هنا، لكن لا أدري ماذا قال عن هذه الجلسات، وأيّ تقرير قدّم، وما أعلمه أن الزمن أثبت صحة رأيي هذا ورأي الذين رفضوا أسلوب قطب زاده.

للأسف مع وجود هذه الاجتماعات، المفاوضات، والتعاملات، استطاعت تلك الوجوه وبالتعاون مع بعضها البعض أن تثقل كاهلنا ونكون في مخمصة تخلق لنا المشاكل، ويصير الأمر أكثر تعقيداً، مضافاً إلى هذا، لم يكن هناك انسجام وتعاون بين الجيش والحرس الثوري، والسبب الأصلي في ذلك هو (بني صدر) نفسه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن وجود بعض الأشخاص بعنوان أنهم

٢٤٢.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

ممثلين عن الحكومة المؤقتة في المنطقة، قد عقد عملنا وأثقل كاهلنا.
استطاع (قطب زاده) من خلال الجهود التي بذلها أن يحصل
لمجاميعه على أكثر من ٣ آلاف قطعة سلاح من مختلف الأنواع
كـ (البرنو) و(جي ٣)، وحقق هؤلاء أهدافهم الواقعية.
بعد الاقتتال مع معارضي الثورة، كان العتاد والأسلحة التي تقع
بأيدينا، هي نفس الأسلحة التي سلمناها إياهم.

تناول المشويات:

التحق كثير من المتطوعين المحليين بنا للمشاركة في المعارك
والقتال، وتطهير المناطق، وبعضهم سبق أن كان مع (كوملة) و(الحزب
الديمقراطي) وكان من ضمن الملتحقين أحد أعضاء (الحزب
الديمقراطي) سابقاً، وحصل على وثيقة عدم التعرض له، وقد كان يبذل
جهوداً مظهرية - حقيقة - ويدلي لنا بكل ما لديه من معلومات، علمنا بأنه
كان ماهراً في الرمي بسلاح (آر. بي. جي) وكان يسعى كثيراً أن يظهر
نفسه أنه من أنصار الثورة والإمام، لكنني لا أثق به مئة بالمئة؛ ولهذا
السبب كنت أمره أن يرافقني في حلّي وترحالي، ليكون تحت نظري
وسيطرتي، المثير للاهتمام هو أن هذا الشخص لا يعرف التعب أبداً، ولا
يعرف الليل من النهار، فهو دائماً في شغل، ولو لم يرقد للنوم مدة ٤٨
ساعة، فلا يعترض على ذلك.

المثير للاهتمام أن نفس هذا الشخص عندما وقع نظره على قطيع
من الغنم، تأوه من أعماقه، اشتاق إلى تناول المشويات. وقع في يوم ما
بصره على قطيع من الغنم، فقال بلهجته الكردية: «أختاه، اللحم

المشوي»، كان يقول هذه الجملة بحالة عجيبة، مفهومها: أن يذهب فيحوم حول قطيع الغنم، ويسرق خروفاً منه، ثم يأتي به، فيذبحه ويشويه، قلت له: «يا هذا، هذه نقود، مثلاً (١٠٠ تومان) خذها واشتر لك لحماً مشوياً وكل ما تشاء»، فقال: «كلا، إنني ألتذ في اللحظة التي أذبح فيها الخروف وأشويه بيدي، فهو طعام شهى ولذيذ»، لقد واجهنا أشخاصاً ظهرُوا على حقيقتهم كهذا الرجل، وقد أظهر هؤلاء وبشكل عملي أنهم غير قادرين على التمسك والوفاء ببيعتهم التي بايعوا بها إلى ما لانهاية، ليقوا أوفياء بعهدهم مخلصين.

الانقلاب العسكري في قاعدة (نوزه):

كما ذكرت سابقاً إن إيجاد الارتباط والعلاقة الحميمة والمتقابلة «من طرفين لا من طرف واحد» مع الجماهير والشعب، والاعتماد على دعمهم، تنبثق عنه البركات الكثيرة لتثبيت وترسيخ دعائم الثورة، ومن جملتها مساهمة النسوة البواسل من أهالي (همدان) في الكشف عن أوكار ومراكز التجسس والمؤامرات من خلال التقارير المرسلة.

اتصلت سيدة بي في أحد الأيام، ونقلت لي أخباراً عجيبة، قالت لي: إنها أرادت أن تتصل هاتفياً بشخص، ولكن خط هاتفها اشترك عند الاتصال بشخصين آخرين، كانا قد تواعدا أن يلتقيا في منطقة (نفظ شهر)، واتفقا على أن يرى كل منهما الآخر في سيارة، وكانت سيارة أحدهما (تويوتا) باللون البني، أما الآخر فسيارته حمراء من نوع (بي. إم. دبليو)، وقد أكدت هذه المرأة على أن كلامهما كان مشكوكاً، وكانا يتحدثان عن وقوع حادثة في هذه الليلة واستعداد القوات، و...

٢٤٤.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

قطعت السيدة، التي كانت تنقل خبر هذه المكالمات الهاتفية العجيبة، اتصالها بدون أن تُعرّف عن نفسها، فقامت بسرعة بإرسال عدة أشخاص من الإخوة في الحرس الثوري إلى العنوان المطلوب، لمراقب عن كتب كافة التحركات المشبوهة والاتصالات والزيارات والمواعيد، وبهذا وقع هؤلاء في مصيدتنا بعد الكشف عن تحركاتهم، وأدت عمليات الكرّ والفرّ والملاحقة والمطاردة إلى أن نحصل على معلومات قيّمة وفي غاية الأهمية، وهي الإخبار عن أن مؤامرة كبيرة جداً ستقع وعن انقلاب عسكري.

لم أكن في ذلك الوقت أثق كثيراً في التلّكس والهاتف، ولهذا قمت بإرسال بريد خاص إلى طهران، لنقل كل ما حصلنا عليه، وبهذه الخطوات ألقى القبض على كل عناصر الانقلاب العسكري في (نورّه)^(١)، خلال ثلاثة أشهر.

(١) بتاريخ ١٠/٧/١٩٨٠م، قرر القائمون على الانقلاب العسكري أن يشنوا عملياتهم إنطلاقاً من قاعدة الشهيد نورّه الجوية في (همدان)، ومن ثم الهجوم على المراكز الهامة في طهران وقم، ومنها: محل إقامة الإمام الخميني، المدرسة الفيضية في قم، مقر رئاسة الجمهورية، مكتب رئاسة الوزراء، مراكز ومقرات الحرس الثوري، معسكر ولي العصر (المقر الحالي للقوة الجوية للحرس الثوري)، الهجوم على المخازن المهمة للجيش وقصفها، وبعد السيطرة على الأوضاع، يتم تشكيل حكومة باسم (الحكومة الاشتراكية الديمقراطية الإيرانية). تم الكشف عن الانقلاب العسكري ومؤامرة أميركا من قبل حرس الثورة، واللجان الثورية والجمعيات الإسلامية للقوة الجوية والشعب، والإطاحة بها، وألقي القبض على مجموعة من الضباط الطيارين، وقادة كبار في الجيش. (الصحف - ١٢/٧/١٩٨٠م).

محاولة اغتيال فاشلة:

في المذكرات المرتبطة بما قبل الثورة، قلت: «إنني وقبل الاعتقال وذهابي إلى السجن، بالإضافة إلى ارتباطي (بمجمع رجال الدين المناضلين) كانت لي صلة وارتباط أيضاً بالطلاب الجامعيين المناضلين في (جامعة العلوم والتكنولوجيا)، الجامعة الوطنية (جامعة الشهيد بهشتي)، وجامعة (آريا مهر، جامعة شريف الصناعية)، حصل هذا الارتباط من خلال أولاد أخوات زوجي: (سجادي)، (عراقجي)، و(قيطاني)، حيث كانوا من الطلاب في تلك الجامعات، ولكن مع الأسف أن بعض هؤلاء، بعد انتصار الثورة وبسبب الضعف الأيديولوجي أو التطرف، مالوا والتحقوا بالمنافقين، ومن جهة أخرى كنت حدية وقاطعة جداً بحكم كوني قائداً للحرس الثوري في (همدان)، ومن دون أن أتهاون في تعاملي لمواجهة العناصر المعارضة للثورة، ولهذا كان هذين الاتجاهين يكونون لي الحقد ويصبون عليّ جام غضبهم.

في أحد الأيام اتصلت بي إحدى بنات أخت زوجي هاتفياً، وقالت: «يعقد الليلة مجلس عزاء في البيت» ودعتني للحضور في المجلس، لم أكن أعلم بالتحاقها بالمنافقين، إلا أنني رايت جانب الحيطه والحذر، ورافقني في الذهاب إلى هناك ٧ إخوة من الحرس الثوري، ذهبنا إلى شارع (فرهنگ - الثقافة) في مدينة (همدان).

وقف اثنان من الإخوة الحرس يراقبون خارج البيت، وأخذ الآخرون ينتظرون في داخل السيارة، اتفقنا أن أذهب لوحدي لهذا المجلس، وإن طال مكثي أكثر من ٢٠ دقيقة، يقتحموا البيت ويدخلوا.

عندما دخلت إلى البيت شاهدت صمتاً عجيباً يحكم البيت، ليس هناك دعاء ولا مجلس عزاء، كان يوجد في البيت عدا بنت أخت زوجي شخصان آخران، بعد السلام والترحيب، عرفت أن هذين الشخصين من الأكراد، كانوا صامتين لا يتكلمون، كأنما كانوا ينتظرون شخصاً ثالثاً يلتحق بهم، قلت لابنة أخت زوجي: «عرفينا على السادة؟»، قالت: «هذا قادم من (طهران)، وهذا من (کردستان) قلت: «كان من المقرر إقامة مجلس عزاء؟»، قالت: «نعم، تقرر أن نقرأ مجلس عزائك»، بهذه الجملة علمت أنني لم أخطأ في حساباتي، وعلى كل حال، عليّ أن أؤخرهم لمدة ١٥ عشر دقيقة أخرى، فقلت: «نحن ليس بيننا عدا، إن كان هناك مشكلة، تفضلوا اجلسوا لناقشها»، قال الشخص الآخر: «كلا، نحن لا نناقش»، قلت: «لا يمكن هذا، على أي حال متى ما أرادوا ذبح الخروف، يأتون له بالماء على الأقل، ويسمّون عليه، ويلطخون رأسه بالحناء، ثم يذبحونه، اجلسوا وتفضلوا قولوا ما هو كلامكم؟ ولماذا تريدون قتلي؟ تكلموا وأبدوا رأيكم، لعله كلام معقول، يفيدنا، أو عندنا نحن كلام أيضاً يفيدكم»، فسألوا: «هل أنت لوحده؟ أم أن أحداً ينتظرك في الخارج؟»، قلت: «السائق وعدد من الحماية ينتظرون في السيارة» كنت أظن أنهم شاهدوهم، وبهذا النحو... أردت أن أؤخرهم بعض الوقت بأي نحو كان، لتنتهي الـ ٢٠ دقيقة التي اتفقنا عليها.

عندما احتدم الكلام والنقاش، خرج من وراء الستار رجل طويل قوي، وقال: «تعتقدين أنك الوحيدة الفريدة في (همدان)؟ أيتها البائسة الفقيرة سيئة الحظ، سنقطعُ هنا إرباً إرباً، ليكون درس وعبرة للآخرين، والآن قولي بسرعة كم عدد الأسلحة عند الحرس الثوري؟ وأين مخبأة

٢٤٧.....الفصل الثالث: الأمواج

ذخيرة السلاح؟ وكم عدد قواتكم و...» قلت: «ولم لم تقولوا هذا من الأول، فليس بيننا قتال، ولنفترض أنني وقعت أسيرة في فخكم فلماذا أنتم مضطربون؟ لا حاجة إلى الاستعجال، إن كنتم تخافون من أفراد الحماية التي معي اطمئنوا إنهم ينتظرون في خارج البيت، حتى ينتهي مجلس العزاء، وصاحبة هذا البيت بالنسبة لي ليست غريبة، وهي تعلم بذلك، وليس هناك من شك لهم أبداً، اجلسوا إذاً واسألوا سؤالاً سؤالاً لأجيبكم عليه، فإن لم تحصلوا على نتيجة ارموني بالرصاص واقتلونني، أسلحتكم أيضاً فيها كواتم للصوت، ولن تحدث لكم مشكلة، وستغادرون المكان قبل أن يصل أي شخص ويفهم ما حصل».

كنت أرتب لهؤلاء صغرى وكبرى القياس، إذ قفز اثنان من الإخوة الحرس إلى ساحة البيت، انشغل ذهن هؤلاء للحظة، فسحبت مسدسي مباشرة، وكان ذلك الطويل صاحب الشارب المفتول المشقوق الأذن مسلحاً أيضاً، وجهت مسدسي نحوه، وكأن المنظر يشبه أفلام الكابوي، يشهر كل منهما مسدسه بوجه الآخر، ولا يعرف من الذي سيطلق الرصاص أولاً، ولكي نقرر من يبدأ في ذلك، دخل الإخوة الحرس وهم في غاية الهيبة والوقار إلى داخل الغرفة، وقالوا: «البيت كله محاصر» وبهذا النحو، أُلقي القبض على هؤلاء الأربعة.

قدّمت ابنة أخت زوجي وحقق معها، فعلم أنهم اشتروها بطريقة بخسة رخيصة، وأنها كانت تجهل أنها واحدة من المنافقين، وأنها تعمل لصالحهم، لم تكن تعرف القراءة والكتابة، وكانت تعمل في إحدى ورش الميكانيك، قدمت إلى المحاكمة مع اثنين آخرين، فأصدرت محكمة الثورة بحقهم حكماً بالإعدام وتم تنفيذه.

٢٤٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

في عام ١٩٨١م، خُطِّطَ لاغتيالِي أيضاً، ونجوت بشكل عجيب،
يوجد في (همدان) مصنع باسم (لرد) لصناعة المراوح، كنت أعيش فترة
في بيت حارس هذا المصنع.

توجد ساحة كبيرة شبيهة بالصحراء خلف المصنع، استطاع
المتآمرون أن يوصلوا أنفسهم لمحل ترددي من خلف هذا المصنع،
كانوا يرصدونني، لينفذوا خطتهم المشؤومة عند مجيئي ودخولي.

كان لي في تلك الأيام حفيداً صغيراً من ابنتي عمره أربع سنوات
قدم مع أهله إلى (همدان)، وجاء معي.

في يوم الحادثة كنت أنا وحفيدي في سيارة، عندما وصلنا إلى
المصنع، وإذا بحفيدي يصرخ: «أماه (مرضية)، أماه (مرضية)، ذاك الرجل
بيده مسدس، انظري إنه يوجهه نحوك»، وفي اللحظة التي أطلق فيها
ذلك الإرهابي الرصاص عليّ، أستدرت بالسيارة، فأصابت الرصاصات
عجلة السيارة، أراد أن يبدل مخزن الرصاص، فضاعفت من سرعة
السيارة وأوصلت نفسي إلى الشارع الرئيسي، لم يستغرق وقتاً طويلاً،
وإذا بالناس قد تجمعوا هناك، وجاء الإخوة من الحرس الثوري، ولكن
مع الأسف لم نستطع إلقاء القبض على الإرهابي، وهرب من تلك
الخربة التي خلف المصنع.

الغيرة والحمية الشعبية:

عندما هُوجِمَت مدينة (كامياران) إحدى مدن (كردستان) المجاورة لحدود (كرمانشاه) من قبل جماعات (الحزب الديمقراطي) و(كوملة) تأججت الغيرة لدى أهالي (كرمانشاه)، وتألّموا وغضبوا بشدة، وأرادوا أن ينفردوا بالعمل لحماية أعراضهم ونواميسهم، والدفاع عن حيثيتهم وترابهم، لكنهم لم يكونوا يمتلكون السلاح.

هجم هؤلاء الأهالي الغاضبين على الجهة الخلفية لمقرّ الحرس الثوري، وطالبوا بالسلاح والعتاد، شعرنا بأن هذا الأمر سيسبب الفوضى والاضطرابات، وليس بعيداً أن تكون الأيدي الخفية (للمنافقين) وراء هذه الاضطرابات، امتنعنا عن تلبية هذه المطالب، وعندما شاهد الأهالي مخالفتنا، أخذت ترفع شعارات ضدنا، وعندما أصبح الحال هكذا، وثقت بأن وراء هذا عدداً من المنافقين المندسّين بينهم.

كانوا يقولون: «نحن نريد أن نقاتل المعتدين، ولكنكم ترفضون، إذاً أنتم معهم»، لكننا لم نكن نريد أن نواجههم، ولا نقدر في تلك الظروف أن نعزلهم لنرى من الصادق فيهم ومن الكاذب؟ ونعلم أيضاً أن السلاح والعتاد إن وقع بيد هؤلاء الأهالي الغاضبين، فسيحاول المنافقون أن يصطادوا في الماء العكر، ويستغلونهم.

لتهدئة الأجواء وترطيبها، عقدنا اجتماعاً مع الإخوة الحرس أولاً، وعقدنا العزم على المقاومة أمام مطالبهم، وأن لا نسمح لهم بالدخول إلى المقرّ، وإن قام أحد منهم بذلك، نقوم باعتقاله. وفي المرحلة التالية فتحنا معهم باب الحوار، لكنه لم يثمر عن شيء ولم يكن مقنعاً.

فكرنا في طريقة أخرى وحلّ آخر، قلنا: «أعطونا هوياتكم وبطاقاتكم الشخصية لنسلمكم الأسلحة والعتاد» فلم يحظَ هذا بالقبول وواجه الرفض، وعندما علم الأهالي ذرائعنا وأعدارنا، بل تملصنا، قالوا: «إن لم تعطونا الأسلحة، فسنحارب بالمجراف والعصي والسكاكين» وأرادوا أن يعملوا بهذا الأسلوب حقيقة، وبمشاهدتنا هذا الوضع، احتملنا وقوع قتلى كثيرين، واستيقناً أن أغلب هؤلاء مستميتون للدفاع عن المدينة وحيثياتهم، ولهذا قررنا مع الإخوة أن ندخلهم إلى المقر، ونعزل من نشك به، فنُعلم البعض منهم على استخدام السلاح بإجمال، والحد الأدنى في إطلاق النار، وكيفية التسديد والتصويب، وفتح وغلق الأسلحة وكيفية تعبئة المخزن بالعتاد؛ رحّب الأهالي بهذه الفكرة، فشاركوا في هذه الاجتماعات بكل لهفة وشوق.

كانت أيام عصيبة وصعبة، كان الإخوة في الحرس الثوري يكافحون ويبدلون قصارى جهدهم بعشق وإخلاص، ولم يكن هناك دافع لهم سوى الدوافع الإلهية التي جعلتهم يعملون ليل نهار، وكنت أشاركهم في ذلك.

في الليلة الثالثة، وبعد صلاة المغرب والعشاء، شعرت بالضعف، لم تكن عيناى تبصر شيئاً، ولا أذناى تسمع شيئاً، ولا أفهم ما يتكلمون به وينطقون، فشعرت بأن وجودي بهذا الشكل بينهم لا فائدة منه، قلت للإخوة: سأذهب لأستريح نصف ساعة، إلى أن تتحسن حالى، كانت هناك حديقة صغيرة ليس فيها ضوء؛ وذلك لأن الناحية الأمنية تقتضى ذلك، كان المكان مظلماً، وبينما كنت بين النوم واليقظة وقد اشتدّ بي النعاس، سرت نحو الحديقة، ووضعت ملحفة على

الأرض، فاستلقيت عليها ونمت، ولم أشعر بأن أرض الحديقة مبللة.
لقد كان النعاس غالباً على لدرجة أنني لم أشعر بأن الحديقة قد
سقيت بالماء وهي مبللة.

استغرقت في نوم عميق لمدة ٤٥ دقيقة، فاستيقظت فجأة على
صوت إطلاق رصاصة، نهضت من مكاني، وإذا بي من رأسي إلى
أخمص قدمي مبللة، كنت أنا والملحفة قد تبللنا، كانت الحالة عجيبة
ومدهشة، وبينما كانت ثيابي تقطر من الماء، ذهبت إلى الإخوة الحرس،
فشاهدت أن أحد الإخوة في الحرس عندما كان يدرب الأهالي على
السلاح، أطلق الرصاصة خطأً، فأصاب قدم أحد الأهالي هناك.

لم تبزغ الشمس، وإذا بخبر عاجل قد وصل وهو: أن المنافقين
وبهذه الذريعة (استلام الأهالي الأسلحة لمواجهة المعتدين) قد داهموا
أحد المقرات العسكرية، وأغاروا على مخزن الأسلحة والعتاد. وفي هذا
إشارة إلى أن قلقنا كان في محله.

لكننا والحمد لله قمنا بعزل الأشخاص ممن يشك فيهم عن
الأهالي؛ لكي لا نواجه مشكلة، علماً بأننا قمنا بتعليم كثير من الأهالي
على السلاح.

المستحققات والإيثار:

كان الإخوة من الحرس الثوري في تلك الأيام يتعاونون معنا في المقر، وقد حضروا باعتقاد كامل وبرضى من أعماقهم، وليس لهم هدف سوى رضا الله، وبروح ثورية وحماس وإيمان يمتلكونه، وتحملهم للصعاب والشدائد والظروف والأجواء القلقة والغير آمنة للمنطقة الغربية، جعلتهم أقوياء راسخين، لا يطلبوا من ذلك شيء سوى عاقبة الخير والسير نحو الشهادة.

لم يكونوا يعرفون الليل من النهار، ولا يعيرون أهمية للأهل والأولاد، ولا الأب والأم، بل كانوا مضحين بمعنى الكلمة، وكل شيء هناك فإنه يدور في فلك الثورة ومحور الإسلام، لم يأت أحدٌ لهذا الطريق ليحصل على مكاسب مادية، فالحديث بمثل هذه الأمور يعتبر تقليل من شأنهم، لكننا وبحكم الوظيفة والمسؤولية، لم نسمح لأنفسنا أن لا نحرك ساكناً بالنسبة لعوائلهم واحتياجاتهم، فهؤلاء مسؤولون عن كفالة زوجة وأبناء، أو أب وأم على الأقل، والإغماض عن احتياجاتهم بعيد عن مسؤولياتنا وتكاليفنا.

وصلت رسالة من المركز أن يبلغ الإخوة في الحرس الثوري ليحددوا مبالغ رواتبهم التي تكفيهم، عندما عرفوا بمحتوى الرسالة، تألموا وقالوا: ما معنى هذا الكلام؟ إننا لم نأت هنا لأجل المال، لو كنا نريد الأموال، لذهبنا إلى أماكن أخرى يمكننا أن نؤمن ذلك في الوظيفة السابقة مثلاً، كنت كلما استدلت لهم، يرفضون أن يحددوا لهم رواتب، يقولون: «يكفينا أننا نتغدى ونتعشى هنا، ونأخذ ملابسنا من مقر

الحرس الثوري، فماذا نريد أكثر من هذا؟ إنه عمل للقرآن والله، والتحرك لتقوية الإسلام، ولا يُتقاضى منه راتب»، فكنت أجيب: «وهل أن البحث حول الهندام والطعام والشراب والبطن هو خاص بكم، فماذا تفعل أسركم وعوائلكم ومن تتكفلونه؟ إن لم تذكروا احتياجاتكم، فحددوا على وجه التقريب مصروفاتكم واحتياجاتكم في الشهر، إننا لا نمنحكم رواتب بل إعانات ونفقات للأسرة والعائلة.

لم يؤثر فيهم هذا الكلام، وأخيراً أخذت أضع رقم وميزانية خاصة لحاجة أسرهم وعوائلهم، لكنهم كانوا يرفضون ذلك بشدة.

كان من بينهم شخص يدعى الحاج السيد (مختاران)، دخل إلى الحرس الثوري بعشق وإيمان حقيقي، وكان يبذل مجهوداً كبيراً، كان إنساناً ملتزماً ومتديناً جداً وثورياً، جاء لمساعدتنا منذ الأيام الأولى لتشكيل الحرس الثوري، على الرغم أن عمله بائع حلوى، وكان له دخل جيد ومناسب، لكنه باع دكان الحلوى، وصرف نقوده وأمواله للثورة. لقد كان يرفض وبشدة أن يستلم راتباً شهرياً من الحرس الثوري، وعلمت بعد ذلك أن زوجته علاوة على إدارتها البيت والأسرة في النهار، كانت تحيك الجوارب في الليل، وكان ابنها يبيعها لها في النهار، وبهذا النحو يرتزقون ويؤمنون حياتهم ووضع معاشهم.

القائد الأعرج:

عندما كنت فى خدمة الإمام فى فرنسا فى (نوفل لوشاتو)، أو بعد ذلك، تصدّيت لمسؤوليات عديدة ووظائف كثيرة، وكنت إذا ذهبت إلى الإمام لتسليمه تقريراً عن نشاطى أو المشورة أو أخذ النصائح، كنت أخاطبه بالحاج السيد (حاج آقا) وكان سماحته يخاطبني: (بالأخت طاهرة).

فى أثناء التحركات القتالية التى كان يشنها أعداء الثورة فى غرب البلاد وفى (کردستان)، كنا نقوم بجولات استطلاعية للمنطقة، أصبت فى ساقى بشظية، بسبب انفجار عبوة، نقلت على أثرها إلى مستشفى الشهيد (مصطفى الخميني)، وبعد الجراحة والمداواة تحسنت حالتي؛ وعندما صرت قادرة على الوقوف على رجلي باستخدام عصا تحت إبطي، ذهبت إلى زيارة الإمام، فلما شاهد حالى، تبسّم، وقال: «يا للعجب، القائد يعرج أيضاً».

فى عام ١٩٨١ وبعد هذا اللقاء وبسبب المشكلة فى ساقى، قدّمت استقالتى من قيادة الحرس الثورى فى (همدان)، واستلمت مسؤولية تعبئة (بسيج) الأخوات، وقمت بنشاطى فى مجال آخر.

أتذكر أننى عندما كنت فى هذه المسؤولية، ذهبت إلى الإمام وأنا أرtdي الجبة والبنطال والمقنعة فقال لى بصراحة فى هذا اللقاء «لماذا لا ترتدين العباءة؟ سأقول للسيد (أحمد) أن يشتري لك عباءة»، قلت: «سيدي، عندي عباءة، ولكن لا يمكن أن أتسلق بها الجبل والهضبة وأنا أحمل بيدي بندقيتي وشريط الرصاص وسائر التجهيزات، قال الإمام

«والآن تشتغلين في داخل المدينة»، فكان تذكير الإمام لي قد أصبح ملكة، لأظهر في كل الحالات والأوضاع وفي نظر المجتمع بالزيّ الكامل للحجاب وهي العباءة.

الفصل الرابع

سياحة الشرق

مهمة تاريخية:

تسلّمت مسؤولية إدارة سجون النساء في (طهران)، وفي أحد أيام الثلاثاء وأثناء تفقدي لسجن (قزل حصار)، أخبروني بأن السيد (أحمد)^(١)، قد اتصل هاتفياً، وأنه يريدني في عمل ما، وطلب أن أتصل

(١) حجة الإسلام السيد (أحمد الخميني) ابن الإمام الخميني، ولد في قم في ١٥/٣/١٩٤٦م، بعد إبعاد الأب والأخ إلى المنفى، حافظ هو على اتصاله بمراكز الكفاح والنضال، ذهب خفية في أواخر عام ١٩٦٦م من (عبادان) إلى النجف الأشرف، وبعد مكوثه خمسة أشهر ومن أجل الارتباط بالمناضلين في داخل البلاد، عاد إلى إيران مرة أخرى، وفي أواخر عام ١٩٦٧م سافر عن طريق خرمشهر إلى النجف الأشرف، وبعد تقديم تقرير عن الأوضاع الداخلية في إيران، عاد إلى إيران، وعند العودة أُلقي عليه القبض من قبل السافاك، فقاده إلى سجن (قزل قلعة). بعد إطلاق سراحه في ١٥/٨/١٩٧٦م، عاود نشاطه السياسي، وحول بيت أبيه إلى مركز لتجمع المناضلين، تشرف السيد أحمد الخميني في ١٩٧٣م بزيارة بيت الله الحرام، حيث التقى هناك بالإمام موسى الصدر، وقدم له تقريراً عن أحوال الشيعة والأوضاع الداخلية في إيران، ثم عاد إلى البلاد، وفي عام ١٩٧٧م، سافر إلى خارج البلاد، وأقام مع أسرته، كان في العراق حلقة وصل بين الإمام الخميني وسائر مراكز الكفاح والنضال، بعد استشهاد أخيه الحاج السيد (مصطفى الخميني) تصدّى لمسؤولياته، وبعد انتصار الثورة الإسلامية، كان دائماً إلى جانب

٢٥٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

به فوراً، أخبروني بهذا الخبر بحدود وقت الظهر، اتصلت ببيت الإمام فوراً لشدة قلقي، قالوا لي: إنه ذهب إلى الصلاة، قلت لهم: أخبروه إذاً أنني اتصلت به، فإن كانت له حاجة ضرورية فأنا هنا، ألتفتد السجن.

في حدود الساعة ١/٣٠ ظهراً، عدتُ من تفقد السجن إلى مكتبي، قالوا لي: اتصل السيد (أحمد) من بيت الإمام، وهو في الانتظار على الخط، بعد السلام والتحية سألني الحاج (أحمد): إلى متى ستبقى هناك؟ فأجبتُه إلى العصر. فقال: اتصلي بي إن رجعتي إلى البيت، يوجد أمر ما (يرتبط بك)، ولا أتمكن من الحديث الآن، فلعل إجابتك تلفت انتباه الآخرين.

ضاعف هذا الكلام من قلقي، وشعرت - بكل وجودي - بالارتباك والاضطراب، وقد شغل هذا الأمر ذهني إلى حد أنني لم أكن قادرة على الاستمرار في العمل وإكمال الزيارة، فأنهيت هذا اللقاء بسرعة وعدت إلى البيت.

في الساعة ٦ مساءً اتصلت هاتفياً بالسيد (أحمد)، وبعد السلام قلت له: «لقد أفلقتني...»، قال: «السيد الإمام يكتب حالياً رسالة إلى (غورباتشوف)، وقد اختار شخصين لإيصال الرسالة، أنت وآية الله جوادى آملي^(١)، ينبغي أن يكون هذا الموضوع طيَّ السرِّ

الإمام، وكان يسعى لإيجاد الوحدة بين الحركات الإسلامية، كان يسعى بكل جهده بتعريف مقام ونظريات الإمام الخميني، وأخيراً توفي على أثر إصابة في القلب والدماغ والجهاز التنفسي، حصلت له في ١٧/٣/١٩٩٥م.

(١) ولد آية الله الحاج عبد الله جوادى آملي في مدينة (آمل) عام ١٩٣٤م، أكمل دراسته في (آمل) و(طهران) وحضر دروس جملة من الأساتذة والآيات العظام مثل: الشيخ (محمد تقى

والكتمان بيننا، إلى أن تصل هذه الرسالة إلى موسكو وغورباتشوف».

بسماعي هذا الخبر، أخذت تراودني تساؤلات كثيرة، كنت قلقة ومضطربة، وأسأل نفسي: «لماذا الرسالة إلى (غورباتشوف)؟» وما السبب؟ فهل حصل شيء؟ وهل أن الرسالة قد كتبها الإمام حقيقة؟ وما هو مضمونها وفحواها؟ ولماذا ينبغي أن لا يُعلن عنها وتبقى سرية إلى أن تصل بيد (غورباتشوف)؟ ولماذا أختير السيد (جوادى آملی) بالذات؟ و...

بهذه الأفكار والأسئلة، لم يكن فهمي للقضية معقداً فحسب، بل إن الأكثر إشكالاً وصعوبة هو أنني لا أستطيع استشارة أحد في ذلك، ولكي أتححر من هذه الأفكار الموهومة، رأيت أن من الأفضل استخارة الله عزوجل، ولهذا نويت في قلبي وطلبت من شخص ثقة أن يستخير لي بالقرآن، فكان نتيجة وجواب الاستخارة هو: أن النجاح لا يتحقق بشكل كامل، ولكن الله قد فضّلَكَ واختصك بهذه النعمة، وبما أنني لم أكن أعرف مضمون وفحوى الرسالة، وكيفية المهمة التي كلفتُ بها، كان جواب الاستخارة غير مفهوم وغير واضح بالنسبة لي أيضاً. وبعد كل تلك المشادة مع نفسي، قررت أن أعرض هذا الموضوع وبشكل مبهم على السيد (الطباطبائي)، وهو أحد المقرّبين للإمام (الخميني)، لأنني كنت على ثقة أنه يعلم بذلك.

آملی) والشيخ (أبو الحسن الشعراني) و(مهدي إلهي قمشه إي، و(فاضل التوني) في العلوم العقلية والنقلية، انتقل إلى قم، فحضر دروس الآيات العظام مثل: (البروجردی)، (المحقق الداماد)، (الإمام الخميني) و(العلامة الطباطبائي). وله آثار كثيرة، مثل: (شرح الحكمة المتعالية)، (الأسفار الأربعة)، (سلسلة بحوث في فلسفة الدين)، (فلسفة حقوق الإنسان)، (تقاريرات دروس أستاذه الداماد في الحج والصلاة والصوم والإعتكاف آية الله الداماد).

٢٦٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

عندما اتصلت به وسألته، قال: «الرسالة كتبها الإمام بنفسه» هداً بالي عند سماعي هذا الكلام، ثم أخذت استعد بعد للسفر.

اتصل هاتفياً السيد (أحمد) بعد ثلاثة أو خمسة أيام، وأخبرني متى عليّ أن أكون حاضرة في المطار. هل أستطيع أن أذكر لأسرتي المكان الذي سأتوجه إليه، وهل أستطيع أن أودّعهم؟ قال: «نعم، لا مانع من ذلك» ثم قال لي مؤكداً: إن لم تكتبي وصيتك لحد الآن، فعليك فوراً كتابتها.

الاستقبال في موسكو:

في الفرصة القليلة المتبقية، قمت بإنهاء بعض الأمور والأعمال الشخصية المتبقية، وبينت في الوصية ما لي وما عليّ من الأموال، ثم جددت وصيتي السابقة مرةً أخرى، وفي اليوم المقرر، ودّعتُ عائلتي واتجهت نحو المطار، عندما وصلت إلى هناك شاهدت السيد (جواد آملی) بالإضافة إلى عدد من القائمين بأعمال السفارة الإيرانية في (موسكو) وكذلك السيد (لاريجاني)^(١)، وعلمنا بعد ذلك أيضاً أن السيد

(١) ولد (محمد جواد أردشير لاريجاني) في النجف الأشرف عام ١٩٥٢م، أما تأريخه النضالي قبل الثورة: اعتقاله أثناء دخول (نيكسون) إلى إيران، والعضوية في الجمعية الإسلامية للطلبة الجامعيين في (أمريكا) و(كندا)، أما مسؤولياته بعد الثورة: تعيينه رئيساً للإذاعة والتلفزيون لخارج إيران، رئيس الشعبة المركزية للأخبار في الإذاعة والتلفزيون، عضو هيئة الرقابة والمتابعة للإذاعة والتلفزيون، معاون وزير الخارجية، ممثلاً في المجلس النيابي في عدة دورات، رئيس ومؤسس مركز الأبحاث في المجلس، و... حصل (لاريجاني) على شهادة (الهندسة الانفورماتيكية المعلوماتية) من جامعة (شريف) الصناعية، والدكتوراه في فرع المنطق في الرياضيات من جامعة (كاليفورنيا)، له مؤلفات تصل إلى عدة مجلدات، منها: (مقولات في

٢٦١.....الفصل الرابع: سياحة الشرق.

(لاريجاني) سينضم أيضاً إلى الوفد برئاسة السيد (جوادي آملّي). وشاركنا في السفر أيضاً موظفون من السفارة الإيرانية في (موسكو) لتسهيل كافة الأمور الإدارية والقنصلية.

كل واحد منا كان منشغلاً بأفكاره وأحاسيسه ومشاعره طول الرحلة الجوية، وكنا نفكر أكثر فيما لو وصلنا إلى (موسكو) وأوصلنا الرسالة، ماذا علينا أن نفعل؟ تناولنا الغداء في الطائرة.

عندما هبطت الطائرة في مطار (موسكو)، كنت أسير خلف السيد (جوادي آملّي) والسيد (لاريجاني) واضعة قدمي على سلم الطائرة، يتشكل الفريق المستقبل: (وزير الخارجية) والمستشار الخاص (لغورباتشوف)، وإمام المسجد الكبير في (موسكو) وعدد من الدبلوماسيين الإيرانيين قدموا لاستقبالنا في المطار.

عندما كنا ننزل من على السلم، انتهت إلى أن الجميع رفعوا رؤوسهم وهم ينظرون إليّ، وعندما وصلنا إلى أسفل السلم، تقدّم إمام المسجد الكبير في (موسكو) وهو يرتدي الملابس الرسمية (السترة والبنطلون ورباط العنق)، فرحب بنا بدايةً، وقال: «في العرف الدبلوماسي والمتداول هو أن تُقدم (باقة من الورد) لرئيس الوفد، ولكن اسمحو لي أن أقدم باقة الورد لهذه السيدة التي فاجأتني بالحضور في هذا الزي، وبعد لحظات طأطأ برأسه علامة الاحترام، ومن دون أن يمد يده

الإستراتيجية الوطنية) (نقد الحالة الدينية والحداثّة) (الحكومة) (وهو بحوث في المشروعية والفاعلية) (الاستخدام النظري للأشكال والنماذج في العلوم الكمبيوترية النظرية) وهو باللغة الإنجليزية.

٢٦٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

للمصافحة، قدّم لي باقة الزهور، ومن ثم بدأ يصافح الجميع مرحباً بنا.

بعد أداء مراسم الاستقبال، ذهبنا إلى أحد أجنحة المطار، ومن ثم خرجنا منه من دون تفتيش، وقد خمنّت أنهم قاموا بالتفتيش بصورة غير محسوسة عن طريق الأجهزة الإلكترونية.

كان لحضور المستشار الخاص ب(غورباتشوف) من بين المستقبلين - بعد توضيح أحد الدبلوماسيين - معنىً ومفهوم جيد جداً، إذ إن المستشار الخاص مهمته فقط استقبال الزعماء والملوك وقادة ورؤساء البلدان، إلا أنه في ذلك اليوم، ونظراً لمنزلة وقدر الإمام (الخميني)، أرسلوه لاستقبال سفراء الإمام في المطار.

كان حضور امرأة وبهذا الشكل والشمائل سبباً لتعجبهم واندعاشهم، وقد كتبت صحفيهم حول ذلك والمثير للاهتمام هنا أن إحدى الصحف الصهيونية كتبت: «أن الإمام (الخميني) أرسل مع الوفد امرأة عسكرية، وهي قائدة الحرس الثوري في إحدى المحافظات، علماً أنني لم أكن قائداً للحرس الثوري آنذاك».

أصعب أيام العمر:

بعد الخروج من المطار صعدنا نحن الثلاثة في سيارة، ترافقنا ثلاث سيارات أخرى، إحداها تحمل المستقبلين، وأخرى للدبلوماسيين، أما الثالثة فهي سيارة الشرطة، اجتزنا تلك الشوارع العريضة في (موسكو)، حيث ترتفع عبرها ناطحات السحاب، والعمارات الشاهقة، وهي تزخر بالطراز المعماري المدهش.

كان الناس في (موسكو) يترددون في الشوارع، وكلّ منهم يعيش

الفصل الرابع: سياحة الشرق.....٢٦٣

حياته اليومية، وبهذا النحو، لم يلفت عبور السيارات اهتمام أحد، شاهدت بعض النسوة العجائز وقد انحنت ظهورهن من الكبر والشيخوخة وهن يضعن على أعينهن نظارات ضخمة، وتحمل كل واحدة منهن (مجرفة) لها مقبض قصير، يزحن بها الثلج، كن يضعن الثلج داخل عربة صغيرة، فيأتي الرجال ويفرغونها داخل شاحنة، وبهذا النحو ينظفون الشوارع من الثلج.

بمشاهدة هذا المنظر، سألت المترجم: «أليس في بلدكم مسألة التقاعد؟ فلماذا تعمل هذه السيدات وهن بهذا العمر؟» قال: «كلا، إنه عملهن الثاني»، سألت: «ماذا تعني؟» قال: «إنهن بعد التقاعد، يطالبن بأعمال خفيفة، ليحصلن على ما يساعدهن؛ لأن أجور التقاعد لا تكفي لسد نفقات العيش اليومية»، ووضح العاملون في السفارة أيضاً: «إن لم يكن لهن شغل ثان، سيُمتن من الجوع، كان سماعي هذه الأمور مدعاة للتعجب! حيث يحصل ذلك في بلد يبدد مليارات الدولارات من ميزانية شعبه على السباق التسليحي والتجسس، والتدخل في شؤون البلدان الأخرى، بعد أن كان المنافس بلا منازع لأمريكا في يوم ما.

انطلقت السيارات إلى مكان له أجواء ومسحة عسكرية، إذ المباني السكنية في هذا المحيط العسكري مختصة بذوي الرتب العليا من القادة العسكريين في الجيش الأحمر، أخذونا إلى إحدى البنايات للنزول والاستراحة، بناية بها ثلاث أو أربع غرف في الطابق الأول، وثلاث أو أربع غرف في الطابق الثاني. لقد أرهق الجميع السفر بالطائرة ومراسم الاستقبال الرسمية، وكنا بحاجة إلى استراحة لنجدد قوانا، استراح كل منا في البداية في غرفة لوحده، واستراح أحد الإخوة والذي يعمل في

٢٦٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

السفارة وكان دليلنا ومرشدنا في غرفة لوحده أيضاً، وقد وضع على الطاولة في صالة الطابق الأول قدراً من الطعام والفاكهة، ومشروبات غازية، استفدنا من المشروبات الغازية الغير مغيرة للأحكام الإسلامية، ولكن آية الله (جوادي آملي) امتنع عن شربها أيضاً. وأخذ يشرب فقط الشاي الذي أتوا به من السفارة. ولهذا لم يكن إعداد وطهو طعام العشاء بأيدينا، فكنا نعاني في هذا المجال من مشكلة، وكذلك لا يليق بالعاملين في السفارة أن يقدموا على الإتيان بالعشاء؛ لذا اضطر مسؤول التشريفات الرسمية في السفارة أن يطالع تشريفات المستضيف أننا اعتدنا على أن كل وفد يأتي من إيران أن يكون برنامج الزيارة والضيافة في السفارة، ولهذا أخذونا إلى السفارة بهذه الذريعة، وحللنا ضيوفاً لتناول طعام العشاء في السفارة.

لم يكن مشاهدة موظفي وكادر السفارة في قلب إمبراطورية الشرق حالياً من الظرافة؛ ولهذا السبب، تعرّفت على زوجات الموظفين والدبلوماسيين في السفارة، إنهم يعيشون في أجواء صعبة حقيقة، فهم لا يخرجون من السفارة أبداً؛ بسبب الظروف المسيطرة، ومن باب الصدفة شاهدت إحدى طالباتي سابقاً، كانت مع زوجها ما يقرب من عامين في (موسكو).

على كل حال، تناولنا عشاءنا في السفارة رغم ضيق الوقت، بعدها عدنا إلى محل إقامتنا في العمارة لتبادل الآراء ووجهات النظر، حول اللقاء المهم الذي كنا في انتظاره والذي سيعقد في يوم غد.

لعل أصعب ليلة في حياتي هي الليلة التي قضيناها في العمارة والمبنى الواقع في منطقة عسكرية، ولم نكن نعلم لهذه اللحظة شيئاً عن محتوى ومفاد رسالة الإمام (الخميني)، وفي تلك الليلة الصعبة، قال لنا

الشيخ (جوادي آملي): «من اللازم والضروري أن نطلع على رسالة الإمام، حتى لا يبقى تساؤلاً في أذهاننا، هذا أولاً. وثانياً: أن نعد أنفسنا للإجابة على الأسئلة الاحتمالية لـ (غورباتشوف) وذوي الرتب العليا والمسؤولين الروس، كنت أنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر، فطلبت منه أن يسلمني الرسالة، لأطالعها وحدي وبتكريز أكثر، وبهذا النحو أخذت الرسالة ودخلت الغرفة، قرأت الرسالة، ودوّنت بعض النقاط منها، وأعدتها ثانياً إلى السيد (جوادي آملي)، سألت عن اتجاه القبلة، فأشاروا إليها.

كان لتلك الليلة وضعاً عجيباً ومخيفاً قد خيم عليّ أنا بالذات، ولم يكن هذا الخوف طبعاً ناجماً عن الرعب والقلق، بل كنت خائفة من أننا مراقبون، علماً بأنني كنت المرأة الوحيدة في الوفد، ولهذا كنت في غاية الاحتياط والحذر في سلوكي وعملي كافة، ومراقبة لنفسي، فكنت إذا أردت أن أذهب إلى المرافق الصحية لأتوضأ، لا أرفع العباءة والمقنعة من على رأسي، وحتى أثناء النوم، كنت أعقد مقنعتي على رأسي بقوة ثم أنام، بل كنت أخرج يدي من مرفق العباءة وأضعها أمام وجهي، حتى لا تلتقط لي صور أو فيلم أثناء النوم. مع إنني أخذت في تلك الليلة أبحث وأفتش في كل زوايا الغرفة وفي داخل الجدران، فلم أعر على ميكروفون أو كاميرا، ولكن مع ذلك، لم يهدأ لي بال، وكان نفس هذا الشعور يراود الإخوة معي أيضاً، بنحو أننا كلما أردنا أن نتكلم معاً ونتشاور، كنا نشغل جهاز المذياع الموجودين في الغرفة لنغطي على كلامنا، ونتكلم بصوت خافت جداً، وبالقرب من بعضنا.

حول إمبراطورية الشرق:

في الصباح، وبعد إقامة صلاة الفجر، ذهبنا إلى القاعة لتناول وجبة الفطور، فجلسنا على موائد كانوا قد أعدّوها حسب الطريقة والعرف الخاص بهم، ولكننا استطعنا أن نتناول البيض المسلوق فقط، ولم يأكل السيد (جوادي آملّي) حتى البيض أيضاً.

بعد تناول الفطور، حملنا معنا حقائبنا وأغراضنا الشخصية وكل ما عندنا، لأنه كان من المقرر بعد إبلاغ الرسالة، أن نذهب مباشرة إلى المطار ونعود إلى إيران، لأنه لم يكن من ضمن البرنامج زيارة المناطق الممتعة والمناظر الجميلة في (موسكو) وبقية مدن (الاتحاد السوفيتي)، ولهذا سأل الأخوة في طهران الإمام أن نبقي ضيوفاً على السفارة في موسكو يوماً أو يومين فأجابهم الإمام: «في أي وقت أحبوا أن يذهبوا للسياحة فلا بأس إلا أن كونهم رسلاً لي هو فقط أن يسلموا الرسالة ويعودوا». ولهذا، كان وقتنا بلحاظ تأكيد الإمام في الأداء السريع للمهمة محدوداً جداً.

عندما تحركنا باتجاه قصر (الكرملين)، رافقنا عددٌ من الدبلوماسيين، لم يفتشونا في قصر (الكرملين)، فارتحت قليلاً من قضية تفتيش حقيبتَي الكبيرة التي تحتوي على منشقة وفرشة أسنان وبعض الحاجيات الخاصة. نعم، كان هناك تفتيشاً سرياً وغير ظاهر من خلال الأجهزة الإلكترونية المنتشرة على المعابر والأبواب.

لقد بذل القائمون بأعمال السفارة والدبلوماسيون الإيرانيون جهداً كبيراً، ولاقوا معاناة في تسهيل هذا اللقاء، إلا أن بعض النقاط ظلت بعيدة

عن أذهانهم فلم يذكرونا بها، ولعل السبب يعود إلى أنهم لم يواجهوا وفداً بهذا المستوى لحدّ الآن قادم من (إيران)، ففوجئوا بذلك؛ فقد تناسوا أن يعطوننا معلومات حول كيفية اللقاء مع (غورباتشوف) ونوع الزيارة، وحول مَنْ يدخل أولاً؟ وأين يجلس فلان؟ ومن الذي يتحدث بداية؟ ... ولا أنسى أيضاً أنني سمعت أحد الدبلوماسيين يتكلم في الممرّ ونحن نسير باتجاه القاعة مع السيد (لاريجاني): أن كيف يضع الحقيبة الدبلوماسية لديه على الطاولة، وبأي يد يقوم بفتحها، وأي الأوراق يبرزها، ... فضحكت لذلك؛ لأن مثله كما يقال كمن (يأخذ الكمون إلى كرمان)، فالسيد (لاريجاني) دبلوماسي وسياسي ماهر، من أهل الفن والخبرة، يعرف كل هذه الأمور، اصولها وفروعها، فأخذ السيد لاريجاني يصغي له ولا يرد.

مُنع دخول الدبلوماسيين إلى قصر (الكرمين). يوجد في داخل القصر بناية خاصة بـ (غورباتشوف)، فبعد أن عبرنا من أحد الأبواب، واجتزنا أحد الممرات والمنحنيات، صعدنا على ثلاث مدرجات، ووصلنا إلى غرفة رئيس الاتحاد السوفيتي، وقد كنت إلى هذه اللحظة قلقة من إمكان تفتيش حقيبتني، لكن والحمد لله لم أقع هنا أيضاً في مصيدة التفتيش.

أثناء الدخول إلى غرفة الزيارات الرسمية (لغورباتشوف)، منعوا سفير بلدنا من الدخول، وقالوا: «عندنا أمرٌ باستقبال السفراء الثلاثة لآية الله (الخميني) فقط».

تصل مساحة غرفة الاستقبال (لغورباتشوف) ما يقارب عشرين متراً مربعاً، تتوسطها طاولة تتسع لإثني عشر شخصاً، لكن لا يوجد فيها

٢٦٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

سوى ستة كراسي، وفي هذا دلالة إلى أننا نحن الثلاثة سنجلس في جهة
بينما في الجهة المقابلة سيجلس (غورباتشوف) ومستشاره والمترجم،
أما الستائر المعلقة على الشبايك فقد كانت بسيطة جداً، وقد فرش
بساطاً خال من النقوش والرسوم، قد مُدَّ من جهة الطاولة إلى
جهة الباب.

حضر عددٌ محدودٌ من المصورين والمراسلين في الغرفة، جلسنا
على الكراسي المعدة لنا مسبقاً، مع المستشار الذي تعرفنا عليه في
المطار أثناء مراسم الاستقبال.

عندما جلسنا، التقط الإعلاميون لنا مجموعة من الصور.

عند دخولنا صافح (غورباتشوف) كل واحد منا، حتى اقترب مني،
فمدَّ يده ليصافحني، لكنني سحبت يدي تحت العباءة بسرعة، لم
يستسغ ذلك، (كان هذا التصرف في الأعراف الدبلوماسية يعد نوع من
الإهانة والتحقير)، تبسّم (غورباتشوف) وقال جملة قصيرة رداً على
هذا الفعل لم أفهمها، لكن ملامح وجهه لم تبدِ نوعاً من الرضا على
هذا التصرف.

استطاع سفير بلدنا وبجهود مكثفة أن يدخل إلى الغرفة، وبما أن
عدد الكراسي كان مُعداً لستة أشخاص فقط، بقي واقفاً لحظات حتى أتوا
له بكرسي ليجلس عليه.

وبعد الترحيب، جاء دور قراءة الرسالة.

قرأ سماحة الشيخ (جوادى آملي) الرسالة، وترجمها السيد
(لاريجاني) إلى الإنجليزية. كان هناك مترجماً آخر هو أيضاً ترجمها إلى
اللغة الروسية. كان (غورباتشوف) يعرف اللغة الإنجليزية، وكان بإمكانه

الاكتفاء بها، ولكن بما أنه كان يريد أن يستوعب كافة النقاط المذكورة في الرسالة، فقد كان بحاجة إلى الترجمة الروسية.

عندما قرئت الرسالة، وبدأ في ترجمتها، لم يكن لي عمل خاص، ولهذا كنت أدقق وبفطنة - مستجمة قواي - النظر إلى وجه (غورباتشوف)، وأتابع كل حالاته وتصرفاته، كان وجهه يتغير في بعض مقاطع الرسالة، وعندما كان يسند ظهره إلى الكرسي، كان يدوّن بعض النقاط، وقد خطّ بقلمه حول إحداها.

بعد انتهاء الترجمة، فكر قليلاً، ثم قال: «إن لي كلام وأسئلة حول بعض مقاطع هذه الرسالة»، فقال آية الله (جوادي آملي): «تفضلوا رجاءً، نحن هنا يمكن أن نوضح أكثر». قال (غورباتشوف): «في هذا المقطع»، قال آية الله (الخميني): «نحن نعتقد أننا شركاء في تقرير مصير المسلمين في العالم» وهذا يعني التدخل في الشأن الداخلي للبلدان الأخرى، أعتقد أن آية الله (الخميني) قد أخطأ هنا، فتبسّم السيد (جوادي آملي) بطمأنينة وهذوء خاص ذي معنى وكأنه يريد أن يفهم (غورباتشوف) أنك لم تفهم كلام الإمام، فقال: «المسألة بالنحو الذي فهمتموه هي ليست نظر ومقصود الإمام، فتراب روسيا لسبع طبقات أعلى وسبع طبقات أسفل هي لكم، ولا شغل لأحد بذلك، قصد الإمام: أن الإنسان المسلم أينما كان في العالم، في ضيق وعذاب، أو أنه يواجه مشكلة، فنحن وبحكم وظيفتنا الدينية وكوننا مسلمين نرى أن من حقه علينا أن ندافع عنه، فليس المياه والأرض مهمة لنا، بل إن هوية الإنسان المسلم هي المسألة المطروحة للنقاش».

كان مستشار (غورباتشوف) يحدد النظر، ولم يبد أي حركة، وبقي

٢٧٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

مبهوتاً لخطاب الإمام (الخميني)، وكلام سماحة الشيخ (جوادى آملي)، وهنا نطق بالكلام فقال: «قال آية الله (الخميني) ليذهب خبراء وعلماء الاتحاد السوفيتي إلى (قم)، ليتعلموا، ليكونوا على بصيرة، وبهذا أهانونا وأهانوا شعبنا وأهانوا السيد (غورباتشوف)؟»، فقال سماحة الشيخ (جوادى آملي): «كلا، لقد شجعكم الإمام، هذا ما يعرفه الإمام عنكم، فهو لم يقل إن علمائكم وفلاسفتكم لا يفهمون، بل دعا إلى الحوار والمناظرة، كان مقصوده هو: أننا يمكننا أن نتعاون في المجالات العلمية والفلسفية».

يظهر أن (غورباتشوف) ومستشاره - ويظهر أنه من الدرجة الثانية في الحزب - قد اقتنعا بإجابة سماحة الشيخ (جوادى آملي)، وقبل أن نذهب، قال سماحة الشيخ (جوادى آملي): «هل سنتظر جواب الرسالة منكم» فقال السيد (غورباتشوف): «علينا أن نتشاور في ذلك، وسأرسل بالجواب فيما بعد». حانت لحظة الوداع، فسمحوا لنا بالتقاط بعض الصور، وأخذ السيد (غورباتشوف) يصافحنا واحداً واحداً كما في أول اللقاء، وعندما وصل إليّ، وبينما كان الشيخ (جوادى آملي) والآخرين يحدقون النظر إليّ، ولم تُتَحِ الفرصة لأسأل الشيخ (جوادى آملي) ماذا أفعل؟ رأيت إن تكدير لحظات السيد (غورباتشوف) مرة أخرى عمل غير لائق، ولهذا عندما مدّ يده ليصافحني، غطأت كفي بجانب من عباءتي وصافحته، كان هذا التصرف وهذا النوع من المصافحة لـ (غورباتشوف) الذي قاد إمبراطورية الشرق، أمراً صعباً جداً. حاول أن لا يظهر ذلك، وقال: «إنني لم أمدّ يدي للمصافحة، بل مددت يدي نحو (أم الثورة) هذه لنقول لها: إننا جيران طيّبون، نحن نمد أيدينا

الفصل الرابع: سياحة الشرق..... ٢٧١

العُزْلُ عن السلاح إليكم، وأنتم أيضاً شجعوا رجالكم أن يمدوا لنا أيديهم العُزْلُ عن السلاح» فقال سماحة الشيخ (جوادي آملي) بهدوء: «نحن أيضاً محبو السلام، ونطالب بالهدوء والاستقرار»، ثم خرجنا من الغرفة.

لم يكن (غورباتشوف) قد أتى لاستقبالنا، لكن عند الوداع رافقنا حتى السلم.

ال صلاة في مطار (موسكو):

بعد أن صعدنا السيارة، ومن دون إضاعة للوقت، توجهنا مباشرة إلى المطار، وقد انتصف النهار، و كان وقت صلاة الظهر، فقررنا أن نصلي في المطار، كان هناك أجنحة كثيرة للتردد والتجوال، ذهبت إلى جهة، ووضعت جريدة تحت أقدامي، ووقفت لأصلي، وعندما فرغت من الصلاة، رأيت الناس قد توقفوا عن العمل، وهم ينظرون إليّ بدهشة وتعجب، كان تسأولهم هو: ماذا تفعل؟ وازداد تعجبهم عندما شاهدوا السادة الذين معي قد اختار كل واحد منهم زاوية ويفعل مثل ما أنا أفعل، وكأنهم لم يشهدوا من قبل مثل هذه الحالة.

قَدِمَ عدد من القادة المحليين والمسؤولين الحكوميين لمراسم التوديع، وبعد أن ودّعونا، ركبنا الطائرة التي أعدت لنا، وشعرت براحة البال والضمير، وكان الآخرون مثلي أيضاً، إذ كنا راضون في أداء مهمتنا هذه، أما أنا فلا زلت أفكر بمشهد لقائي بـ (غورباتشوف) ومصافحته، كان كثير من الإخوة العاملين في سفارة بلدنا، مستأؤون من طريقة التعامل التي صدرت مني، لكن لماذا لم يتوقعوا صدور هذا مني؟ ولم

٢٧٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

يطلعوننا عليه، قال لي سماحة الشيخ (جوادى آملی) بعد هذا السفر: «في تلك اللحظة التي قدّم (غورباتشوف) يده، كنا نتخوف من أنك تفقدین توازنك، لكنك تصرفت بدهاء وحكمة والحمد لله».

في داخل الطائرة وعندما كنا متوجهين الى بلدنا، كنا مرتاحي البال، يعمّن الهدوء والطمأنينة، ومن دون قلق ومشاكل، تناولنا غداءنا، واستثمرنا الوقت المتبقي في الطريق فكتبنا بعض الملاحظات حول السفر والزيارة.

تقديم التقرير:

بمجرد وصولنا إلى إيران قمنا أولاً بزيارة الإمام (الخميني)، لننقل له تقريراً عن زيارتنا وما حصل فيها، وأيضاً عن ما سمعناه وشاهدناه وقلناه، وكان سماحته أكد على ضرورة أن يلتقي بأعضاء الوفد فور وصولهم إلى إيران. عندما تشرّفنا بزيارة الإمام، نقل له آية الله (جوادى آملی) رئيس الوفد وقائع ما قيل وما رؤي، فقال الإمام: «أيكم كان يدقق النظر في وجهه؟» ويقصد سماحته: «أيكم كان يتابع التغيرات وردود الأفعال التي ظهرت على (غورباتشوف)» قلت: «أنا كنت أتابعه وباستمرار، لقد تغيّر وجهه مرتين عند قراءة الرسالة، وأظهر ردود فعل تجاهها، لكنه ظلّ صامتاً تجاه الموارد الأخرى من مضمون الرسالة، إحدى تلك الأمور: عندما كتبتم: ارسلوا خبراءكم إلى حوزة قم، والأمر الآخر هو أنكم عندما قلتم: «إننا شركاء في تقرير مصير المسلمين في العالم» وقد أشكل (غورباتشوف) على كلا الموردين» ثم تكلم الإمام مؤكداً بأنه على قناعة بأن الشيخ (جوادى آملی) قد أجاب عن كلا

الإشكالين بشكل جيد ورائع. وفي نهاية الزيارة أبدى الإمام رضاه عن نتائج الزيارة وما تمخض عنها، وأخذ يبتسم. وفي مدة أقل من شهرين تقريباً، وفى (غورباتشوف) بوعدته، فكتب جواباً على تلك الرسالة وأرسله مع وزير خارجيته (ادوارد شيفرنادزه) إلى الإمام.

عندما وصل (شيفرنادزه) إلى (طهران) توجه إلى منطقة (جماران)، لم أكن أنا موجودة في (طهران)، لكن السادة: جوادي الأملي، وجواد لاريجاني حضرا هذا الاجتماع، ويقال أن (شيفرنادزه) قد تأثر كثيراً بما شاهده من بساطة عيش الإمام^(١).

أسباب الاختيار:

كتابة وإبلاغ الرسالة من قبل الإمام (الخميني) إلى أحد قطبي العالم الذي يشهد تطورات وتغييرات سياسية وأيديولوجية كبرى، كان في حد ذاته عملاً جبّاراً وتاريخياً، وقد أثبت بمرور الزمن صحة توقعات الإمام (الخميني)، منها: عدم الانغراس بأبهة العالم الغربي، و«إنه يُسمع صوت تهشم عظام الشيوعية، فيجب من الآن فصاعداً البحث عنها في متاحف التاريخ السياسي العالمي».

السؤال هو: لماذا اخترتُ (أنا) والسادة (جوادي أملي) و(لاريجاني) لإيصال هذه الرسالة المهمة والتاريخية؟ لماذا أكون أنا (المرأة) سفيراً وممثلاً عن الإمام (الخميني)؟ فأنا أفتخر وأتشرف بهذا

(١) لمعرفة جواب السيد (غورباتشوف) للإمام الخميني، انظر الملحق رقم ٤.

٢٧٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الوسام أن أرافق الإخوة في هذا السفر العظيم، والذي من المحتمل أن يقع فيه أي نوع من الخطر، وهو السبب الذي دعانا فيه السيد (أحمد الخميني) أن نكتب وصيتنا أو نجلدها، كان هناك تخوف من عدم العودة إلى الوطن نهائياً.

بعد هذا السفر وجّهت سؤالاً للسيد (أحمد) عن الوصية، فأجابني بصراحة: «كنا قلقين جداً، ونشعر بالخطر، وكان من المحتمل أن يقصف الأمريكان الطائرة وهي محلقة في الجو، أو أن حكومة الاتحاد السوفيتي تعتقلكم، ولا يسمحوا لكم بالعودة أبداً، وهناك أيضاً احتمالات أخرى من هذا القبيل».

يُذكرنا عمل الإمام الخميني هذا بعمل رسول الله ﷺ في صدر الإسلام وهو أنه: كيف كان يرسل مبعوثيه ورسله مبشرين ومنذرين من دون قلق أو خوف إلى أقصى نقاط العالم، وليصل الخطاب الإلهي ونداء الحق والعدل والحرية والسلام إلى أسماع العالم بأسره، وخاصةً إمبراطوريتي الروم والفرس. حركة كان لها بركات كثيرة على الإسلام والمسلمين، ويتكرر هذا العمل حالياً على يد نائب وحفيد رسول الله ﷺ مرة أخرى أيضاً.

لقد كان اختيار الشيخ (جواد آملّي) في نظري بسبب ما يتميز به سماعته من صفات على المستوى العلمي والمعرفي والديني، وإحاطته بالعلوم الإسلامية، وخاصةً فيما يتعلق بمعارف وعلوم القرآن، والفلسفة والعرفان أيضاً. وله منزلة خاصة ودور مهم بين العلماء والمفكرين في الوسط الديني. مضافاً إلى ذلك أنه لم يسجن نفسه بين جدران الحوزة الأربعة، بل كان له وجود ومعرفة أيضاً في شؤون الدولة وقضايا

الحكومة، وكان له توجه وشعور عميق وسليم في إجراء وتطبيق الأحكام الإسلامية، وهو قادر ببساطة وسهولة ومن دون إثارة أي مشكلة أو ضجيج أن يبدي نظره حول كافة القضايا والمسائل الفلسفية في العالم الشرقي والغربي، والدفاع عن الإسلام.

نعمة ووقع الكلام، السماحة والسيما الهائلة، والتصرف المتين، بإمكانها أن تؤثر وتستقطب كل مخاطب نحوه.

كان الإمام (الخميني) مستحضراً كل صفاته وخصائصه أكثر من غيره، فكان حسن الاختيار يعود لهذه الأسباب.

أما السيد (لاريجاني)، فهو إنسان مثقف، حاصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة والرياضيات، وهو من أسرة علمانية عريقة، له رأي ووجهة نظر في عالم السياسة والفكر، وهو شخص فاضل من الأجلء والمفكرين، ومن الناس الثقة والذين يُعتمد عليهم. أما الصفات الأخرى التي يتمتع بها - وقد كانت مؤثرة في حسن الاختيار - هي: كونه معاوناً لوزير الخارجية، ومعرفته بعدد من اللغات.

أما عن اختياري لهذه المهمة الصعبة، فكلما فكرت، فإنني لم أصل إلى نتيجة غير هذه، وهي: أن الإمام كانت له نظرة خاصة، وهي أن وجود امرأة إلى جانب الإخوة السياسيين من الرجال وإرسالهم إلى (الاتحاد السوفيتي)، ليعلم العالم أن للمرأة دور ومشاركة مهمة في النظام الحالي، وهي متفوقة وسبابة في كافة المجالات. وأراد الإمام (الخميني) أيضاً إلى جانب الرسالة أن يبعث رسالة شفوية أخرى إلى العالم بأسره: أننا وبصورة عملية وأكثر من أي مدرسة أخرى نولي أهمية فائقة وقيمة للدور الحقيقي الذي تلعبه المرأة، القيمة الروحية والمعنوية لا القيمة الآلية.

٢٧٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أراد الإمام بضمّ امرأة إلى هذا الفريق أن يعلن للعالم بأسره، ويرد على كل الدعايات المغرضة أننا بعمَلنا هذا ننهي ونزيل كافة القيود والمحاذير التي من شأنها أن تحد وتحجم مشاركة المرأة وتواجدها في المجتمع الإسلامي، وأن يحصل مثل هذا التحوّل أيضاً في زمن تحاول فيه وسائل الإعلام أن تعتم على دور المرأة في الجمهورية الإسلامية.

إرسال رسالة من الإمام إلى (غورباتشوف) لا يحتاج إلى وجود سيدة أصلاً ولكنه يعين امرأة لترافق الوفد فما الداعي لذلك حيث الواقع لو أوصل الشيخ الأملي لوحده الرسالة ورجع فما المشكلة؟ أنا على يقين بأن لا مشكلة في ذلك إذا لماذا يختار الإمام سيدة ضمن الوفد؟

يريد الإمام أن يقول: إن حضور المرأة ضروري في جميع الساحات... كما يريد أن يعلن عن حضور المرأة في الخطط المختلفة.

في نظري حتى في المسائل الدولية يجب أن تشارك المرأة في حلها وها أنا قائدكم أختار المرأة والرجل من أجل إبلاغ الرسالة الأولى والأخيرة إلى المجتمع الدولي^(١). ولعل حضوري وتواجدي سنوات في ساحة القتال والنضال، وتحمل الهجرة والغربة في هذا الطريق، وحضوري وتواجدي عدة أشهر في (نوفل لوشاتو) في خدمة الإمام، والتصدي لبعض المسؤوليات بعد انتصار الثورة الإسلامية «كقيادة الحرس الثوري في (همدان)، وكوني ممثلة عن الشعب لعدة دورات في مجلس الشورى الإسلامي، ومسؤولية قيادة تعبئة الأخوات»، لعل كل هذه الأمور كان لها تأثير في انتخابي لهذه المهمة.

(١) صحيفة كيهان، العدد ١٧٠٢٣ (١٣/ ٢/ ٢٠٠١م).

الفصل الرابع: سياحة الشرق.....٢٧٧

لقد كانت رغبة الإمام (الخميني) في أن يكون لممثليه حضور وتواجد في قلب إمبراطورية الشرق والبيت الشيوعي الكبير والقوي، ويكونوا قادرين على اتخاذ القرارات الصائبة في المواقع الضرورية وفي الأزمات، والعمل مع أدائها بالشكل الجيد والمطلوب.

أتذكر أن السيد (جوادي آملّي) ألقى خطاباً في مدينة (مشهد المقدسة) حول قوة وعظمة الإسلام، أشار فيه سماحته إلى مهام الوفد الذي أرسل إلى (الاتحاد السوفيتي) آنذاك، فقال: «إنّ نسوتنا يظهرن بهذا الشكل الذي يواجهن ويتحدّين فيه القوى الاستكبارية العظمى، ويرفضن مصافحة يده الممدودة ابتداءً، ليقلن: إنّنا نمدّ أيدينا إلى رجالكم ونحن عزل عن السلاح».

الفصل الخامس

الملحقات

الملحق رقم (أ):

لتكون أجواء السجن في مذكرات السيدة (دباغ) شفافة، اتجهنا نحو المعتقلات اللواتي كنّ معها في السجن ومن ضمنهن ابتها (رضوانة)، وتلك السيدات هن: السيدة (منظر خير) و(سوسن حداد عادل) و(زهراء مير خاني)، وقد تحدثن في حوار أجري معهنّ بما بقي في أذهانهن من ذكريات السجن وقد اخترنا منها ما يرتبط بالمتن.

ألف: ظروف مدرسة (رفاه)، وكيفية الاعتقال:

السيدة (منظر خير)^(١)، تم استقطابها كمعلمة في مدرسة (رفاه)

(١) منظر خير حبيب اللهی ابنة عبد الرزاق، ولدت في ١٩٤٨/٨/٢٦م، في العاصمة طهران، أنهت دراستها الابتدائية في المدارس الإسلامية وحصلت على شهادة الثانوية من ثانوية الإمامية.

تعتقد منظر خير أن أستاذها في المسائل الفكرية هو أخوها موسى خير، فقد استطاعت من خلال إرشاداته أن تدخل إلى جامعة طهران، وتحصل على شهادة في فرع العلوم الاقتصادية، ألقى عليها القبض عام ١٩٧٣م مع مجموعة من زملائها من المعلمين والتلامذة بسبب أنشطتهم

٢٨٠.....٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

وهي في المرحلة الجامعية (السنة الأخيرة) وعن طريق السيدة إنسية مفيدى أخت الشهيد محمد مفيدى، وزوجة الدكتور عباس شيباني وصفت لنا مدرسة رفاه بهذه العبارات: «مدرسة (رفاه) هي مدرسة أبناء السجناء، فالأفراد الذين كانوا يدرسون هناك بنحو من الأنحاء كانوا سياسيين، والمدرسة أيضاً بطبيعتها لها توجه سياسي، حتى في درس الرياضيات والرياضة، كانت هناك اعتبارات سياسية، ففي درس الرياضيات - الذي أدرّسه مثلاً - ذكر الشهيد رجائي مطلباً، فكتبناه في أعلى الورقة، وهو: «كن إنساناً، فكر، ثم اختر طريقك، واصمد»، هذه الجملة لا تنفع بحسب الظاهر، لكن باطن القضية هو: أن كافة تلامذة مدرسة (رفاه) امتازوا بالجهوية، وكانت عوائلهم وأسرهم لها توجهات وخلفيات سياسية، وهم أيضاً درسوا وتعلموا هناك، وحتى في درس (الجبر) مثلاً توجد فائدة سياسية وفائدة دينية، وحتى درس الرسم والرياضة، ففي هذين البرنامجين عمل فكري أيضاً.

[...] كان لمديرة المدرسة تعاون مع منظمة مجاهدي خلق، وقد هربت فيما بعد، ألقى القبض عليّ مع عدد من المعلمات والتلميذات في إحدى الليالي سنة ١٩٧٣م، وبحسب الظاهر أننا ألقى القبض علينا في ليلة واحدة، ولكن كلٌّ منا على حدة، ومن أماكن مختلفة.

السياسية، وأودعوا جميعاً السجن، فبقيت عاماً واحداً في السجن، ومع إطلاق سراحها، تم منعها من متابعة الدراسة والتدريس والعمل، تزوجت في تلك الفترة، وفي عام ١٩٧٧ و١٩٧٨م شاركت مع زوجها الشعب الإيراني في مسيراتهم وتظاهراتهم. منظر خير حالياً معلمة في إحدى ثانويات طهران.

فمثلاً أُلقي القبض على (زهراء عاملي) في مدينة مشهد، وأنا في (طهران)، في إحدى الليالي كنا في (اللجنة الأمنية المشتركة) فشاهدنا أن الجميع هناك، عندما هربت (بوران بازركان)، تم إلقاء القبض على كل من يفترض أن له نشاط سياسي، أو من يعلم عنها شيء ممن ينتسب للمدرسة.

السيدة (رضوانة دباغ) البنت الثانية للسيدة (دباغ). ولدت في طهران عام ١٩٥٧م، تأثرت بموقع عائلتها، واستقطبتها استعداداتها للدخول في الميادين والأنشطة السياسية، تقول عن مدرسة (رفاه) وكيفية اعتقالها: «تعرفتُ في مدرسة (رفاه) على (سوسن حداد عادل)، و(بتول مهدوي كرماني)، و(نيرة آدابوش) وكنا نقوم بعمل ونشاط سياسي، فنكتب ليلاً مطالب تُبث من إذاعة (العراق)، ومن ثم نستنسخها، وفي الصباح نضعها سراً داخل مناضد الطالبات، ومن فعاليتي وأنشطتي الأخرى المشاركة في مراسم إحياء وتكريم شهداء أسر تلامذة المدرسة، في عام ١٩٧٣م حينها كنت في الصف الثالث المتوسط، قام رجال الأمن (السافاك) بمحاصرة بيتنا، فاعتقلوا والدي، وبعدها أخذوا يفتشون البيت، فعثروا على كتاباتي التي كنت قد سمعتها من إذاعة العراق وسجلتها، وأخيراً اعتقلوني في سبتمبر عام ١٩٧٣م، أخذوني إلى مديرية الأمن (اللجنة المشتركة) وأنا معصبة العينين، ترافقنا سيارتان نوع (بيكان)، قد جلس في داخل كل واحدة منها أربعة من رجال الأمن المسلحين».

السيدة (سوسن حداد عادل)^(١)، من عائلة متدينة وسياسية، تم

(١) ولدت السيدة (سوسن حداد عادل) في طهران عام ١٩٥٨م، أنهت دراستها الابتدائية في مدرستي (القائمية) و(شجاعية)، تم اعتقالها عام ١٩٧٣م عندما كانت طالبة ثانوية مدرسة (رفاه)، وسبب اعتقالها نشاطها السياسي، وزجَّ بها في السجن، قضت أربعين يوماً في (اللجنة

٢٨٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

اعتقال خالها وأخويها (مجيد و غلام علي) وكانت لهم تجربة في السجن. دَرَسَتْ سوسن في مدرسة (رفاه) وتعدّ من تلميذاتها السياسيات الناشطات، تقول: «حينما دخلت مدرسة (رفاه)، تعرّفتُ على الشهيد (رجائي) وزوجته السيدة (عاتقة صديقي)، كان الجو الحاكم والمسيطر على المدرسة هو أن الطلاب فيها يمارسون العمل السياسي شاءوا أم أبوا وأنا لأنني سياسية - من خالي حتى أخوتي - كان لي نشاط سياسي وأنا صغيرة السن حينما كنت في الثانية او الثالثة عشرة من العمر، وعندما هربت مديرة المدرسة (بوران بازركان) من (إيران)، قرر رجال الأمن (السافاك) أن يلقوا القبض على بعض طلاب المدرسة، ويحققوا معهم؛ لكي يعرفوا أين تختفي (بازركان)؟ ومع من ترتبط؟.

اعتقلت أنا وثلاث أو أربع من الأخوات: (رؤيا زمرديان)، (توانا) و(رضوانة دباغ)، وكان السبب واضحاً، نحن طالبات مدرسة (رفاه) كنا نتصيد الأخبار والمعلومات من الخارج، وننقلها إلى الأخوات، كانت تعقد لنا اجتماعات مع الشهيد (رجائي) والشهيد (باهنر)، كنا نتصدى لبعض الأعمال التي يمكن أن تساهم في إنارة أذهان الطالبات وإرشادهن، ولهذا فمن الطبيعي أن أعتقل ولو لسبب الاسم ولكوني مشاركة في النشاطات الظاهرية والفاعليات الواضحة التي كانت في

الأمنية المشتركة)، وقضت بقية أيام سجنها في (سجن قصر). بعد إطلاق سراحها من السجن أكملت دراستها في ثانوية (دوشيزگان)، وتزوجت بعد حصولها على الدبلوم، وأنهت أيضاً دروسها الدينية والإسلامية في مدرسة (ولي العصر)، وحصلت على الليسانس في التربية الأسرية، وليسانس في العلوم التربوية، والماجستير في تاريخ وفلسفة التربية والتعليم. من هواياتها الرسم بسبك التذهيب.

المدرسة إلى جانب الآخرين رغم صغر سني، أقتحم رجال الأمن (السافك) بيتنا عام ١٩٧٣م، كان هجومهم على بيتنا في الساعة ١١ ليلاً، لم أكن أنا في البيت، بل كنت في بيت خالتي تلك الليلة، فتشوا البيت بدقة وقلبوه رأساً على عقب، أخرجوا صورة لي وأشاروا عليها بالبنان قائلين: نحن نبحث عن هذه البنت. كان أبي يعتقد بدايةً أنهم جاءوا للقبض على إختوتي، وأخيراً ألقوا عليّ القبض في حدود الساعة ١٢ ليلاً واعتقلوني من بيت خالتي.

السيدة (زهراء مير خاني)^(١): عندما أرادوا تأسيس مدرسة (رفاه)، عُقد اجتماع في بيت الشهيد (رجائي) شاركت انا فيه، وأتممنا كل أعمالنا بصورة تدريجية، في الليلة التي كان من المقرر في صباحها أن تفتح أبواب المدرسة، كنت أنا والسيدة (بازرگان) والسيدة (رفعت افراز) والشهيد (رجائي) والشهيد (باهنر) نعمل حتى وقت متأخر من الليل، وقد سمعت بعد ذلك أن الشهيد (رجائي) كان يبقى هناك حتى الصباح.

(١) (زهراء مير خاني) بنت آية الله الحاج السيد (أحمد مير خاني)، ولدت في مشهد المقدسة عام ١٩٤٣م، شاركت في الأعوام ١٩٦٥ - ١٩٦٩م، في حلقات درس الشهيد (باهنر)، وآية الله (الجزائري) والعلامة (الجعفري)، فحضرت درس العرفان، الكلام، ونهج البلاغة، وشاركت في الأعوام ١٩٧٠ - ١٩٧٢م، في دورة إعداد المعلمين التجريبية، وكانت على معرفة باللغة العربية والإنجليزية، تسلمت (مير خاني) مسؤولية معاونة ثانوية (رفاه) وإدارة مكتبها، اعتقلت في عام ١٩٧٣م، بسبب أنشطتها السياسية مع مجموعة من زميلاتها وتلميذاتها في مدرسة (رفاه)، وزج بهم في السجن، استطاعت أن تتعلم اللغة الفرنسية في المعتقل، وبعد إطلاق سراحها شاركت في هذا الفرع في امتحان القبول للباكوريا، ونجحت فيه، وفي عام ١٩٨٠م، حصلت على (اليسانس) الماجستير في فرع اللغة الفرنسية. استمرت (زهراء مير خاني) بالتدريس لسنوات في المدارس الثانوية في طهران ومنذ العام ١٩٩٢م ولحد الآن، تصدى لمسؤولية إدارة مؤسسة ولي العصر.

٢٨٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

تأسست هذه المدرسة في عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠م [...] كنا نقضي أكثر وقتنا في ثانوية (رفاه)، وكنت أول الذين تمّ اعتقالهم، وقد اختفى من بعدي عدداً من الأخوات كالسيدة (بازرگان) والسيدة (افراز)، أو لُذِنَ بالفرار... وقد حصلت بعد ذلك اعتقالات عشوائية أخرى.

ب: مع (دباغ) في السجن:

السيدة (رضوانة دباغ): بعد أن نقلوني إلى (اللجنة الأمنية المشتركة) بدأوا بالتحقيق معي، حققوا معي لوحدي في المرحلة الأولى والثانية، أما المراحل الأخرى فكانوا يحققون معي وأنا أسمع أصوات أشخاص آخرين يتعرضون للتعذيب، وأصواتهم وصراخهم تتعالى، وأحياناً ترتفع أصوات التكبير (الله أكبر) و(الله، الله). كان رجال الأمن يسألونني باستمرار: أين الشخص الفلاني؟ وكانوا أحياناً يحققون معي بحضور والدتي، وبسبب قساوة التعذيب، رقدت في مستشفى مركز الشرطة أسبوعاً أو ثمانية أيام، حيث كانوا يتصرفون معي هناك كسجينة لا مريضة؛ فربطوني بالسريّر الذي كنت أرقد عليه، ووضعوني تحت المراقبة، وبعد فترة نقلوني إلى سجن (قصر) وصدر بحقي حكماً بالسجن التأديبي لمدة سنة، لكن لصغر سنّي، خففوا عني الحكم إلى أربعة أشهر، عندما كنت في سجن (قصر) عرفت من الشواهد والقرائن التي تتناقلها السجينات: أن أمي ستنقل إلى هنا أيضاً.

السيدة (مير خاني): «للأسف لقد مضى على ذلك وقت طويل، بحيث أنني لا أتذكر منه الشيء الكثير، وما أتذكره فقط هو صمت السيدة (دباغ)، وأتذكر أننا كنا نعقد مع (اليساريات) اجتماعات، ست سيدات منا نحن المسلمات، وست من أولئك، نجلس مع بعضنا البعض،

ونتحدث معهن عما يذكره تفسير (أضواء من القرآن)، وهنّ يتحدثنّ لنا حول التاريخ الطبيعي، وقد يكون بيننا أحياناً قواسم مشتركة، وقد لا تكون، فيحفظ كلُّ منا موقعه [...] أتذكر أن السيدة (دباغ) تعرضت لوعكة صحية شديدة، كان مرضاً نساءياً، فلم تتمكن من المشاركة في حواراتنا، فقد كانت راقدة على السرير، وتستمع إلى نقاشنا فقط...

السيدة (خير): ... السيدة (دباغ) هي أفضل مظاهر السجن، كانت معتقلة قبلنا، حوكت ولكن لم تحدد مدة محكومتها، وملفها مفتوح قيد الإجراء، وكأنها كانت من السابق في (اللجنة الأمنية). ذهبنا إلى سجن (قصر) ومن ثم جاءوا بالسيدة (دباغ)، كانت مصابة بوعكة صحية سيئة للغاية، كأنها كانت بحاجة إلى عملية جراحية، كان في جسدها جرح ملوث بالقريح، من المحتمل أن يكون من شدة التعذيب وأثر الجراحات، لم يؤثر فيها الدواء والعلاج، كانت حالتها الصحية سيئة للغاية، أصيبت بمرض القلب، وكانت تعاني من نزيف شديد استثنائي، كان هناك تعاون وتنسيق مشترك جيد بين الأخوات السجينات المتدينات وغير المتدينات، الكل كان يطوف حولها كالفراش حول الشمعة، حتى أنه عندما كانت تشتد حالتها الصحية وتصبح وخيمة جداً، كنّ يجهّزن لها ملابس خاصة، ويخطن لها من ملاحف السجن ثياباً على شكل سراويل لتغطي بدنّها بشكل كامل، حتى يكون جسم السيدة (دباغ) حرّاً، وليقلل من شدة ألم وحرقة جروحها، ومع كل هذه الاهتمامات والرعاية، كان جسمها يعاني من مشاكل حادة أيضاً، في الحقيقة كانت آية بالنسبة لي، كانت هي الأسنّ منا كلّنا، وأمّ لثمانية أبناء، دخلت إلى المعتكف السياسي، وكان هذا الأمر مثار إعجاب الجميع، فهي

٢٨٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

مع هذه الحالة وبهذا الجسم المصاب بالمرض، كانت تصلي صلاة الليل، وعندما تكون حالتها الصحية جيدة، كانت تحيي الليل بالتهجد والعبادة حتى الصباح، فكان هذا لنا نحن الشابات اللواتي لم يتواجدن في هذه الأجواء مدعاة للاهتمام، ودرس وعبرة.

ذكرت السيدة (دباغ) مطلباً أثناء التحقيق معها - قامت السيدة (دباغ) بإنجاز سيناريو مضحك على المحقق، وقد عرفنا إنها قالت: إنني لا أعرف القراءة والكتابة، أمّية مطلقاً، وعندما وضعوها في السجن، لم تكن قادرة على إظهار أنها متعلمة، لهذا عندما جاءت إلى هنا - السجن - وقالت: أنا أمّية، اختارت إحدى النساء الشيوعيات واسمها (صديقة صيرفي نجاد) لتعلمها القراءة والكتابة، كان تصرفها هذا قد أثار فيّ الشكوك، مثلاً كيف أن السيدة (دباغ) عندما كانت تجلس معي تقول لي: اقرأ القرآن، ولكنها لم تطلب مني أن أعلمها القراءة والكتابة؟ فعرفت السبب فيما بعد... إنها كانت تريد أن تعلن للجميع بعد مدة أنها أصبحت تحسن القراءة والكتابة، وتشهد لها تلك المرأة الشيوعية، أنجزت السيدة (دباغ) هذا العمل في مدة قصيرة وبسرعة.

كانوا يتصورون أن حصول هذا هو بسبب نبوغ وفطنة ودراية السيدة (دباغ)، والمثير للاهتمام هنا هو أنها أدّت هذا الدور ببراعة، بحيث لم يشك بها أحد حقيقة، أقمنا احتفالاً قصيراً للسيدة (دباغ) بهذه المناسبة.

كانت السيدة (دباغ) - وحسب السيناريو الذي أعدّته - تفتح الكتب أمامها وتظاهر أنها تتمرن على القراءة والكتابة، لكن حقيقة الأمر هو لأنها كانت لا تتمكن من النوم بسبب الجروح ووضعها الصحي،

فإنها كانت تطالع وتستفيد من كافة الكتب - المفيدة - التي تصل إلى السجن بطريقة ما.

كنا في البداية نحن والماركسيات نعيش معاً فكن يعترضن علينا في الأوقات التي نريد فيها الصلاة والصيام بأنكن توقظوننا من النوم، فتؤذونا وتزعجوننا بذلك.

كانت هذه الذرائع والحجج الواهية دليلاً جيداً على عزلهن في غرفة لوحدهن، وطالبت إحدى المعتقلات الشيوعيات واسمها (عاطفة جعفري) أن تكون معنا في غرفة واحدة، قلنا لها: وما المناسبة؟ إنك لو جئتي معنا فإننا سنسبب لك إزعاجاً مرة أخرى، وذلك لأننا نتحرك كثيراً - ذهاباً وإياباً - ولا داعي لأن تلقي نفسك في المتاعب، قالت: أنتن المتدينات لديكن أمور حسنة وجيدة، إلا أنني لا أستطيع أن أنسجم وأتفاعل معها. قلنا: حسناً، إن كنا نمتلك أشياء جيدة وحسنة، فتعالينا معنا، والتزمي دينياً، قالت: كلا، أريد أن أكون معكم فقط في نفس الغرفة، فقبلنا في النهاية، وحلّت معنا في الغرفة. في هذه المدة، كانت السيدة (دباغ) تنهض من نومها ليلاً، وتصلي صلاة الليل، إلى أن قامت (عاطفة جعفري) في أحد الأيام وقالت: آه منكم كم تصلون؟ لقد ضقت ذرعاً، قلنا لها: سيدتنا العزيزة، نحن قلنا لك من البداية أن لا تأت معنا والسبب هو هذا، وأما الآن وقد جئت، فيجب عليك أن تتحملي.

أما ماذا حلّ بالسيدة (دباغ)، فلا علم لنا بهذا. السيدة (رضوانة) (ابنتها) قد اعتقلت من قبل، وعذبوها إلى حدّ أن المسكينة الصغيرة تعرضت للإصابة بمرض في الرئة وكان مزمناً، كما حصلت لها آلام قلبية حادة، وعوارضها لحد الآن موجودة في جسمها، أمام عيني الأم حصلت

لهذه الفتاة مسائل كثيرة، وقد كانت السيدة (دباغ) صامته لا تتكلم، فهي لا تريد إضعاف روح ومعنويات الأخريات، بحيث كانت كاتمة لأسرار السجن.

كانت السيدة (دباغ) بالنسبة لي (آية)، فلا أزال وكلما فكرت بهذه المسائل وما يرتبط بها تأثرت بها وبشدة، مستلهمةً منها القوة والنشاط. عندما كان يأتي زوجها وأسرته لزيارتها، كنا نمسك بذراعيها من الجانبين، ونأخذها إلى هناك، لتتكلّم مع عائلتها من وراء قضبان السجن، وكانت تسعى جاهدة أن لا تبرز شيئاً من مرضها، كانت تقف بروح عالية، وكأنها لا تعاني من عاهة في جسمها، وكانت تفكر بانفتاح، فتخاطب زوجها من هذه الجهة وتلك الجهة: «يا حاج، تزوّج امرأة ثانية، وفكر في مصلحتك واسترح، فأنا امرأة لا أصلح لك».

أما زوجها السيد (دباغ) فهو رجل مؤمن وشريف، وهو وإن كان يعاتبها ويقول: «يا امرأة، انظري ما فعلت به بنفسك» لكنه في نفس الوقت كان يطمئنّها من جهة الأولاد، فأموهم جيدة، ولا يعانون من مشكلة». للسيدة (دباغ) روح عالية، فهي تستفيد من كل شخص له خبرة واختصاص، وهذا مثير للاهتمام، فأنا حاصلة على شهادة الليسانس في الاقتصاد، كانت تقول لي: «اجلسي، واقراء لي القرآن، وتحديثي عما تفهمينه من الآيات حسب اختصاصك، قلت: «يا سيدة (دباغ)، في النهاية ستلقيني في جهنم؛ لأن «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» قالت: «لا تخافي، فنحن لن نضلّ، تكلمي»، كانت تسمع وتحلل ما أقول، وهو أمر جديد بالنسبة لي لم أعتده من قبل. فعندما أنظر في القرآن الآن أرى أن انتزاعي معاني من القرآن في ذلك الوقت، هو ليس

كما أنتزعه الآن، وكأن وجود السيدة (دباغ) كان وجوداً خاصاً في محضر القرآن، تنتزع منا الكلام، لقد كانت تشجعنا في هذا الطريق، وهي بمنزلة الأم الحنونة مع بناتها الشابات، وكانت تساعدنا في الجانب الفكري أيضاً.

كانت تحذّرنا أحياناً من أن نتقرب من اليساريات، وتشعرنا بالخطر (سوسن حداد عادل) هي بنت لها أربعة عشر عاماً، أحطن بها الشيوعيات من كل جانب، قالت لنا السيدة (دباغ): «إنني قلقة جداً على هذه البنت، وقلقي هو أن لا يأتي ذلك اليوم الذي يستقطبونها نحوهم، فلا تهملوها؛ لأنها تعودت عليكم، لا تتركوها تفلت من أيديكم، أنا أعرف (سوسن) وأعلم أنها صغيرة السن، إلا أنها ذات فطنة عالية وذكية، كنت أقول للسيدة (دباغ): «لا تقلقي بشأنها، فهذه البنت تبحث عن أم، وقد وجدت عاطفة الأمومة في (ويدا حاجبي) وويدا لها ابن عمره أربعة عشر عاماً، شاء القدر أن يكون ابنها هذا مؤمناً متديناً، وعندما كان يأتي إلى زيارة أمه، يقول لها من وراء القضبان: «أقراي عن أبي ذر الغفاري» كان يوصي أمه بهذه الوصايا. نحن كنا على وعي كامل ومعرفة أن (سوسن) هي بنت واسعة الصدر، كان إخوتها يأتون لها بكتب جيدة، مثل (رحلة ابن بطوطة)، وكم لاقى الدكتور (حداد عادل) من المشقة لإيصاله إليها داخل السجن، ولكننا لم نكن نفهم الكثير من تلك الكتب في ذلك الوقت، لكن السيدة (دباغ) قرأت هذا الكتاب، وينبغي أيضاً أن لا ننسى أن (سوسن) نشأت وترعرعت في عائلة ملتزمة ومتدينة جداً، وعلى هذا ففي الوقت الذي نلتزم نحن بنصائح السيدة (دباغ)، كنا نتابع أيضاً أن لا تنخدع (سوسن) فكرياً بهؤلاء، وتُستقطب نحوهم، وعلى أي

٢٩٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

حال كنا لا نرى إشكالاً في هذا النوع من التقارب العاطفي، وعندما كنا في الزنزانة لطالما ذهبت (سوسن) إلى المحققين لتنصحبهم وترشدهم، وقد سبب هذا لها طبعاً الكثير من المشاكل، حيث أخذوا يتابعونها بعض الوقت، واحتجزوها في السجن ستة أشهر، بسبب ادعائهم: «بأنها قائدة مجموعة»، ومع هذا كله، كانت السيدة (دباغ) تقول دائماً: «أنا قلقة على هذه البنت، حتى أنا أيضاً كنت أشعر أن السيدة (دباغ) قلقة علينا أيضاً؛ لأنها كانت تراني أذهب عند إحدى المعتقلات اليساريات (رقية دانشكري) لتعلم عندها اللغة الإسبانية، فأطلع الكتب، وقد عاتبتني عدة مرات، حيث تقول: «لماذا لم تؤيدي كلامي في المكان الفلاني؟» فأقول: يا سيدة (دباغ)، لكل أحد أسلوب وطريقة في التعبير، وعليك أنتي أن تقولي وبصراحة ومن دون غشاوة وستار عليك أن توضحني موقفك الديني، وتعلمني عنه بصراحة، ولا تخافي منا، لا تقلقي، فنحن شاعرون بقلقك وتخوفك، ولكن إن خلقنا معهم مشكلة حول كل شيء فستعرض الجوانب العاطفية إلى ضرر، نقي بأننا يقظت حذرات...». ولا يخفى أن قلق السيدة (دباغ) لم يكن بلا سبب، فبعد إن أطلق سراحنا من السجن، حصل تعامل سيئ مع المعتقلات المتدينات، فمثلاً «صاروا يركلون تربة الصلاة التي كانت السيدة (مليزه بستان) تسجد عليها، بينما في وقتنا لم تكن الأجواء في أيديهم أبداً، وأحد أسبابه هو: وجود السيدة (دباغ)، فقد كانت وزناً علمياً وقيماً عند السجينات المتدينات، وكانت تحافظ على الأخوات المتدينات من خط اليساريات. واليساريات أيضاً على الرغم مما يبدين من عطف ومحبة بقيادة (ويدا حاجبي)، كن يسعين أن تصبح السيدة (دباغ) لوحدها فكراً، لكنهن

فشلن في تلك المحاولات، وأحياناً يعتصر قلب السيدة (دباغ) لذلك ألماً، وتتصور أننا أيضاً معهن، مع أن سليقة التعامل تختلف بطبيعتها، فعندما صدر الحكم بإطلاق سراحى من السجن، كانت (ويدا) تقول لي: «نشاطك وعملك كله دعوة وتبليغ»، وقالت (رقية دانشگري): «لم تكوني تتكلمين كثيراً»، قلت: «هذا تناقض فقالت ويدا: أنتن المتدينات تتصرفن بنحو يشعر فيه الإنسان دائماً وعلى مستوى كافة الأعمال - حتى في قيامه وجلوسه - أنكن تردن أن تقلن: أني مسلمة».

كان أشبه وأقرب شخص إلى السيدة (دباغ) هي السيدة (عصمت السادات نصري)^(١)، وقد عرفنا بعد مدة أن السيدة (نصري) كانت على علاقة بمنظمة (مجاهدي خلق)، وهي من الشخصيات البارزة في هذا التنظيم، وكانت تعرف السيدة (دباغ) جيداً.

لم تكن هاتان المرأتان تتحدثان أبداً عن عملهن، وماضيهن، ومع من كن يعملن؟ ومع من يرتبطن؟ بل لم يتكلمن أبداً حتى عن تعذيبهن، كان متعارفاً أننا إذا اجتمعنا مع بعضنا البعض، نتحدث عن ماضينا، عن التحقيق والتعذيب، وإن كان بإيجاز، لكن هاتين الشخصيتين لم يصدر منهن أي شيء، فمع أنني قضيت من محكوميتي عاماً كاملاً في السجن، إلا أنني لم أعرف أن السيدة (دباغ) كانت تعمل مع آية

(١) ولدت السيدة (عصمت السادات نصري) في (قزوین)، أُلقي عليها القبض بسبب

قيامها ببعض الأنشطة السياسية ضد نظام الحكم الشاهنشاهي، وبقيت مدة في السجن، بعد أن أطلق سراحها من السجن في عام ١٩٧٥م، تزوجها السيد (مرتضى نبوي)، وتوفيت في عام ١٩٨٣م.

٢٩٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الله (سعيدى)، وكانت إحدى تلميذاته، فهي لا تتكلم عن سوابقها ونضالها مطلقاً.

قالوا لي في التحقيق: إن سيدة تضع برقعاً أسود جاءتك وأعطتك منشورات، قلت: كلا، قالوا: إذاً فمن أين أتيت بتلك المنشورات؟، قلت: من أماكن مختلفة، وأنا حقيقةً، لم أستلمها من تلك المرأة التي نعتوها لي وعلمت بعد ذلك أن المحقق يعني من تلك السيدة التي تضع برقعاً أسود هي السيدة (دباغ)، وقد حاول المحققون كثيراً أن يعثروا على خط وارتباط السيدة (دباغ)، لكنها مارست دوراً بنحو عجزوا عن معرفة ذلك».

السيدة (حداد عادل): «... عندما أخذوني إلى التحقيق وضعوا أمامي دفترًا، ثم فتحوه، سألوني: «أتعلمين من صاحبة هذه الكتابة؟» نظرت إليه، إنه دفتر (رضوانة دباغ)، الدفتر بجلده القهوائي اللون، ولكنني لا أعلم عن محتوى وكيفية هذه الكتابة، فكرت قليلاً، وقلت: «كلا، لا أعلم لمن هو؟ ومن أين لي أن أعلم؟ عذبوني كثيراً ليتزعوا مني اعترافاً أن هذا الدفتر لمن؟» قالوا: «هو ليس لك؟» فقلت: «كلا، هو ليس لي»، سألوني مرة أخرى: «لمن هو؟» قلت: «لا أدري»، كان المحقق معي ذلك اليوم (منوچهري)، بذلَ جهداً كبيراً لمعرفة صاحب هذه الأوراق، لكنه فشل.

في النهاية، ساقوني إلى سجن (قصر)، وبعد مدة، جاءوا بـ (رضوانة) لم أكن شاهديها في (لجنة التحقيق المشتركة) لكنني التقيت بها في سجن (قصر)... كنا حميمات ونحب بعضنا في المدرسة، كنت قد ذهبت إلى بيتهم «أعتقد أنه في شارع غياثي»، وتعرفت على السيدة

(دباغ) وبناتها. كان لها بنات طيبات جداً، الواحدة أفضل من الأخرى بكمالها ولطافتها، كنت أتذكر (راضية) جيداً، هي أكبر مني، ولكن مع ذلك تحترم الشخص وتستقبله بحفاوة وحرارة، كنت أُصَاحِبُ (رضوانة) لندرس معاً. أتذكر أنني بتُ ليلة من الليالي في بيتهم، كنا نتكلم كثيراً في تلك الليلة مع الأخوات، ونتسلى ونضحك، وهذا من لوازم سن الثانية عشر والثالثة عشر، صعدت السيدة (دباغ) إلى أعلى السطح كي تنوم ابنها الصغير، وعندما ارتفع ضجيجنا وأصواتنا بالضحك صاحت من هناك، وقد كانت ولا تزال صاحبة الهيبة: «السكوت يا بنات».

النتيجة أننا أدينا واجباتنا بهدوء وصمت، وحسبنا لكل شيء حسابه، كنت قد شعرت منذ ذلك الوقت أن وجوداً وحياةً في هذا الجو، قادر على القيام بأي عمل، الإدارة، التوجيه... كان الأولاد يحترمون أهمهم للغاية، وكنت أشاركهم هذا الشعور، فقد كنت أنظر لها بعين الإعبار والاحترام، تعرّفت على عائلتها وأحببتهم.

مرضت السيدة (دباغ) في السجن وأصبحت حالتها وخيمة، أظهرت نفسها هناك أنها لا تعرف القراءة والكتابة، فقالت طلبت من إحدى السجينات الشيوعيات: «أن تعلّمها القراءة والكتابة، أرادت بعملها هذا أن يصدّقها الآخرون أنها (أُمّية) حقيقة».

وأتذكر أيضاً أن الأخوات المتدينات كان لهن نوع من التعاطي والمدارة مع بقية السجينات، بحيث كنّ مع بعضهن البعض يمارسن الرياضة معاً، يأكلن معاً، و... لكن السيدة (دباغ) لم تكن تتماشى مع المعتقلات اليساريات، كان لها تعامل خاص معهن، ولا زلت أتذكر أنني

٢٩٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

في وقتها حاولت أن أحتك بهنّ أكثر، لعلّي أؤثر عليهن ولو قليلاً، وفي نفس الوقت كنّ يتصورن أنهنّ قادرات من خلال سرد قصصهن التأثير عليّ؛ نظراً لصغر سنّي، فأنجذب نحوهن، لقد أولّني عناية، وأظهرن لي الود والبشاشة، مما أثار تحسس السيدة (دباغ)، حتى قالت لإحدى السيدات: «اهتموا (بسوسن) لأنها صغيرة السن»، فالمحبة المفرطة من قبل (اليساريات) ليست مسألة اعتباطية بل إنهن يحاولن استقطابها.

كان هناك سيدة تدعى (ويدا حاجبي)، لها ابن ناهز عمره الأربعة عشر عاماً، أرادت أن تظهر لي ودّها وعاطفتها في الأمومة، فكانت تبين لي أنني بمنزلة ابنها، فتكنّ لي كلّ الحب والحنان والاحترام الذي تبديه لابنها، وتعوض عن هذا الفراغ والخلأ العاطفي، وكذلك السيدة (عاطفة گل سرخي) زوجة السيد (گل سرخي)، لها ابن عمره يضاهي عمري، وكانت هي الأخرى تكنّ لي نوع من الحب والودّ وعاطفة الأمومة، كنت أمثل دور الصغيرة، إذ لم يكن وزني أكثر من ٥٣ كيلو، لكن ثقّتي بنفسني جعلتني لا أفرّ من الاحتكاك والارتباط بهن، كنت أعتقد أنني أمتلك ذهنًا وقابلية واستعداداً كبيراً، وعيوناً يقظة وقلباً متفتحاً، لا أتأثر بهؤلاء، بل أؤثر فيهن أيضاً.

كانت السيدة (دباغ) قلقة جداً، إلى حد أنها في الليلة الأخيرة عندما قرروا إطلاق سراحها من السجن، ووقف كلّ منا أمام سريره لتوديعها، وبعد أن استمعنا إلى كلامها، وأثناء تقبيلها للجميع، عندما وصلت إليّ، قبلتني وهمست في أذني فقالت: «خذي حذرك من المعتقلات (اليساريات)، لا يؤثرن عليك»، وبعد أن ذهبت أخذتني حالة من الاضطراب هناك، وشعرت أن قلق السيدة (دباغ) في محله، وهي

جادة فيما قالت، بهذا التحذير، كان قلقها نحوي قد صيرني حذرة ومراقبة لنفسى في كل الحالات، وأن يكون خطابها يدوي دائماً في أسماعي، وبفضل الله تمكنت أن أجتاز تلك المنحدرات الخطيرة بسلامة، وبعد ذلك اليوم فإن الحب والحنان من اليساريات قد فقد لونه العاطفي تجاهي.

في أحد الأيام حدثت مشكلة للسيدة (دباغ)، ولا أدري هل استمرت بعد إطلاق سراحها من السجن أم لا؟ أصيبت بحالة شبيهة بالصرع، اصطكت يداها، والتوت ساقاها، واختلت عيناها، وسقطت في وسط الغرفة، وهي تشخر، وكانت في حالة مزرية، كانت (رضوانة) واقفة إلى جانبها، وهي تقول: اتركوها وشأنها فإن حالتها سوف تتحسن بعد دقائق» عندما شاهدت هذا المنظر بكيت رقة لها، وقلت: «آه، لماذا أصبحت السيدة (دباغ) هكذا؟» قالت (رضوانة): «كنت إلى جانبها، فحصل لها ذلك، لا تتأذوا، ستتحسن صحتها، هذه حالة عابرة، أظن أن هذه الحالة هي نتيجة تعذيبها في (اللجنة الأمنية المشتركة) آنذاك».

إحدى السمات والخصائص التي اتسمت بها السيدة (دباغ): أنها كانت مستودع الأسرار في السجن، لا تفشي السر لأحد، فكل من ينظر إليها في الوهلة الأولى يعتقد أنها امرأة عادية ربّة بيت، وأنهم ألقوا القبض عليها من باب الخطأ، وعلمنا بعد ذلك أن لها ارتباط وصلة بالشهيد آية الله (سعيدى)، وأنها كانت تحضر درسه، لكنها لم تكن تتكلم أبداً عن تنظيمها، ولا الأشخاص المرتبطين بالتنظيم، بل لا تتحدث عن ملفها بتاتاً، وقد أقنعت المحققين والمعتقلات معها كافة من البداية أنها امرأة (أمّية) لا تعرف القراءة والكتابة، لكن

٢٩٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الحقيقة أنها امرأة مناضلة، يتفجر الحزم، الإدارة، والجاذبية من روحها الكبيرة.

جاءوا مرة لرش الزنزانة بمواد سامة بعد إطلاق سراح السيدة (دباغ)، وأغلقوا الأبواب على السجينات لمعاقبتهن، فتعرض الجميع إلى حالات سيئة، وأصبن بالتسمم، كانت إحدى السجينات تدعى (شهلا)، كان جسمها يرتعش، كرعشة السمكة التي تخرج من الماء إلى اليابسة.

الشخص الوحيد الذي قاوم ولم يتأثر هي السيدة (نصري)، كانت امرأة قوية البدن، خرجت سليمة من هذا الحادث، أما السجينات الأخريات، فقد كنّ يتصارخن وينحبن بصوت عالي، ويضربن بقبضاتهن على الباب، حتى رقّ قلب السجانات لهنّ، فذهبن إلى رئيس السجن وطلبن منه فتح الأبواب، عندما فتحت لهن الأبواب، تقيأت السجينات، وأصبن بحالات من التشنج، أتذكر أن السيدة (نصري) كانت تمسك بأذرع السجينات وتأخذهن إلى ساحة السجن. كنت حينها أشكر الله عزوجل وأقول: «كم هو جميل أن السيدة (دباغ) ليست معنا في الزنزانة، وأتذكر أنني قلت للسيدة (خير): «لو كانت السيدة (دباغ) هنا، كم يسوء حالها، قلت هذا بحالة من القلق والتوتر.

صلاة الليل للسيدة (دباغ)، صيامها، عدم مهادنتها للمعتقلات (اليساريات)، حجابها، حزمها، وإدارتها، كلها أمور بقيت في ذهني. السيدة (رضوانة) أيضاً بقيت محافظة وملتزمة، وكانت تتميز بالمتانة والصبر، والحق أنها بنت لمثل هكذا امرأة، أعني السيدة (دباغ) أما أنا فقد كنت أمتاز بكثرة الحركة والشيطنة.

ج: حول (ويدا حاجبي):

السيدة (مير خاني): بعيداً عن الإنصاف أننا لا نذكر ما كانت تمتلكه من محاسن وصفات إيجابية، فقد كنت أنظر إليها بعين الاحترام، فحصولي على شهادة الليسانس في اللغة الفرنسية مدينٌ للسيدة (ويدا حاجبي)، وكان تعاملتي معها بهذا المقدار فقط لا أكثر.

في السجن من له معرفة بفن من الفنون أو علم من العلوم فإنه يعلمه للآخرين، كانت (ويدا) تعرف ثلاث لغات هي: (الإسبانية، الإنجليزية، والفرنسية)، ولهذا السبب، بدأت تدرّس اللغة (الفرنسية). كنا سبع أو ثمان أشخاص قد شكلنا حلقة درس، بعدها أخذ العدد يتناقص شيئاً فشيئاً، ولم يبقَ في حلقة الدرس سوى اثنتين أو ثلاث فقط، وفي مقابل عملها هذا كنت أدرس (ويدا) اللغة العربية.

أريد أن أقول عن (ويدا): «صحيح إنها كانت شيوعية، لكنني لم أسمع منها شيئاً فيه إهانة للإسلام أبداً، لعلّ تعاملها معي كان بهذا النحو، إلا أنها تختلف في تعاملها مع الآخرين.

السيدة حداد عادل: «كانت (ويدا حاجبي) تظهر لي المحبة، وتعتبرني مثل أحد أبنائها، لكن هذا الأمر فقدَ صبغته عندما حذرتني السيدة (دباغ) منها.

تجيد (ويدا) التكلم ست إلى سبع لغات هي: (اللغة الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الإيطالية، و...) كانت مع السيدة (سيمين نهاوندي) من القيادات اليسارية».

السيدة (خير): (ويدا حاجبي) كان لها مكانتها ووزنها عند غير المتدينات، وهي تعد بدرجة السيدة (دباغ)، كانتا قطبين متعارضين

٢٩٨..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

تماماً، أشعر أحياناً أنهم ينافسونني؛ لأنني اصطدمت مع أشخاص في الجامعة من هذا الطراز، ولديّ معلومات عن الماركسية، وقد استقطبنا عدد من شبابهم»، كانت (ويدا) قلقة من أنني سأكون حجر عثرة أمامها يمنع وصولها إلى أولئك الشباب، ولهذا السبب كانت تنافسني فكرياً، قالت لإحدى السجينات: «أن لا تعير لكلامي أهمية».

فتحت للسجينات صفّاً لتعليم اللغة، حاولت عن هذا الطريق اجتذابهن نحوها، فهي إنسانة عاطفية وحنونة جداً، ولم أر منها - طوال المدة التي قضيتها معها هناك - عملاً منافياً للعفة والأخلاق أبداً، نعم، كنا نراعي أموراً لا يراعيها هم، فلم يكن يراعي أماننا طريقة الملبس، الاستحمام، ومسائل من هذا القبيل، من الممكن أنه قد حصلت بعض الأمور، إلا أنني في تلك الفترة التي كنت موجودة فيها لم أشهد شيئاً، أطلقوا سراحني من السجن قبل السيدة (دباغ)، أما هي فقد مكثت فترة أطول، وقطعاً فهي تستذكر أمور ومسائل كثيرة.

هناك سجينة أخرى من طيف (ويدا) هي: (صديقة صيرفي نجاد)، كانت مولعة بشخصية السيدة (دباغ)، وكأنها في حال تغيير.

كانت (ويدا حاجبي) سيدة ناضجة، تناهز من العمر الأربعين عاماً، امرأة وقورة، تعرف ست أو سبع لغات عالمية، سألتها يوماً: «(ويدا) هل صليت يوماً من الأيام لحد الآن؟ قالت: «نعم، كنت قد صليت إلى سن الرابعة عشرة، قالت لي جدتي في أحد الأيام: إن صليت ألف ركعة في ليلة القدر، ستكونين الأولى في الصف، أو يستجاب لك في الحاجة الفلانية، فذهبت وصليت ٥٠ ركعة، ثم لم أتمكن من أداء الباقي، والآن لا أقول لابني: كن متديناً أو كن شيعياً، بل عليه هو أن يختار ما يرغب».

الملحق رقم (٢):

كان السيد (هادي غفاري) من الثوار المناضلين الذين وقفوا بوجه (الشاه)، وكانت له أنشطة سياسية كثيرة، وبين كرّ وفرّ مع رجال الأمن (السافاك)، هرب من إيران إلى خارج البلاد في ١٩٧٨/٩/٨م بتوصية وإصرار من الشهيد (بهشتي).

قام بزيارة السيدة (زينب) في (سوريا)، لغرض التعرف على بعض الشخصيات، وإقامة صلة وارتباط مع الثوار المقيمين هناك. فالتقى أولاً بـ (الشهيد منتظري)، وبعد ذلك: بـ (علي جنتي)، السيد (محمد غرضي)، والسيدة (دباغ) وأوجد أرضية ارتباط وتعامل معهم، يقول غفاري: «جاءت سيدة وسلّمت، كانت تتكلم بوقار وهدوء، فقالت لي: اسمي (طاهرة دباغ)»^(١).

تعرفّ وارتبط (هادي غفاري) في (لبنان) و(سوريا) بأشخاص مختلفين، واطلع على بعض قضايا الثوار في خارج البلاد، وفي أيام تلتها، دعاه (جلال الدين الفارسي) للتحدث في لقاء صحفي عقده مع مراسلي وكالات الأنباء، جاء فيه: «... جئت الآن من إيران، ولم أكن أعلم بتفاصيل هذا اللقاء الذي تم إعداده ولا بهؤلاء المجاميع من الصحفيين حتى ذلك الوقت - [...] كان يجلس عدد من الإخوة على طاولة مستديرة: السيد (جلال الدين الفارسي)، السيدة (دباغ)، الشهيد (محمد منتظري)، (أحمد حجازي)، وعدد آخر من الإخوة والأخوات، طرحت أسئلة متعددة حول الأوضاع في (إيران)، ظروف النضال ومستقبل (إيران) من الأمور التي طرحت في هذا اللقاء...

(١) مذكرات هادي غفاري، طهران، مكتب أدب الثورة الإسلامية، عام ١٩٩٥م، ص ٢٩٥.

٣٠٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

كما تناول هذا اللقاء أسئلة كثيرة خصوصاً فيما يخص دور الشيوعيين في الحكومة الإسلامية.

عندما انتهيت من الحديث قال السيد (الفارسي) بلهجة انفعالية: «يا سيد (غفاري): لقد فسد كل شيء»، قلت: «لماذا؟» قال: «ألا تعلم أن هنا (لبنان)؟ لماذا تحدثت بسوء عن (الاتحاد السوفيتي)؟ الكثير ممن هم أنصارنا هم أنصار للمعسكر الشرقي أيضاً، قلت: «نحن بنفس الحجم الذي نعارض فيه (أمريكا)، نعارض فيه الاتحاد السوفيتي و(الصين) أيضاً، لكن عدونا الأول هي أمريكا».

قلت هذا الكلام، فقام (الفلسطينيون) أنصار (المعسكر الشرقي) بجمع أمتعتهم وذهبوا... كانت السيدة (دباغ) هي الشخص الوحيد الذي شجعني في ذلك اليوم على بيان هكذا خطابات ^(١).

(١) مذكرات هادي غفاري، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

الملحق رقم (٣):

رسالة الإمام الخميني إلى ميخائيل غورباتشوف (رئيس الهيئة الرئاسية للاتحاد السوفيتي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جناب السيد (غورباتشوف)، رئيس الهيئة الرئاسية لاتحاد
الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

مع التمنيات بالتوفيق والسعادة لكم وللشعب السوفياتي.

نظراً إلى أن تصديكم للقيادة قد أوجد شعوراً بأن جنابكم يقف
على أعتاب مرحلة جديدة من المراجعة والتغيير والتحول في تحليل
الأحداث السياسية العالمية لاسيما بالنسبة لقضايا الاتحاد السوفيتي، وإذ
أمل في أن تكون جرأتكم وشجاعتكم في التعامل مع الواقع منشأ تحول
وسبباً في تغيير المعادلات الراهنة التي تسود العالم؛ لذا رأيت من
الضروري التذكير ببعض القضايا.

على الرغم من أن توجهاتكم وقراراتكم الجديدة من الممكن أن
تمثل مجرد أسلوب في حل المعضلات الحزبية جنباً إلى جنب مع
بعض مشكلات شعبكم، غير أن هذا القدر من الشهامة في إعادة النظر
بالأفكار التي كبلت الأبناء الثوريين في العالم بقيود حديدية على مدى
سنوات طويلة، يستحق الثناء والتقدير.

وإذا كنتم تفكرون في أبعد من ذلك، فإن من أولى القضايا التي
ستكفل جهودكم بالنجاح، هي - بالتأكيد - إعادة النظر في سياسة

٣٠٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

أسلافكم المتمحورة حول (محاربة الله) واستئصال الدين من المجتمع، التي ألحقت دون شك ضربة قاصمة بكيان الشعب السوفيتي. واعلموا أن التعامل الواقعي مع القضايا العالمية لا يتأتى إلا عن هذا الطريق.

طبعاً من الممكن أن يبدو العالم الغربي أمامكم كحدائق نضرة خضراء، نتيجة الأساليب المنحرفة والنهج الخاطيء لأقطاب الشيوعية السابقين في المجال الاقتصادي؛ بيد أن الحقيقة تكمن في مكان آخر.

إنكم إذا كنتم في هذه المرحلة تبحثون عن حلول لمعضلات الاقتصاد الاشتراكي والشيوعي المستعصية، من خلال اللجوء فحسب إلى مركز الرأسمالية الغربية، فإنكم ليس فقط لن تداووا جراح مجتمعكم، وإنما ينبغي أن يأتي آخرون من بعدكم ليتلافوا أخطاءكم، ذلك أن الشيوعية إذا ما وصلت اليوم إلى طريق مسدود في نهجها الاقتصادي والاجتماعي، فإن العالم الغربي أيضاً يعاني من هذه المسائل ومسائل أخرى ولكن بشكل آخر.

جناب السيد غورباتشوف، لا بد من مواجهة الحقيقة، إن مشكلة بلدكم الرئيسة لا تكمن في قضايا الملكية والاقتصاد والحرية، وإنما في عدم الإيمان الحقيقي بالله. وهي ذات المشكلة التي قادت الغرب وستقوده إلى الانحطاط وإلى طريق مسدود؛ لأن مشكلتكم الحقيقية تكمن في محاربتكم الطويلة والعقيمة لله ومبدأ الوجود والخلق.

جناب السيد غورباتشوف، من الواضح للجميع أنه من الآن فصاعداً يجب البحث عن الماركسية في متاحف التاريخ السياسي في العالم. فالشيوعية لم تلب أية حاجة من الاحتياجات الواقعية للإنسانية؛ لأنها مذهب مادي وليس بوسع المادية إنقاذ البشرية من مأزق عدم

الإيمان بالمعنويات الذي يمثل أبرز الآلام التي تعاني منها المجتمعات البشرية في الغرب والشرق.

جناب السيد غورباتشوف، من الممكن أن لا تتخلى عن الماركسية على الصعيد النظري في بعض الجوانب، وتحرص من الآن فصاعداً على الإعراب عن إيمانكم الكامل بها، غير أنك شخصياً تعلم بأن الواقع غير ذلك، وأن زعيم الصين كان قد وجّه الضربة الأولى للشيوعية وها أنتم توجهون لها الضربة الثانية، ويبدو أنها الضربة القاضية. فاليوم لم يعد في العالم شيء اسمه (الشيوعية). ولكن اطلب منكم بإصرار أن تحذروا الوقوع في سجن الغرب والشیطان الأكبر، وأنتم تحطمون جدران أوهام الماركسية.

آمل أن تنالوا الشرف الحقيقي في إنجاز مهمة التخلص من الأوكار المهترئة المتبقية جرّاء سبعين عاماً من انحراف العالم الشيوعي، ومحوها من صفحة التاريخ ومن بلدكم. فالحكومات الأخرى الحليفة لكم ممن تنبض قلوبها من أجل بلدانها وشعوبها، لم تعد مستعدة اليوم لإهدار ثروات بلدانها وخيرات شعوبها من أجل البرهنة على جدوى الشيوعية التي وصلت أصداء تهشم عظامها إلى أسماع أبناء هذه البلدان.

السيد غورباتشوف، عندما تعالى نداء (الله أكبر) والشهادة برسالة خاتم الأنبياء من مآذن مساجد بعض جمهورياتكم بعد سبعين عاماً، انهمرت دموع الشوق من عيون أنصار الإسلام المحمدي الأصيل كافة، الأمر الذي ألزمني بأن أذكركم بضرورة التفكير ثانية بالرؤيتين الكونيتين المادية والإلهية. فالماديون آمنوا بـ (الحس) معياراً للمعرفة في رؤيتهم الكونية واعتبروا كل ما هو غير محسوس خارجاً عن دائرة العلم. وتبعاً

٣٠٤..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

لذلك اعتبروا عالم الغيب نظير وجود الله تبارك وتعالى والوحي والنبوة والمعاد، ضرباً من الأساطير.

في حين إن معيار المعرفة في الرؤية الكونية الإلهية يشمل (الحس والعقل). وأن ما يدركه العقل يدخل في دائرة العلم وإن لم يكن محسوساً. لهذا فالوجود يشمل عالمي الغيب والشهادة، والذي يفتقد للمادة من الممكن أن يكون له وجود. ومثلما يستند الوجود المادي إلى (المجرد)، فالمعرفة الحسية تستند إلى المعرفة العقلية أيضاً.

إن القرآن المجيد ينتقد أساس التفكير المادي ويرد على الذين يتوهمون عدم وجود الله؛ لأنه لا يرى: ﴿... لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١)، قائلاً: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

وإذا تجاوزنا القرآن العزيز والكريم واستدلالاته بشأن الوحي والنبوة والمعاد، إذ تعد من وجهة نظركم غير مسلمة، فإني لا أرغب أصلاً بزجكم في تعقيدات مباحث الفلاسفة، لا سيما الفلاسفة الإسلاميين، ولكن سأكتفي بذكر مثالين بسيطين من الممكن إدراكهما فطرياً ووجدانياً وبوسع الساسة الاستفادة منهما أيضاً.

من البديهي أن المادة والجسم مهما كانا فهما يجهلان ذاتهما. فالتمثال الحجري أو الجسم المادي للإنسان، يجهل كل طرف منه الطرف الآخر. في حين نشهد عياناً أن الإنسان، وكذا الحيوان، يعي كل

(١) سورة البقرة، الآية ٥٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

ما حوله. يعلم أين هو، وماذا يجري من حوله، والصخب الدائر في العالم؟ إذاً فهناك شيء آخر في الإنسان والحيوان فوق المادة وبمعزل عن عالمها، وهو باق لا يموت بموت المادة.

إن الإنسان في فطرته ينشد الكمال بنحو مطلق. وكما تعلمون أن الإنسان يتطلع لأن يكون القوة المطلقة في العالم، ولن يقنع بقوة ناقصة. ولو أنه امتلك العالم وقيل له ثمة عالم آخر، لرغب فطرياً في ضم ذلك العالم لسلطته أيضاً. ومهما بلغ الإنسان من العلم وقيل له أن هناك علوم أخرى، فإنه يرغب فطرياً في تعلّم تلك العلوم أيضاً. إذاً، لا بد أن تكون هناك قوة مطلقة وعلم مطلق كي يتعلّق بهما الإنسان وهذا هو الله تبارك وتعالى الذي نتوجه إليه جميعاً وإن كنا نجهل ذلك... الإنسان يريد أن يصل إلى (الحق المطلق) كي يفنى في الله. إن هذا الشوق إلى الحياة الأبدية المتأصل في وجود كل إنسان، دليل على وجود عالم الخلود المنزه عن الموت.

فإذا ما رغب جنابكم بالبحث في هذه الموضوعات، بإمكانكم أن تطلبوا من المتخصصين في هذه العلوم بالرجوع - فضلاً عن مؤلفات الفلاسفة الغربيين في هذا المجال - إلى ما كتبه الفارابي وأبو علي بن سينا (رحمة الله عليهما) في حكمة المشاء، ليتضح أن قانون العلة والمعلول، الذي تستند إليه كل أنواع المعرفة، هو معقول وليس محسوس، وأن درك المعاني العامة وكذلك القوانين الكلية التي يعتمد عليها الاستدلال، أمر معقول وليس محسوساً. وكذلك الرجوع إلى مؤلفات السهروردي في الحكمة الإشراقية؛ ليتضح لجنابكم كيف أن الجسم، وكل موجود مادي آخر، بحاجة إلى النور المجرد المنزه من

٣٠٦..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

الحس. وأن إدراك الإنسان الشهودي لحقيقته منزّه من الظواهر الحسية.

واطلبوا من كبار الأساتذة الرجوع إلى الحكمة المتعالية لصدر المتألهين (رضوان الله تعالى عليه وحشره الله مع النبيين والصالحين) ليتضح أن حقيقة العلم هي هذا الوجود المجرد عن المادة، وأن جميع الأفكار منزّهة عن المادة وغير خاضعة لأحكامها.

لا أطيل عليكم بذكر كتب العرفاء لاسيما محي الدين بن عربي. فإذا رغبتم بالاطلاع على بحوث هذا العظيم، يمكنكم إرسال عدد من خبائكم البارعين، (ممن لهم باع طويلة في أمثال هذه الموضوعات)، إلى مدينة قم كي يتسنى لهم بعد عدة سنوات وبالتوكل على الله تعالى، الاطلاع على أبعاد منازل المعرفة الواسعة والأدق من الشعرة؛ لأنه من دون هذه الرحلة لا يتسنى الاطلاع على ذلك.

جناب السيد غورباتشوف، الآن وبعد ذكر هذه الموضوعات والمقدمات، أطلب منكم أن تبحثوا بدقة وجدية حول الإسلام؛ ليس لأن الإسلام والمسلمين بحاجة إليكم، وإنما للقيم السامية والرؤية الشمولية التي يتسم بها والتي بوسعها أن تكون أداة لإنقاذ الشعوب ورخائها، وإيجاد حلول للمشكلات الرئيسية التي تعاني منها البشرية.

إن رؤية الإسلام الجادة بوسعها أن تنقذكم وإلى الأبد من مأزق أفغانستان والمآزق الأخرى المشابهة في العالم... إننا نعتبر المسلمين في العالم كمسلمي بلدنا، ونرى أنفسنا شركاء في مصيرهم على الدوام.

إنكم ومن خلال السماح إلى حد ما بإقامة الشعائر الدينية في بعض الجمهوريات السوفيتية، برهنتم على أنكم لم تعودوا تؤمنون بأن الدين أفيون الشعوب.

الفصل الخامس: الملحقات..... ٣٠٧

حقاً هل أن الدين الذي جعل إيران تصمد أمام القوى العظمى كالجبل الشامخ، هو أفيون الشعوب؟ هل الدين الذي يدعو إلى تطبيق العدالة في العالم ويطالب بتحرير الإنسان من القيود المادية والمعنوية، هو أفيون الشعوب؟

أجل، إن الدين الذي يتحول إلى أداة لوضع الثروات المادية والمعنوية للبلدان الإسلامية وغير الإسلامية، تحت تصرف القوى العظمى والكبرى، ويصرخ بوجه الجماهير أن لا علاقة للدين بالسياسة، هو أفيون الشعوب. غير أن مثل هذا الدين لم يعد ديناً حقيقياً وإنما دين يسميه شعبنا (الدين الأميركي).

وفي الختام أقول بكل صراحة: إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية باعتبارها أكبر وأقوى قاعدة للعالم الإسلامي، بوسعها وبكل سهولة، أن تملأ الفراغ العقائدي لنظامكم. ومهما يكن فإن بلدنا يؤمن كما في السابق بمبدأ حسن الجوار والعلاقات المتكافئة ويحترم ذلك.

والسلام على من اتبع الهدى.

١٩٨٨/١٢/١٩ م

روح الله الموسوي الخميني^(١)

(١) صحيفة الإمام: ج ٢١، ص ٢٢٠-٢٢٦.

الملحق رقم (٤) :

[التقى وزير خارجية الاتحاد السوفيتي الإمام الخميني وسلّمه رسالة خطية من الرئيس الروسي ميخائيل غورباتشوف، في بداية اللقاء تحدث شيفارد نادزه^(١)، قائلاً: أشكر سماحة الإمام بأن منحني هذه الفرصة للقاء به. لقد أنيطت بي مهمة تسليم رسالة الرئيس ميخائيل غورباتشوف إلى سماحة الإمام الخميني جواباً على رسالة الإمام. وسأحاول الإشارة باختصار إلى فحوى هذه الرسالة... في البدء أود أن أقول: أن موضوع تبادل الرسائل بين قادة بلدنا يعد بحد ذاته ظاهرة فريدة تتسم بها العلاقات فيما بيننا. وأنا أعتقد بأن الأوضاع الجديدة تساعد في دخول العلاقات بين البلدين مرحلة نوعية جديدة للتعاون في مختلف المجالات.

يشير السيد غورباتشوف في رسالته إلى أن رسالة سماحتكم الموجهة إلى سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، غنية بمفاهيم كثيرة، وقد اطلع عليها جميع أعضاء المجلس الرئاسي للاتحاد السوفيتي... لا شك أن لدينا وجهات نظر مشتركة إزاء موضوعات رئيسية. ولكن ثمة مواضيع نختلف بشأنها ولكن ليست ذات أهمية.

تضمنت رسالتكم ملاحظات عميقة فيما يتعلق بمصير البشرية. ويعتقد السيد غورباتشوف بأننا متفقون بشأن أهم الموضوعات، أي يجب أن يساعد الناس بعضهم بعضاً كي تحقق البشرية خلودها. فإذا لم

(١) وزير خارجية الاتحاد السوفياتي حينها والمبعوث الشخصي لغورباتشوف لتسليم

رسالته إلى الإمام.

يتحد الناس فإن خطر الفاجعة يهدد البشرية جمعاء، وأن القوة الكامنة لمثل هذه الفاجعة أوجدها الإنسان نفسه.

يعتقد السيد غورباتشوف بأن النضال على طريق تحقيق عالم خالٍ من الأسلحة الذرية وبعيد عن الغطسة واجب الشعوب كافة.

وفيما يخص السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، فإننا نتطلع إلى رجحان القيم المشتركة لكل الشعوب وأفضلية هذه القيم مقارنةً بالمصالح الأخرى سواء الطبقية أو القومية.

يذكر السيد غورباتشوف في رسالته بأن حديث سماحتكم بالنسبة لنوايا القيادة الإيرانية الحسنة إزاء إقامة علاقات طيبة وحسن الجوار مع الاتحاد السوفيتي، حظي بردود فعل جيدة من قبل قادة الاتحاد السوفيتي. فنحن نتمتع بحدود مشتركة طويلة، كما لدينا علاقات ثقافية وتاريخية عريقة بين الشعبين. وتتوفر لدينا أسس جديدة لاستمرار علاقاتنا على قواعد جديدة. أي على أساس مبادئ الاحترام المتبادل والحقوق المتساوية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضنا البعض.

ويذكر السيد غورباتشوف في رسالته بأننا نتبع في سياستنا الدولية مبدأ احترام حرية الاختيار لكل إنسان وكل شعب. وبالتالي فإن بلدنا وجميع أبناء شعبنا رحبوا بثورتكم الكبيرة خير ترحيب. فالاستبداد الشاهنشاهي في إيران استغل شعبه وتعامل معه بكل بربرية، وأضاع كرامته ومصداقيته من أجل كسب رضا القوى الأجنبية. وإن ثورتكم كانت تجسيداً لإرادة شعبكم، وإننا دعمنا وندعم هذه الإرادة دائماً.

يكتب السيد غورباتشوف في رسالته بأن شعبنا سعى إلى ترجمة إرادته أيضاً وكان ذلك في عام ١٩١٧م وخلال مسيرتنا واجهنا مشاكل

٣١٠..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

كثيرة، وقد حفلت بنجاحات باهرة وفي نفس الوقت فقد ارتكبت أخطاء فاحشة، وكان هناك انتهاك لحقوق الإنسان أيضاً، حيث نعمل نحن الآن على تلافي هذه الأخطاء وإدانتها، ورغم كل المشكلات التي واجهتنا، استطعنا أن ندافع عن مكتسباتنا؛ لأن اختيار الشعب كان اختياراً صحيحاً. أردت أن أقول لسماحتكم: بأن قضية حرية الاختيار مطروحة اليوم ضمن اهتمامات الساحة الدولية المعاصرة. ولكن نحن نتساءل لماذا ينبغي لنا أن نبحث عن طريق لمواصلة الحياة، هل أن طريقنا هذا طريق قديم، أم طريق جديد وثوري؟ فنحن نعتقد أنه جديد وثوري. نحن في بلدنا لدينا ثورة ولكن ثورة سلمية بدون خنادق ودون اللجوء إلى القوة. نحن نريد أن يعرف سماحة الإمام بأن بلدنا يواصل نهج التجديد وإعادة البناء. إعادة البناء الاقتصادي والسياسي. تجديد لقيمنا ونمط تفكيرنا وتجديد نظرياتنا السابقة.

يشير السيد غورباتشوف في رسالته إلى أن تحولات عظيمة شهدتها العالم مؤخراً، ونرى أنه بإمكاننا القول بأننا نقف على أعتاب نظام اقتصادي وسياسي جديد. وقد تم التوقيع على اتفاقيات مهمة للغاية تهدف للتخلص من جانب كبير من الأسلحة النووية. كما وجدت آفاق جيدة للتخلص من الأسلحة الكيماوية، وكذلك آفاق جيدة للحيلولة دون اندلاع مواجهة عسكرية بين الدول. ولكن كل هذا ليس هدية الامبرياليين وإنما هي إرادة الشعوب وإرادة العصر... لا يوجد خيار آخر. إن سباق التسلح ونقله إلى الفضاء سوف يقود إلى كارثة إنسانية. ففي مناطق عديدة من العالم هناك نزاعات دامية في طريقها إلى الزوال... إننا نرحب بحرارة بانتهاء الحرب الإيرانية - العراقية بكل صراحة، وإننا على

استعداد للتعاون معكم لتعزيز السلام في الشرق الأوسط والشرق الأدنى والعالم بأسره.

إن التواجد العسكري الواسع في الخليج الفارسي يقلقنا. أقصد التواجد العسكري لغير دول المنطقة. وهي ظاهرة خطيرة للغاية يجب التخلص منها. إننا نتطلع لأن يكون لنا معكم تعاون جيد للتوصل إلى نتائج مرضية في إيجاد حل عادل للمأزق الأفغاني... ولندع الشعب الأفغاني يقرر مصيره بنفسه بعيداً عن التدخل الأجنبي.

وأضاف شيفارد نادزه نقطة أخرى تضمنتها رسالة السيد غورباتشوف، وهي: أن فخامته يعرب عن استعداده لتطوير التعاون الاقتصادي والتعاون في كافة المجالات التي كان لدينا تعاون جيد فيها. نحن ومن أجل استمرار وتعزيز التواصل بين بني البشر، فإن نوابنا على استعداد للمشاركة في المحافل الاجتماعية والدينية.

لقد أبلغنا دعوة سماحتكم لزيارة قم إلى علماء الإسلام في بلدنا، ولا شك أنهم سوف يأخذونها بنظر الاعتبار.

وأخيراً قال المبعوث الخاص للرئيس السوفيتي: كانت هذه أبرز النقاط التي تناولتها رسالة السيد غورباتشوف. وقد حملني خالص تحياته وتمنياته لسماحتكم بطول العمر وللشعب الإيراني بالسعادة.

فرد الإمام الخميني قائلاً: سلّمه الله تعالى بمشيئته، ولكن أرجو أن تقولوا لفخامته بأني أردت أن أضع أمامكم آفاقاً أوسع.

[في النهاية تفضّل الإمام قائلاً]: كنت أرغب أن أفتح نافذة أمام السيد غورباتشوف تطل على عالم كبير، أي عالم ما بعد الموت وهو

٣١٢..... ٢٣ عاماً.. وسط الطوفان

عالم خالد. المحور الأصلي في رسالتي هو هذا. أمل أن يسعى ثانيةً في هذا المجال.

سماحة الإمام رحّب بخروج القوات السوفيتية من أفغانستان، وأكد على حسن الجوار وتطوير العلاقات في مختلف المجالات لاسيما في مواجهة تحركات الغرب المغرضة، وخروج القوات الأجنبية من الخليج الفارسي، وأعرب عن أمله في أن يحيا الشعبان الإيراني والسوفيتي بسلام ووثام دائمين^(١).

(١) صحيفة الإمام، ج ٢١، ص: ٢٩٨ - ٣٠١.

فهرس الكتاب

٥.....	رسالة السيدة (دباغ) إلى مؤسسة دارالولاية.....
٧.....	مقدمة الحاجة مرضية (دباغ) للنسخة العربية
٩.....	تمهيد.....
١٥	توطئة.....

الفصل الأول: المسرى

١٩	الولادة والأسرة:.....
٢١	الحلفاء ومعزى معاوية:
٢٤	مرثية السيدة (مرضية) في (الكتاتيب):.....
٢٧	كانت الفلقة في انتظارنا:.....
٢٨	الزواج، بداية الهجرة:.....
٣١	دراسة العلوم الدينية:
٣٣	الهمس باسم (الخميني):.....
٣٥	المعراج:.....
٣٧	(انتفاضة ١٥ خرداد):.....
٤٠	عندما نظرت إلى عينيك (المريضتين) مرضت:.....
٤٤	بكاء السيدة الزهراء عليها السلام :.....

٣١٤	 ٢٣ عاماً .. وسط الطوفان
٤٧	 التجارة المربحة:
٥٠	 فطائر السكر المرة:
٥٤	 شهادة آية الله سعيدي:
٥٨	 سنمضي في طريقك أيها الشهيد:
٦٣	 إكمال الدراسة:
٦٤	 الارتباط بالمراكز الجامعية:
٦٥	 سفرة قصيرة إلى إنجلترا:
٦٦	 هجوم رجال (السافاك) على البيت:
٦٩	 ستة أيام في حصار واحتلال:
٧٥	 الاعتقال والتعذيب:
٧٩	 أمُّ وبنت ملتفتان بالملحفة:
٨٧	 الرائحة النتنة والحرية:
٩٣	 ما بعد الاعتقال:
٩٦	 الاعتقال مرة أخرى:
٩٨	 الاتجاهات السياسية للنسوة المعتقلات في سجن قصر:
١٠٤	 برامج ووقائع المعتقل:
١٠٧	 إطلاق سراح من السجن:

الفصل الثاني: الهجرة

١١١	 الهروب إلى إنجلترا:
١١٨	 الشهيد محمد منتظري:
١٢١	 تبليغ في مناسك الحج:
١٢٤	 اللقاء بالإمام الخميني في النجف الأشرف:

فهرس الكتاب.....	٣١٥
الإمام (موسى الصدر) والشهيد (چمران):.....	١٢٨
اللقاء بزوجي:.....	١٣٣
الذهاب والإياب بين سوريا ولبنان:.....	١٤٠
لقاء مع الشهيد (أندرزكو):.....	١٤٢
وفاة الدكتور شريعتي:.....	١٤٨
الإضراب عن الطعام في كنيسة (سان ماري):.....	١٥١
استشهاد الحاج السيد (مصطفى الخميني):.....	١٥٧
نحو (نوفل لوشاتو):.....	١٦٠
مشاهدات (طاهرة):.....	١٦٢
لمحات حول الإمام:.....	١٦٨
تقسيم الوظائف:.....	١٧٢
وفاة السيدة (محبوبة أفراز):.....	١٧٤
التخلف عن قافلة الثورة:.....	١٧٧
أنا راح على إيران:.....	١٨٣
لا يزال قادماً أيضاً:.....	١٨٤
العودة إلى الوطن:.....	١٨٦

الفصل الثالث: الأمواج

المهمة الأولى:.....	١٨٩
تشكيل حرس غرب البلاد:.....	١٩٣
حملة تطهير واسعة لمدينة (همدان):.....	١٩٨
تجميع السلاح والمخدرات:.....	٢٠٠
أثر البسطال:.....	٢٠٥

٣١٦.....	٢٣ عاماً .. وسط الطوفان
٢٠٨.....	دعاوي الإقطاعيين:
٢١١.....	عليهم أن يعودوا الى الحياة:
٢١٦.....	الوضع في كردستان:
٢١٨.....	الحليب الممزوج بالدم:
٢٢٠.....	الفاجعة الإليمة لمقتل عائلة السيد (نمكي):
٢٢١.....	الجرائم البشعة في (بيجار) و(كامياران):
٢٢٣.....	المخدوعون:
٢٢٥.....	فك حصار مدينة (باوه):
٢٢٩.....	ماذا كان قرار تلك الليلة؟
٢٣٠.....	العقرب الأصفر:
٢٣٢.....	اشعال وإخماد الاضطرابات في (همدان):
٢٣٦.....	الفضيحة:
٢٣٩.....	مظاهر وأوجه النفاق:
٢٤٢.....	تناول المشويات:
٢٤٣.....	الانقلاب العسكري في قاعدة (نوزه):
٢٤٥.....	محاولة اغتيال فاشلة:
٢٤٩.....	الغيرة والحمية الشعبية:
٢٥٢.....	المستحقات والإيثار:
٢٥٤.....	القائد الأعرج:

فهرس الكتاب..... ٣١٧

الفصل الرابع: سياحة الشرق

مهمة تاريخية: ٢٥٧

الاستقبال في موسكو: ٢٦٠

أصعب أيام العمر: ٢٦٢

حول امبراطورية الشرق: ٢٦٦

الصلاة في مطار (موسكو): ٢٧١

تقديم التقرير: ٢٧٢

أسباب الاختيار: ٢٧٣

الفصل الخامس: الملحقات

الملحق رقم (١): ٢٧٩

ألف: ظروف مدرسة (رفاه)، وكيفية الاعتقال: ٢٧٩

ب: مع (دباغ) في السجن: ٢٨٤

ج: حول (ويدا حاجبي): ٢٩٧

الملحق رقم (٢): ٢٩٩

الملحق رقم (٣): رسالة الإمام الخميني إلى ميخائيل غورباتشوف.... ٣٠١

الملحق رقم (٤): ٣٠٨

فهرس الكتاب..... ٣١٣

تم والحمد لله رب العالمين